

# رِضْوَةُ الْمُتَّقِينَ لِأَوْنَةِ الْفَضَائِلِ

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حَبَّان البُسْتِي  
المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين  
رحمه الله

بتحقيق وتصحيح

محمد محي الدين عبد الحميد  
عفا الله عنه

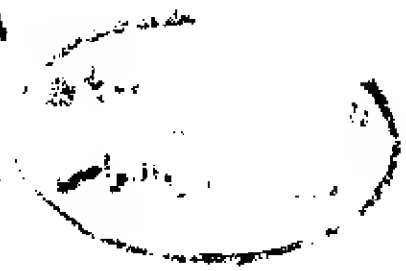
محمد حامد الفقي  
رئيس جماعة أنصار السنة المجددية

محمد عبد الرزاق حمزة  
للدروس بالمسجد الحرام

١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م

دار الكتب العلمية

٧٩٠١٧





## ترجمة الإمام ابن حبان<sup>(١)</sup>

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن سعيد بن سعيد بن شهيد التميمي - كذا  
نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بفتحجار ، وواقفه غيره  
إلى سعيد - ثم قال : ابن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله  
ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم بن مر بن أذ بن  
طابخة بن إلياس بن مضر -

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثراً من الحديث والرحلة ، والشيوخ ،  
عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل  
تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بجرأ في العلوم .

سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد  
العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن  
خزيمة ، ولازمه وتلمذ له ، وصارت تصانيفه عُدَّة لأصحاب الحديث ، غير أنها  
عزيزة الوجود .

سمع يلقاه بسنن : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأبا الحسن محمد  
ابن عبد الله بن جنيد البستي .

ويهرآة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

ويعرو : أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ،  
وأبا يحيى محمد بن يحيى بن خالد المديني .

---

(١) عن معجم البلدان لياقوت ( ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٨ ) .

وبقرية سنج : أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقاني .

وبالصغد بما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمداني .

وبنسا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ، ومحمد بن محمود بن عدي النسويين .

وبنيسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج النقي ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأزدي .

وبأرغيتان : أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغيتاني .

وبجرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان الجرجانيين .

وبإري : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرئ ، وعلي بن الحسن بن مسلم الرازي .

وبالكرج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين ابن إسحاق الأصهباني .

وبسكرسكرم : أبا محمد عبد الله بن محمد بن موسى الجواليقي ، المعروف بعبدان الأهوازي .

وبستَر : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ .

وبالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

وبالأبلة : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن محمد بن بظام الأبلين .

وبالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحباب الجحفي ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيى الساجي ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي .

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، والخليل بن محمد  
الواسطي ابن بفت تميم بن المنتصر .

وبنم الصلح : عبد الله بن قحطبة بن مرزوق الصلحي .

وبنهر سائبس ، قرية من قرى واسط : خلاد بن محمد بن خالد الواسطي .

وببغداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شبيب البلخي ، وأبا أحمد الهيثم بن

خلف الدوري ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي .

وبالكوفة : أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلي .

وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه ، صاحب

كتاب الإشراف في اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم

الجندی .

وبسامرا : علي بن سعيد العسكري - عسكر سامرا .

وبالموصل : أبا يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلی ، وهارون بن المسكين

البلدي ، وأبا جابر زيد بن علي بن عبد العزيز بن حيان الموصلی ، وروح بن

عبد الحميد الموصلی .

وببلد سنجان : علي بن إبراهيم بن الهيثم الموصلی .

وبنصيبين : أبا السري هاشم بن يحيى النصيبيني ، ومسدد بن يعقوب بن

إسحاق الفلوسي .

وبكفرتوت ، من ديار ريعة : محمد بن الحسين بن أبي معشر السلي .

وبسرغامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن

عبد الله بن مسرح الخزازي .

وبالرافقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادي .

وبالرقّة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .  
وبمَنبُج : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصمغ بن عامر التنوخي .  
وبحلب : علي بن أحمد بن عمران الجرجاني .  
وبالمصيصة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصي .  
وبأنطاكية : أبا علي وصيف بن عبد الله الحافظ .  
وبطرسوس : محمد بن يزيد الدورقي ، وإبراهيم بن أبي أمية الطرسوسي .  
وبأَذَنَة : محمد بن علان الأذني .  
وبصَيْدَا : محمد بن أبي المعافى بن سليمان الصَيْدَاوى .  
وببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي المعروف بمكحول .  
وبجَمْعَصَ : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعي الراهب .  
وبدِمَشَقَ : أبا الحسن أحمد بن عمير بن حوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد  
ابن عامر الأنصاري ، وأبا العباس حاجب بن أركن انقرغاني الحافظ .  
وبالبيت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي الخطيب .  
وبالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة السقلاني .  
وبمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، وسعيد بن داود  
ابن وردان المصري ، وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل .  
وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .  
وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن مَنَدَه الأصبهاني ،  
وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفتنجار الحافظ البخاري ، وأبو علي منصور بن عبد الله  
ابن خالد الذهلي المروزي ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي ، وجعفر  
ابن شعيب بن محمد السمرقندي ، والحسن بن منصور الإسبيجاني ، والحسن بن  
محمد بن سهل الفارسي ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُشَام الشُّروطى ، وجماعة كثيرة لا تحصى .

أخبرنا القاضى الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصارى الحَرَسَتَانِ - إِذْنَا - عن أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامى عن أبي عثمان سعيد البحترى قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستي القاضى كان من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يُسبق إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ و حضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصغرم سناً - فقال : استئمل ، فقلت : نعم ، فاستملت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو اليمين زيد بن الحسن الكندى - شَقَاهَا - قال : أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقي - إِذْنَا - عن أبي بكر أحمد بن على بن ثابت - كتابة - قال : ومن الكتب التى تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعوها : مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البُستى التى ذكرها لى مسعود بن ناصر السجزي ، ووقفنى على تذكرة بأسائها ، ولم يقدر لى الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه واطرحته .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء . وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءاً . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءاً . وكتاب تباع الأتباع : سبعة عشر جزءاً ، وكتاب تباع التابع : عشرون جزءاً . وكتاب الفصل بين النقلة :

عشرة أجزاء . وكتاب العلل ، علل أوهام أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب علل حديث الزهري : عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء . وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثوري [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء . وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن : عشرة أجزاء ، وكتاب ما عند شعبة عن قتادة ، وليس عند سعيد عن قتادة : جزءان ، وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا . وكتاب ما أغرب [فيه] الكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء . وكتاب ما أغرب البصريون [فيه] عن الكوفيين : ثمانية أجزاء ، وكتاب أسامي من يُعرف بالكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُنَى من يعرف بالأسامي : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التمييز بين حديث النضر الخدافي والنضر الحراز : جزءان . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سوار : جزءان ، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامى ومكحول الأزدي : جزء . وكتاب موقوف مارفع : عشرة أجزاء . وكتاب آداب الرجال : جزءان . وكتاب ما أسند جُفَادَة عن عباد : جزء . وكتاب الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء ، وكتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزءان . وكتاب ما جعل شيبان سفيان ، أو سفيان شيبان : ثلاثة أجزاء ، وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزءان ، وكتاب مناقب الشافعي : جزءان ، وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء ، وكتاب المقلّين من الحجازيين : عشرة أجزاء . وكتاب المقلّين من العراقيين : عشرون جزءا . وكتاب الأبواب المخرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجعم بين الأخبار المتضادة :



جزءان ، وكتاب وصف المعدل والمعدل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا : جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه ، يذكر حديثنا ويترجم له ، ثم يذكر من ينفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أي بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر مافي ذلك الحديث من الفقه والحكمة . فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما . وإن تضاد لفظه في خبر آخر تلافى للجمع بينهما حتى يعلم مافي كل خبر من صناعة الفقه والحديث معا . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر - يعني السجزي - فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندكم ، ومقدور عليها ببلاكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والنزر الخفير . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبّل كتبه وورقها ، وجمعها في دار رسمها بها . فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، ويتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ، ويحفظوها ، إحرازاً لها . ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعاً : كتاب التقسيم والأنواع : خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحامى . عن أبي الحسن البجاني عن أبي هارون الزوزنى عنه . وكتاب روضة العقلاء .

[ وهو هذا ] قرائته على حنبل السَّجَرِي عن أبي محمد التوحي عن أبي عبد الله الشروطى عنه .

وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله - وهو أشهر من هذه كلها - كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه في كتاب التقاسيم . فقال : في أربع ركعات يصلها الإنسان ستائة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بنصونها في كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الریح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الأسترايذى يقول : أبو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . أنف كتاب المسند الصحيح والتلويح والضمفاء والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتني الحرة زينب الشعرية - إذنا - عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للقرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والفتنة ، ولم جرايات يستنفقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصى ، سلمها إليه ليبدلها أن يريد نسخ شيء منها في الصفة ، من غير أن يخرجها منها ، شكر الله له عنايته في تصنيفها ، وأحسن شويته على جميل نيته في أمرها بفضل ورأفته ! .

وأخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كتابه ، قال : أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الرمح - إذنا - سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابوري يقول : سمعت أبا سعيد الأديسي يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري - الرجل الصالح سمرقندي - يقول : كنا مع أبي بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستي ، وكان سألته ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بادر ، تنح عني ، لا تؤذيني ، أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ فقال : نعم أكتب كل شيء يقوله .

أخبرني الخطيب أبو الحسن السديدي - مشافهة - بمرو - قال : أخبرني أبو عبد - إذنا - أخبرنا أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي - إجازة - سمعت والدي سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ - وذكر كتاب المجروحين لأبي حاتم البستي ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان التميمي ابن رجل في طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصفيه - وأساء القول في أبي حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير في العلوم ، وكان محمد لفضله وتقدمه . ونقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي الحديثي - وذكر أنه نقله من خط أبي الفضل أحمد بن علي بن عمرو السلياني البيهكندی الحافظ من كتاب شيوخه - وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب الكذابين - قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو سنة ٣٢٩ ، فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبي الطيب المصفي كتاباً في القرامطة حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالاً في البزازين ، حتى اشترى له ثياباً بخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب في الليل ، وذهب بأموال الناس .

قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسابور قال لى : كتبت عن أبى حاتم البستى ؟ فقلت : نعم . فقال : إياك أن تروى عنه . فإنه جاءنى فكتب مصنفاتى ، وروى عن مشايخى ، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القرامطة ، إلى ابن بابو ، حتى قبله وقلده أعمال سجستان ، فمات به .

قال السليمانى : فرأيت وجه الكذايين ، وكلامه كلام الكذايين .  
وكان يقول : يا بني ، اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستى إمام الأئمة ، حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق القرأب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستانى يقول : توفى أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبى القاسم الحرستانى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد ابن محمد البهترى سمعت محمد بن عبد الله الضبى يقول : توفى أبو حاتم البستى ليلة الجمعة ثمان ليالٍ بقين من شوال سنة ٣٥٤ .

ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصُّفَّة التى ابنتها بمدينة بُسْت بقرب داره .  
وذكر أبو عبد الله الفُتُجَار الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ وقبره ببُست معروف إلى الآن بزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

## مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوي أدام الله نأيده ! وأجزل من كل خير مزيده ! في شهور سنة اثنتين وستائة .  
قال : حدثنا الأمير القاضي الإمام عمدة الدين معين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البوسنجي من لفظه ببوسنج<sup>(١)</sup> في شهور سنة اثنتين وستين وخمسمائة .  
قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبل بن علي بن الحسين البخاري الصوفي السني ، رحمه الله !  
قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد القوي<sup>(٢)</sup> سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشروطي .  
قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، رضي الله عنه ! قال :

---

(١) بالسين الهمزة من قرى ريد ، وبالشين للمعجمة بليدة من نواحي هراة .  
(٢) التوني : نسبة إلى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قائن ، حكاه ياقوت ونسب إليها أبا محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشروطي .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المُنْفَرِدُ بوحِدَانِيَةِ الألوهية ، المتعَزِّزَ بِعَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ ، القائمُ عَلَى  
نَفْسِ الْعَالَمِ بِأَجَالِهَا ، وَالْعَالَمِ بِتَقْلِبِهَا وَأَحْوَالِهَا ، الْمَانُّ عَلَيْهِمْ بِتَوَاتُرِ آلَاتِهِ ، الْمُتَفَضِّلُ  
عَلَيْهِمْ بِسَوَابِغِ نِعَمَاتِهِ ، الَّذِي أَنْشَأَ الْخَلْقَ حِينَ أَرَادَ بِلَا مُعِينٍ وَلَا مُشِيرٍ ، وَخَلَقَ  
الْبَشَرَ كَمَا أَرَادَ بِلَا شَبِيهِ وَلَا نَظِيرٍ ، فَضْطَ فِيهِمْ بِقُدْرَتِهِ مُشَبِّهَتُهُ ، وَغَذَّتْ فِيهِمْ  
بِعِزَّتِهِ إِرَادَتُهُ ، فَالْهَمَّهُمْ حَسَنَ الْإِطْلَاقِ ، وَرَكَّبَ فِيهِمْ تَشَبُّبَ الْأَخْلَاقِ ، فِيهِمْ  
عَلَى طَبَقَاتٍ أَقْدَارُهُمْ يَمْشُونَ ، وَعَلَى تَشَعُّبِ أَخْلَاقِهِمْ يَدُورُونَ ، وَفِيَا قَضَى وَقَدَّرَ  
عَلَيْهِمْ يَهَيِّوْنَ وَ (٥٣: ٢٣ كُلِّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، وَمُنْشِئُ الْأَرْصِينَ  
وَالثَّرَى ، لَا مُتَقَبِّ لِحُكْمِهِ وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ (٢٣: ٢١ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُجْتَبَى ، وَرَسُولُهُ الْمَرْضَى ، بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمَضَى ،  
وَالْأَمْرِ الْمَرْضَى ، عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَدُرُوسٍ مِنَ السُّبُلِ ، فَدَمَغَ بِهِ  
الطَّغْيَانَ ، وَأَكْمَلَ بِهِ الْإِيمَانَ ، وَأَظْهَرَ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ ، وَقَعَ بِهِ أَهْلُ الْأَوْتَانِ ،  
فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَارَ فِي السَّمَاءِ فَلَاكٌ ، وَمَا سَبَّحَ فِي الْمَلَكُوتِ مَلَكٌ ، وَعَلَى  
آلِهِ أَجْمَعِينَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ تَبَيَّنَ لِلْعَاقِلِ تَغْيَرُهُ ، وَوَلَاحَ لَلْبَيبِ تَبَدُّلُهُ ، حَيْثُ  
يَبْسُ صَرْعُهُ بَعْدَ الْفَرَارَةِ ، وَذَبِيلَ فِرْعَوْنَ بَعْدَ النُّصَارَةِ ، وَتَحِلَّ عُودِهِ بَعْدَ الرُّطُوبَةِ ،  
وَبَشَّحَ مَذَاقَهُ بَعْدَ الْعَذُوبَةِ ، فَتَبَيَّنَ فِيهِ أَقْوَامٌ يَدْعَوْنَ التَّمَكُّنَ مِنَ الْعَقْلِ بِاسْتِمْعَالِ  
ضَدِّ مَا يَوْجِبُ الْعَقْلُ : مِنْ شَهَوَاتِ صُدُورِهِمْ ، وَتَرَكُوا مَا يَوْجِبُهُ نَفْسُ الْعَقْلِ بِهَجَسَاتِ

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذى يعقدون عليه عند المعضلات : النفاق والمداهنة ، وفروعه عند ورود النائبات : حُسن اللباس والنصاحة ، وزعموا أَنَّ مَنْ أَحْكَمَ هذه الأشياء الأربع فهو العاقل ، الذى يجب الاقتداء به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك<sup>(١)</sup> الذى يجب الازورار عنه<sup>(٢)</sup> .

فلما رأيت الرِّعَاع<sup>(٣)</sup> من العالم يفترون بأفعالهم ، والهمج من الناس يقتدون بأفعالهم ، دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء في أيامهم ، من معرفة الأحوال في أوقاتهم ، ليكون كالتذكيرة لذوى الحجب<sup>(٤)</sup> عند حضرتهم ، وكالمعين لأولى النهى عند غيبتهم ، يفوق العالم به أقرانه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديم الصادق للعاقل في الخلوات ، والمؤنس الحافظ له في العلوات ، إن خص به من يحب من إخوانه ، لم يفتقده من ديوانه ، وإن استبد به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أبين فيه ما يحسن للعاقل استعماله من الخصال الحمودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة ، مع القصد في لزوم الاختصار ، وترك الإمعان في الإكثار ، ليخفف على حامله ، وتعيه أذن مستمعه ، لأن فنون الأخبار ، وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد في إحاطتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرج التمكن من الكمال في الإكثار ، كان حقيقاً أن ينع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والهادى إلى الرشاد ، وإياه أسأل لإصلاح الأسرار ، وترك المعاقبة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، روف رحيم .

(١) الأنوك : أى الأحمق .

(٢) الازورار : الاتقياض والتباعد .

(٣) الرعاع : أى الجهة والدعاء (٤) الحجبى - بالكسر مقصوراً - العقل .

والنهي : جمع نهي - بالضم - وهى العقل أيضاً

## ذكر الحث على لزوم العقل

### وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُوبَةَ حدثنا أحمد بن يونس حدثنا قُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَيَكْرَهُ سَفَافَهَا <sup>(١)</sup> » .

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في العقل ؛ لأنَّ أَبَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ ، وَسَلَمَةَ بْنَ وَرْدَانَ ، وَعُمَيْرُ بْنُ عَمْرَانَ ، وَعَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، وَالْحَسَنُ بْنُ دِينَارٍ ، وَعَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ ، وَمَيْسَرَةُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ، وَدَاوُدُ بْنُ الْحَمَّارِ ، وَمَنْصُورُ بْنُ صَفَرٍ وَذَوَيْهِمْ ، لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، فَأَخْرَجَ مَا عَنْهُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي الْعَقْلِ <sup>(٢)</sup> .

وإنَّ حُبَّ الْمَرْءِ الْمَكَارِمَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَكَرَاهَتَهُ سَفَافَهَا هُوَ نَفْسُ الْعَقْلِ .  
فَالْعَقْلُ بِهِ يَكُونُ الْحِفْظُ ، وَيُؤْنَسُ الْغَرَبَةُ ، وَيَتَنَبَّأُ الْقَاقَةُ ، وَلَا مَالٌ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يَتَمُ دِينَ أَحَدٌ حَتَّى يَتَمَّ عَقْلُهُ .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتناب الخطأ ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أدبياً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إذا دخل في أول حدة الدماء قيل له : شيطان ، فإذا عَمَّتَا فِي الطُّغْيَانِ قِيلَ : مَارِدٌ ، فَإِذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ قِيلَ : عَبْقَرِيٌّ <sup>(٣)</sup> ، فَإِذَا جُمِعَ إِلَى خُبَّتِهِ شِدَّةً تَرَى قِيلَ : عِفْرِيَّتٌ

(١) سَفَافَهَا : أي دنيتها وخسيسها (٢) أي أن هؤلاء الضعفاء والمجروحين

رووا أحاديث في فضل العقل لا يراها المؤلف حجة لسقوط روايتها

(٣) عبقري : نسبة إلى عبقر ، وهو مسكن الجن في زعم العرب ، وهم ينسبون

كل ما يعظمونه ويرونه فوق متناولهم إلى عبقر



وكذلك الجاهل ، يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأنوك ، ثم الأحق .

وأفضل مواهب الله لعباده العقل ، ولقد أحسن الذي يقول :  
وأفضل قسم الله للمرء عقله      فليس من الخيرات شيء يقاربه  
إذا أكل الرحمن للمرء عقله      فقد كملت أخلاقه ومآربه  
يعيش الفتي في الناس بالعقل ، إنه      على العقل يجري علمه وتجاربه  
يزيد الفتي في الناس جودة عقابه      وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيار حدثنا حبيب الجلاب  
قال : قيل لابن المبارك « ما خير ما أعطى الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل :  
فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشير ،  
قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »  
أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال  
« سئل عقيل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل ، قال : فإن لم يكن ؟  
قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شفيق يستشير ، قال : فإن لم  
يكن ؟ فطول صمت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فوت عاجل »

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منها كالأرض ،  
والمسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون  
أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبه من رقده ، ويطلقه من مكانه ، كما يستخرج  
البذر والماء ما في قعر الأرض من كثرة الرّيح .

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ، والعقل  
للمسموع من ظاهره . كتلت ثمرة الشجرة من فروعها .  
أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

رأيت العقل نوعين      فطبورع ومسموع<sup>(١)</sup>  
ولا ينفع مسموع      إذا لم يك مطبورع  
كما لا تنفع الشمس      وضوء العين ممنوع

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان.  
حدثني ابن عامر، قال : قلت لعطاء بن أبي رباح « يا أبا محمد ، ما أفضل ما أعطى  
العبد ؟ قال : العقل عن الله »

أنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لعبد الله بن عكراش :  
يزينُ القتي في الناس صحة عقله      وإن كان محظوراً عليه مكاسبه  
يشينُ القتي في الناس خفة عقله      وإن كرمت أعراقه ومناسبه  
قال أبو حاتم : فالواجب على العاقل : أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة  
أكلف<sup>(٢)</sup> منه بما أحيا جسده من القوت ، لأن قوت الأجساد الطعام ، وقوت  
العقل الحكم ، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب ، كذلك  
العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت .  
والتقلب في الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلاً ، وإن عَدَم المال  
في قلبه .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :  
إن ذا العقل يرى غنا له      عَدَمَ المال ، إذا ما العقلُ صح  
ما على المرء بعُدَمِ سُبَّةٍ      إن وفَّاء العقل ، وإن دينُ صلح  
أخبرنا محمد بن المسيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال : سمعت حاتم بن  
إسماعيل يقول « ما استودع الله عقلاً عبداً إلا استنقذه به يوماً ما »

(١) حفظي \* رأيت العقل عقليين \*

(٢) أكلف : أي أشد كلفاً ، والكلف : الهبة

قال أبو حاتم : العقل دواء القلوب ، ومطية المجتهدين ، وبذر حراثة الآخرة ، وتاج المؤمن في الدنيا ، وعُدَّتْه في وقوع النوائب ، ومن عدم العقل لم يزد السُلطان عزا ، ولا المال يرفه قدراً ، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه ، فكما أن أشد الزمانة الجهل ، كذلك أشد الفاقة عدم العقل .

والعقل والهوى متعاديان ، قالواجب على المرء : أن يكون رأيه مُسْتَقِماً<sup>(١)</sup> ، وهواه مَوْفِياً<sup>(٢)</sup> . فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه ؛ لأن في مجانبته الهوى إصلاح السمائر ، وبالعقل تصلح الضمائر .

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري ثنا<sup>(٣)</sup> ثنا محمد بن عبيد الله الجشعي حدثنا المدائني ، قال : قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عُمرٌ دهرًا « أخبرني بأحسن شيء رأيته ، قال : عقل طُلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة »

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :  
إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أياديه ، وتم بناؤه  
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ولو كان ذا مال كثيراً عطائه  
أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدري<sup>(٤)</sup> حدثنا عمران بن خالد الخزازي قال : سمعت الحسن<sup>(٥)</sup> يقول « ما تم دينٌ عبدٍ قطُّ حتى يتم عقله »  
قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فقرة .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل ،

---

(١) مستقيماً : معينا مساعداً (٢) التسوية : التأخير عن كسل (٣) يابض بالأصل (٤) اسمه : فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبي الحسن البصري

ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس أنوره ، فقرب  
العقل مَرَجُوْ خيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل مَحْجُوْ شره على  
كل حال .

ولا يجب للعقل أن يقيم ؛ لأن النعم لا ينفع ، وكثرته تُزْرِى بالعقل ،  
ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يردُّ المَرِيْةَ <sup>(١)</sup> . ودوامه ينقص العقل .

والعقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ،  
فإذا وقع فيه رضى وصبر ، والعقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقيم على  
خوف وهو يجد منه مَذْهَباً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك  
من الطارف والتالد <sup>(٢)</sup> ، مع لزوم العفاف ، إذ هو قُطْب شُعْب العقل .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

أولت تأمر بالعفاف وبالتقى وإليه آل الأمر حين يؤول ؟  
فإن استطعت فخذ بعقلك فضة إن العقول يرى لها تفضيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي  
حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحراي حدثنا مفضل بن صالح قال : قال علي <sup>(٣)</sup> « لما  
أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إني أمرت أن أخبرك في ثلاثة ، فأختر  
واحدة ، ودع اثنتين ، فقال آدم : وما الثلاث ؟ قال : الحياء والدين والعقل ، فقال  
آدم : فإني قد اخترت العقل ، قال : فقال جبريل للحياء والدين : انصرفا ودعاه ،  
فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، ثم عرج جبريل وقال :  
شأنكم »

(١) النصية التي ترزأ : أي تشغل الكاهل فينوء بها (٢) الجديد والقديم (٣) أي

ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

قال أبو حاتم : من حسن عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح وجهه ، ومن حسن وجهه وقبح عقله فقد أذهب تحاسين وجهه نقائص نفسه ، فلا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معذماً<sup>(١)</sup> ، لأن العاقل قد يرجى له النفي ، [ولا] يوثق للجاهل المكثّر ببقاء ماله ، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله . وآفة العقل الصّلف<sup>(٢)</sup> والبلاء المردي ، والرخاء المفرط ؛ لأن البلاء إذا تواترت عليه أهلك عقله ، والرخاء إذا تواتر عليه أبطره ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

عدوك ذو العقل أبى عليك من الجاهل الوأيق الأحمق<sup>(٣)</sup>  
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد الأرفق

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بمسفلان حدثنا ابن أبي السري حدثنا داود ابن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خلود بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرة يقول « إن القوم ليحجون ويعتمرون ، ويجاهدون ويصلون ، ويصومون ، وما يُعْطَوْنَ يوم القيامة إلا على قدر عقولهم »

سمعت محمد بن محمود بن عدي النسائي يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت حفص بن حميد الأكَاف يقول : « العاقل لا يغبى ، والورع لا يغبى »

قال أبو حاتم : هذه لفظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ، والقراءة تبع للصلاة ، كذلك المروءات كلها تبع للعقل .

(١) أي فقيراً (٢) أي الكبير (٣) الوأيق : الغيب ، ومعنى يوق مقة : أحب

وعقول كل قوم على قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ، فإنه خير من الحياة النكدية وإن طالت ، والعقل الموعى - غير المنتفع به - كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يكثر التمازى<sup>(١)</sup> إلا عند القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت .

والعاقل لا يستحقر أحداً ؛ لأن من استحقر السلطان أفقد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام<sup>(٢)</sup> أذهب صيافته .

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقطع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدى .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

ألم تر أنت العقل زين لأهله      وأن كمال العقل طول التجارب  
وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النهي<sup>(٣)</sup>      ويزداد في أيامه بالتجارب  
أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحكم  
ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن »  
قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب  
والعاقل يكون حسن المأخذ في صفوه ، صحيح الاعتبار في صباه ، حسن العفة عند

---

(١) التمازى : أى البحث والمحاورة (٢) العام : أى العوام والجمهور (٣) النهى : جمع نهية أى العقل

إدراكه ، رضى الشاغل في شبابه ، ذا الرأى والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة<sup>(١)</sup> . ثم يحمل نفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتحال<sup>(٢)</sup> ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان . ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حنقه<sup>(٣)</sup> في أقرب الأشياء إليه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يحتنب أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في يديس القوسج : الاستغراق في الضحك ، وكثرة التمني ، وسوء التثبت ؛ لأن العاقل لا يشكف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدركه ، ولا يمد إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من القناء<sup>(٤)</sup> ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى<sup>(٥)</sup> عليه نفعه منه .

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمعرفته رفده ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، وللعامة بشره ونحيته ، ولا يستعين إلا بمن يحب أن يظفر بحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنيا ، إلا أن يغلبه الاضطراب عليه ، ولا يدعى ما يحسن من العلم لأن خصائل الرجال ليست ما أدتوها ولكن ما سبها الناس إليهم ، ولا يبالي ما فاتته من حطام الدنيا ، مع ما رزق من الحظ في العقل .

(١) في القاموس - الرتوة : بالهاء الشاة - الخطوة (٢) الانتحال : الاستخلاص والتعجيس من نخل الطحين لأخذ حوارته (٣) حنقه : أى هلاكه (٤) القناء : النفع (٥) أجدى : أى عاد عليه بالنفع .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذا غنى      يكون كذى رجل ، وليست له نعل  
ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حِجى      يكون كذى نعل ، وليست له رجل

قال أبو حاتم : كفى بالعقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصَرَّف مساوي أعماله إلى المحاسن ، فتجعل البلادة منه حِلماً ، والمكر عقلاً ، والهدر<sup>(١)</sup> بلاغة ، والحدة ذكاء ، والى صمتاً ، والعقوبة تأديباً ، والجرأة عزماً ، والجبن تأنيباً ، والإسراف جوداً ، والإسباك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً إلا موفراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، مواتياً للأخوان ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب . ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبتغل في الفنى ، ولا يشره في الناقة ، ولا يتقادلهوى ، ولا يجمع في الفضب ، ولا يترح في الولاية ، ولا يتنى مالا يجد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يذلى بحجة حتى يرى قاضياً ، ولا يشكو الوجود إلا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه ؛ لأن من مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية .

والعقل يكرم على غير مال كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً<sup>(٢)</sup> .

وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض .

وكلام العاقل وإن كان نزرأ<sup>(٣)</sup> خطوة عظيمة ، كما أن مقارفة المأثم وإن كان نزرأ مصيبة جليلة .

ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه .

(١) الهدر : كثرة الكلام (٢) ربيض الأسد : جثم (٣) نزرأ : قليلا



وآفة العقل المجب ، بل على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جوار  
السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لا يخطيه على عمر الأيام .  
ولا يجب للعقل أن يحب أن يستى به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن  
عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وإن خفي في الأرض أيا ما فإنه لابد  
ظاهر في أوانه ، وكذلك العاقل لا يخفي عقله وإن أخفى ذلك جهده .  
وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أنشدني علي بن محمد الباسي :

إن المكارم أبوابٌ مُصَنَّفَةٌ      فالعقل أولها والصمت ثانيها  
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ،      والجود خامسها ، والصدق سادسها <sup>(١)</sup>  
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها      واللين تاسعها ، والصدق عاشيها  
أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الحجري بالأبلة حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا  
موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا  
جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإن لأدى الرجل يجلس  
مع من هو أقل عقلا منه فأمقته » <sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل ، وهو من أفضل  
ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يندس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .  
والواجب على العاقل : أن يكون حسن السمّت <sup>(٣)</sup> طويل الصمت ، فإن ذلك  
من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السمّت وترك الصمت من شيم الأشقياء .  
والعاقل لا يطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أناه أجله  
لم ينفعه أمله .

(١) سادسها : ثلثة في سادسها (٢) الفت : أشد البغض (٣) السمّت : أى -  
الهيئة والنظر .

والعافل لا يقاتل من غير عُدَّة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأنَّ بالفضل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضي الأمور ، وتصير الدنيا .  
والعافل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع ، وما لم يصيب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقي من عمره بما فنى ، وما لم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتكل على المال وإن كان في تمام الحال ؛ لأنَّ المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .  
والذى يزداد به العافل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أصداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبي مالك الغزى ، قال : سمعت أبي يقول « جالسوا الألباء : <sup>(١)</sup> أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإنَّ العقول تلقح <sup>(٢)</sup> العقول »  
قال أبو حاتم : مجالة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة التى يحتاج العافل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشىء الخطير الذى يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فقرَّب العافل غمِّ لأشكاله ، وبُعيدة لأصداده ، على الأحوال كلها .  
ولا يجب لمن نسي به أن يتدلَّل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يجب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر الثبوت .  
جعلنا الله ممن رُكِّب فيه حسن وجود العقل ، فسلِّك بتمام النعم مسلك الخصال التى تقر به إلى بارئيه ، فى دارى الأمد والأبد ؛ إنه الفعال لما يريد .

(١) الألباء : جمع لبيب ، واللبيب : ذو اللب وهو العقل

(٢) تفيدها وتنورها .

## ذكر إصلاح السرائر يلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير - بقُتْر - حدثنا عمر بن شُبَّة حدثنا مؤمل  
ابن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كره الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت »  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شعباً من  
المأمورات والمزجورات ، لا بد له من معرفتها ، واستعمالها في أوقاتها ، لمباينة العام ،  
وأوباش الناس بها

وإني ذاكر في هذا الكتاب - إن الله قضى ذلك وشاء - خمسين شعبة  
من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ، ليكون الكتاب مشتملاً على خمسين  
باباً ، بناء كل باب منها على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتكلم في  
عقيب كل سنة منها بحسب ما يمتن الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله  
فأقول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صلح  
جوانبيه أصلح الله برآئيه ، ومن فسد جوانبيه أفسد الله برآئيه .

ولقد أحسن الذي يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ، ولكن قل : على رقيب  
ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب  
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قريب ؟

أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي حدثنا شعبة بن هبيرة حدثنا  
جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح  
من غير بضاعة »

قال أبو حاتم : قطب الطاعات للمرء في الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك إفساد الضمائر .

والموجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريره ، والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأن تكثر الأوقات وتنقص اللذات لا يكون إلا عند فساد

ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريره ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجب عليه قلة الإغضاء عن تعاهدها .

أشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يُلبس الله في العلانية العبد الذي كان يَخْتَفِي في السريرة حسناً كان ، أو قبيحاً سيئاً كل ما كان ثم من كل سيئة فاستجرح الله أن تُرائي للناس فإن الرياء بثس الذخيرة أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن عطاء بن أبي رباح عن أبيه قال : قال كعب « والذي فلق البحر لبي إسرائيل ، إني لأجد في التوراة مكتوباً : يا ابن آدم ، اتق ربك ، وصلى رحمتك ، وبرّ والدك ، يُمددك في عُمرِكَ ، وييسر لك يُسرَكَ ، ويصرف عنك عُسرَكَ » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشافعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن فيه حزن حَرِبَ ، كما يَحْرِبُ البيت إذا لم يكن فيه ساكن . وإن قلوب الأبرار تغلّي بأعمال البرّ ، وإن قلوب الفجار تغلّي بأعمال القصور . والله يرى همومكم ، فانظروا ما همومكم ؟ رحمكم الله »

أُشْدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْجَى الْبَغْدَادِي :

وَإِذَا أَعْلَنْتَ أَمْرًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا تُسِرُّ  
فَسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرِّ

أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا شَرِيحُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو معاويةَ عن الأعمش عن إبراهيم قال : « إِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالسَّكَّامِ يَنْوِي فِيهِ الْخَيْرَ ، فَيُلْقِي اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَقُولُوا : مَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ هَذَا إِلَّا الْخَيْرَ . وَإِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالسَّكَّامِ الشَّرِّ لَا يَنْوِي فِيهِ الْخَيْرَ ، فَيُلْقِي اللَّهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا : مَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ هَذَا إِلَّا الشَّرَّ »

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْهَمْدَانِي حَدَّثَنَا الْقَطَوَانِي حَدَّثَنَا سَيَّارُ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ « إِنَّكُمْ وَقُوفَةٌ هَاهُنَا تَنْتَظِرُونَ آجَالَكُمْ ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ تَقْوُونَ الْخَيْرَ ، فَخُذُوا مِمَّا عِنْدَكُمْ لَمَّا بَعْدَكُمْ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَأْخُذَ مِمَّا عِنْدَهُ لَمَّا بَعْدَهُ مِنَ التَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ : بِإِصْلَاحِ السَّرِيرَةِ ، وَنَقْيِ الْفَسَادِ عَنْ خَلَلِ الطَّاعَاتِ عِنْدَ إِجَابَةِ الْقَلْبِ وَإِيَّائِهِ . فَإِذَا كَانَ صَحَّةَ السَّبِيلِ فِي إِقْبَالِهِ مَوْجُودًا أَغْنَاهُ بِأَعْضَائِهِ . وَإِنْ كَانَ عَدَمُ وَجُودِهِ مَوْجُودًا كَبَحَثِهِ عَنْهَا ، لِأَنَّهُ بِصِفَاءِ الْقَلْبِ تَصْفَى الْأَعْضَاءُ وَأُشْدَنِي الْمُتَصَرِّينَ بِلَالُ بْنُ الْمُتَصَرِّ الْأَنْصَارِي :

وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَصُفْ اللَّهُ قَلْبَهُ إِنِّي وَخَشَةٍ مِنْ كُلِّ نَظَرَةٍ نَاطِرٍ  
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَرْتَحِلْ بِيضَاعَةٍ إِلَى دَارِهِ الْأُخْرَى فَلَيْسَ بِشَاجِرٍ  
وَإِنْ أَمْرًا ابْتِغَى دُنْيَا بَدِينِهِ لِمُنْقَلِبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرٍ

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِي بِيغْدَادَ حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ التَّمَّارُ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ عَنْ خَالِدِ الرَّبِيعِيِّ قَالَ « كَانَ لِقَيَّانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَحَارًا ، فَأَسْرَهُ سَيِّدُهُ أَنْ يَذْبَحَ شَاةً ، فَذَبَحَ شَاةً ، فَقَالَ : ائْتَنِي بِأَطْيَبِ مَضْمُونَيْنِ فِي الشَّاةِ ، فَأَتَاهُ

باللسان والقلب، ثم مكث أياماً، فقال : اذبح شاة ، فذبح ، فقال : ائتني بأخبث مضمنتين في الشاة ، فألقى إليه اللسان والقلب ، فقال له سيده : قلت لك حين ذبحت ائتني بأطيب مضمنتين في الشاة ، فأتيتني باللسان والقلب ، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة : ائتني بأخبث مضمنتين في الشاة ، فألقيت اللسان والقلب ؟ فقال : إنه لا أطيب منها إذا طابا ، ولا أخبث منها إذا خبثا »

وأنشدني منصور بن محمد الكرويري :

وما المرء إلا قلبه ولسانه إذا حصلت أخباره ومداخله  
إذا ما رده المرء لم يلك طاهراً فبهيات أن يُنقيه بالماء غاسله  
وما كل من تخشى ينالك شره وما كل ما أملت أنه أنت نائله  
أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكيني - بواسط - حدثنا عبد الحميد بن محمد بن  
مستام حدثنا محمد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان النوفلي قال « دخلت على عمر  
ابن عبد العزيز ، فسمعتة يقول : لا يتقى الله عبد حتى يجد طعام الذل »

قال أبو حاتم : العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات ، ويكبح نفسه عن جميع  
المرجورات ، ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات ، ولزوم الانقباض عند ورود الفترة  
في الحسالات ، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائماً حتى يوجد منه حصة الثابت  
في الأعمال .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

وإذا بحثت عن التقى وجدته رجلاً يُصدق قوله بهمال  
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فبده بين محكّم ومَعَال  
وعلى التقى إذا تراسخ في التقى تاجان : تاج سكينه ، وجمال  
وإذا تناسبت الرجال ، فما أرى نبأ يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرفقة حدثنا عبد الله بن رومي البرزاز عن أبيه قال : قلنا دخلت على إسحاق بن أبي رهمي الرافي إلا وهو يمتثل بهذا البيت :

خير من السال والأيام مقيلة جيب نقي من الآثام والدنس<sup>(١)</sup>

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجعيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورع والتفكر »

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضي لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شعب العقل ، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب . ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل - على ما نذكرها في كتابنا هذا - إن الله قضى ذلك وشاء - كأن قلبه شرّح بسكا كين التقيّة ، ثم ملّح بملح الخشية ، ثم جفّف بريح العظمة ، ثم أحى بماء الغربة ، فلا يوجد فيه إلا ما يرضى للمولى جل وعلا ، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا الثمت أن يتّقع عند الناس ، ومحال أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى بواسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السلي مكتوبا ، وكان حائكا » :

الا إنما التقوى هو العز والكرم وفركك بالدنيا هو الذلّ والمعدم وليس على عبد تقيّ نقيصة إذا صحح التقوى ، وإن حاك أو حجّم

أخبرنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا طريف بن سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن علي بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء : دنا الرحيل ، فأعدّ زاداً » .

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

(١) نقاء الجيب : كناية عن طهارة القلب

إذا انتسب الناس كان التقى بشقواه أفضل من يتسب  
ومن يتق الله يكسب به من الحظ أفضل ما يكسب  
ومن يتخذ سبباً للنجاة فإن تقى الله خير السبب  
وأشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش :

ومها بئر المرء يبدؤ لربه وما ينسئ الإنسان لا ينس كاتبه  
ومن كان غلاباً يجهد وتجدد فذو الحظ في أمر المعيشة غلبه  
وأشدنى أبو بكر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك مجران :

يا نفس ، ما هو إلا صير أيام كأن لذاتها أضغاث أحلام  
يا نفس ، جُوزى عن الدنيا مبادرة وخل عنها ، فإن العيش قدامى

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصارى أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله  
أخبرنا سفيان عن عمن قول : قال عبد الله « إن هذه القلوب شهوة وإقبالاً ،  
وإن لها فترة وإدباراً ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، ودعوها عند فترةها  
وإدبارها » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود  
السبب الذى يورث القساوة له عليه : لأن بصلاح تلك تصلح الجنود ، وبفساده  
تفسد الجنود ، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنب أقربهما من هواء ، وتوخى (١)  
أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذى يقول :

وإذا تشاجر فى فؤادك مرة أمران ، فاعتمد للأعف الأجل  
وإذا هممت بأمر سوء ، فانتد وإذا هممت بأمر خير فاقفل

(١) توخى : قصد ، والردى : الهلاك .



أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عَزْرَةَ الشامي عن مسعر بن كدام عن عَوْن بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب « جالسوا التوابين ، فإنهم أرقُّ أفئدة »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن حَمَلَة حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ قال : كيف حال مَنْ أمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدري ما يُصْنَع به » .  
وأشدنى منصور بن محمد الكُرَيْزِي :

تَحَوَّرَ قَرِينًا مِنْ فِعَالِكَ ، إِنَّمَا يَرَيْنُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ  
فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ ، فَلَا تَكُنْ بِبَيْتِ الَّذِي يَرْمِي بِهِ اللَّهُ تُشْغَلُ  
فَلَا بَدَّ بَعْدَ الْقَبْرِ مَنْ أَنْ تُعَذِّبَهُ لِيَوْمٍ يَسَادِي الْمَرْءَ فِيهِ ، فَيَسْأَلُ  
قُلْنَ بِصَحْبِ الْإِنْسَانِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا الَّذِي كَانَتْ يَفْعَلُ  
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ يُقِيمُ قَلِيلًا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَرْحَلُ

أخبرنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عَبَادَانِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِهِ ، فَأَتَيْنَاهُ نُسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَنَا : صَفُّوا لِلْمَنِيَمِ قُلُوبَكُمْ ، يَكْفِيكُمُ الْمَوْتُ عِنْدَ هَمِّكُمْ » ثُمَّ قَالَ « لَوْ خَدَمْتُ مَخْلُوقًا فَأَطَاعَتْ خِدْمَتَهُ ، أَلَمْ يَكُنْ يَرَاغِي لَخْدَمَتِكَ حُرْمَةً ؟ فَكَيْفَ بِنُيُوعٍ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُسِيءٌ إِلَى نَفْسِكَ ، تَبْقَلِبُ فِي نِعَمِهِ ، وَتَتَعَرَّضُ لِنُضْبِهِ ؟ هِيَاتِ هِيَاتِ ، حِمَّةَ الْبَطَالِينِ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلُقَتُمْ ، وَلَا بَذَا أَمْرُنِي ، الْكَئِيسَ الْكَئِيسَ ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ » وَكَانَ يَفْطَرُ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ .

قال أبو حاتم : لَنْ تَصْفُوَ الْقُلُوبَ مِنْ وَجُودِ الدَّرَنِ فِيهَا حَتَّى تَكُونَ الِهِمَمُ فِي اللَّهِ هَمًّا وَاحِدًا ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَفَى الِهِمَّ فِي الِهِمَمِ إِلَّا الِهِمَّ الَّذِي يَزُولُ

مُتَعَبِهِ<sup>(١)</sup> إلى رضا الباري جل وعز ، بلزوم تقوى الله في الخلوة والملا ، إذ هو  
أفضل زاد العقلاء في دارهم ، وأجل مَطِيَّة الحكماء في حالهم .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

عليك بتقوى الله في كل أمره    تجدد غيَّة يوم الحساب المطول<sup>(٢)</sup>  
ألا إن تقوى الله خيرُ مَنبئة    وأفضل زاد الطاعن المترحل

قال أبو حاتم : قد ذكرت هذا الباب بكما له بالعلل والحكايات في كتاب  
مُحَجَّة المبتدئين بما أرجو الفسحة للناظر إذا ما تأملها ، فأغنى ذلك عن تكراره في  
هذا الكتاب .

### ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالا :  
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن زُرَّ بن حُبَيْش قال :  
« أتيت صفوان بن عَسَّال المراهي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : جئت أنبسط العلم<sup>(٣)</sup>  
قال : فإن سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من خارج يخرج من  
بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رِضاً بما يصنع »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته : أن يُشَتَّى  
بطلب العلم والمداومة عليه ، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا

---

(١) متعبه - بضم الميم وفتح التاء والعين ، وتشديد القاف مفتوحة - أراد  
عاقبته .

(٢) القلب ، بالكسر : عاقبة الشيء كالغنية ، بالفتح

(٣) نبسط العلم : استخرجه ، والأصل فيه استنباط الماء من البئر ونحوه

إلا بصفاء العلم فيه ، وحكمُ العاقل أن لا يُقَصَّر في سلوك حالة توجب له بسطُ  
للائسكة أجنحتها رصاً بصنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملاً في سعيه الدنوي من السلاطين ، أو نوال الدنيا  
به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد الدعياطي حدثنا  
عبد الرحمن بن عَفَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم يؤتى  
إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال : عند  
القاضي ، ما للعالم وما للقاضي ؟ ما للعالم وما للأمير ؟ ينبغي للعالم أن يكون في  
مسجده يقرأ في مُحَاضَرَتِهِ » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي  
قال « يا طلابَ العلم ، لا تطلبوا العلم بفساهيةٍ وطيشٍ ، اطلبوه بسكينةٍ ووقارٍ  
وَنُؤْدَةٍ » .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وفي العلم والإسلام المرء وازع      وفي ترك طاعاتِ الفؤاد المتيم  
بصائرُ رُشيدٍ للفتى مُسْتَبِينَةٍ      وإخلاص صدق علمها بالتعلم

أخبرنا إبراهيم بن نصر<sup>(١)</sup> حدثنا عبيد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر  
عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبي عيسى الخياط قال قال الشعبي : « إنما  
كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان  
عاقلاً ولم يكن ناسكاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان  
ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال :

---

(١) يياض بالأصل .

الشمي « فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما ،  
لا عقل ولا نك »

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما يناله من  
حطام هذه الدنيا : لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره : لأن المبتغى من  
الأشياء كلها نفعها لانفسها ، والعلم ونفس العلم شئان ، فمن أغضى عن نفعه لم  
ينفع بنفسه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن العيان  
قال : سمعت صفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ،  
ثم العمل به ، ثم النشر » وأنشدني الأبرش :

تعلّم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهلٌ  
وإن كبر القوم لأعلم عنده صغيرٌ إذا التفت عليه المحاولُ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جري عن  
بريد بن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً  
حتى تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به ، لأن  
من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد غرأً وتجرأً ، وللعمل تركاً وتضييعاً ، فيكون  
فساده في المتأسين به فيه أكثر من فساد في نفسه ، ويكون مثله كما قال الله تعالى  
( ١٦ : ٢٥ ) وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ )

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن  
ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « في جهنم أرحية تطحن العلماء  
طحنًا ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا »

أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر

بن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليكمل به سرّه علمه ،  
وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخرأ »

أخبرنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني  
سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر القراء قال: قال الحسن « مَنْ أَحَبَّ  
الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه ، ومن أراد علماً ثم ازداد على الدنيا  
حرصاً لم يزد من الله إلا بئداً ، ولم يزد من الله إلا بنصاً »

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الخدني حدثني إسماعيل  
ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن الديلمي حدثنا أبو العوام « أن إبراهيم سمع  
صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب الصلِّ بإتِّير الورع	وباين النوم ، واجر الشَّبَعَا
ماضر عبداً صحت إرادته	أجاع يوماً في الله أو شيعا
ماضر عبداً صحت عزائمها	أين من الأرض ، أينما صقعا <sup>(١)</sup>
ما طمعت نفس عابد فتوى	سؤال قوم إلا لهم خضعا
يا أيها الناس ، ما اعلمكم	في بحر ماء الملوك قد كرمنا <sup>(٢)</sup>
يا أيها الناس ، أنتم زرع	بمحصد تلوت كلنا طلعا

أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبيد الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيى بن  
اليمان العجلي عن سفيان الثوري قال « العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ،  
فإذا اجتبر الطبيب الداء إلى نفسه ، فمضى يداوى غيره ؟ »

أنشدني أحمد بن محمد الصنعاني أنشدني محمد بن عبد الله العراقي :

(١) « أو » أينما وقع ، والمقع : الوقوع على الأرض اليابسة المستعجرة  
(٢) كرم من الماء : عب وشرب

عُتُوا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      شَبَابًا ، فَلَمَّا حَصَلُوهُ وَحَشَرُوا  
وَصَحَّحُوا فَمِنْ إِسْنَادِهِ وَأَصُولِهِ      وَصَارُوا شَبَوْنًا ضَعِيفَةً وَأَدْبَرُوا  
وَمَالُوا عَلَى الدُّنْيَا ، فَهُمْ يَحْلِيُونَهَا      بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوحَهَا لَا يُضَرَّرُ<sup>(١)</sup>  
فِيَا عِلْمَاءَ السُّوءِ ، أَيْنَ عَقُولُكُمْ ؟      وَأَيْنَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الْمُتَخَيَّرُ ؟  
أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيُّ - بِصُورَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْلَبِيُّ قَالَ :  
سَمِعْتُ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ « كُنْتُ مَعَ ابْنِ الْبَارِكِ بَغْدَادَ ، فَرَأَى إِسْمَاعِيلُ  
ابْنَ عُثَيْبَةَ رَاكِبًا بَقْلَةً عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ ، فَأَتَانَا يَقُولُ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ يَارِيَا      يَصْطَادُ أَمْوَالَ السُّلَاطِينِ  
لَا تَتَّبِعِ الدِّينَ بِدُنْيَا ، كَمَا      يَفْعَلُ ضُلَّالُ الرِّهَاطِينِ  
أَحْتَلْتُ لِلدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا      بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْأَدِينِ  
وَصُرْتُ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا      كُنْتُ دَوَاءَ الْمَجَانِينِ  
فَفَكَّرَ النَّاسُ جَمِيعًا بِأَن      زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطُّيْنِ

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَرْذَعِيُّ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحَدُ بَنِي  
عَبْدِ اللَّهِ الْقُسَيْرِيِّ قَالَ « لَدَاؤِي لِبْنِ عُثَيْبَةَ حُدُودَاتِ الْإِيلِ وَالْقَمَمِ بِالْبَصْرَةِ ، كَتَبَ  
إِلَيْهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ كِتَابًا ، وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِهِ :

يَا جَاعِلَ الدِّينِ لَهُ يَارِيَا      يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ  
أَحْتَلْتُ لِلدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا      بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْأَدِينِ  
يَا فَاضِحَ الْعِلْمِ وَمَنْ كَانَ ذَا      لِبَرٍّ وَمَنْ عَابَ السُّلَاطِينِ<sup>(٢)</sup>

(١) أَخْلَافٌ : جَمْعُ خَلْفٍ ، وَهُوَ نَدَى الشَّاةِ وَنَحْوُهَا مِنْ كُلِّ حَالِبٍ ، وَالنَّصْرِيَّةُ :  
جَمْعُ اللَّبَنِ وَاحْتِرَاقُهُ فِي النَّصْرِ

(٢) قَدْ وَقَعَ هُنَا إِقْوَاءٌ : قَالَ فِي الْفَاسُوسِ : أَقْوَى فِي الشَّعْرِ ، خَالَفَ فِي قَوَائِمِهِ بِرَفْعِ  
بَيْتٍ وَجَرَّ آخِرَ ، وَقُلْتُ قَصِيدَةً لَهُمْ بِإِقْوَاءٍ ، وَأَمَّا الْإِقْوَاءُ بِالنَّصَبِ فَقَلِيلٌ أَوْ قَدْرٌ  
تَكَرَّرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ لَهُ

أين رواياتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين؟  
وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلت : أكرهت ، فماذا كذا زلّ حصار العلم في الطين  
فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :  
أفٍ لدنيا أبت تواتني إلا بنقضي لها عرى ديني  
عني لِحَتْنِي<sup>(١)</sup> تدير مقلتها تطلب ما سرّها لتردني

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد الترمسي حدثنا  
وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يُقبَضَ  
وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَصْحَابُهُ ، وَإِنْ كُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى  
كِتَابِ اللَّهِ ، وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى  
يُفْتَقِرُ ، أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ عِنْدَهُ ؟ وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ »  
حدثنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا  
قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة  
الرواية ، إنما العلم بالخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن  
القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم بالخشية »  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : مجانية ما يدنس علمه من أسباب هذه  
الدنيا ، مع القصد في لزوم العمل بما قدّر عليه ، ولو استعمال خمسة أحاديث من  
كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع  
من العلم فلا يجب أن يعجز عن حفظه .

(١) الحين ، بالفتح : الموت والمهلك

وانقد أبنانا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد ابن بشير الخراعي يقول :

أما لو أعي كل ما أسمع      وأحفظ من ذاك ما أجمع  
ولم أستغده غير ما قد جمه      ت لقييل : هو العالم المفتح<sup>(١)</sup>  
ولكن نفسي إلى كل شيء      من العلم نسمه تنزع  
وأحضر بالجهل في مجلسي      وعلى في الكتب مستودع  
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت      ولا أنا من جمه أشيع  
ومن يك في علمه هكذا      يكن دهره القهقري يرجع  
إذا لم تكن حافظاً واعياً      فجمعك للكتب لا ينفع  
وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبداً      غير ذي حفظ ولكن ذا غلط  
وتراه حسن الخط إذا      كتب الخط بصيراً بالنقط  
فإذا فنشته عن علمه      قال : علمي يا خليلي في السقط<sup>(٢)</sup>  
في كرايس جياذ أحكت      ومخط أي خط أي خط  
فإذا قلت له : هات لنا      حك نخيه جميعاً وأمتخط

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الربالي<sup>(٣)</sup>  
حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول :  
« من تعلم علماً في حق وسنة لم يذهب الله بعقله أبداً »

(١) شاهد مفتاح كقصد : أي رضى بفتح به

(٢) السقط - محركة كما في القاموس : كالجوالق ، أو كالفنة .

(٣) الربالي بالفتح ولام : نسبة إلى ربالي اسم جده اه لباب الأنساب



حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال « كتب إلى أبي ، وأنا بالكوفة : اشتر الصنف ، وأكتب العلم ؛ فإن المال ينفى والعلم يبقى »

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك ، قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حكيم ، فأوحى الله إليه : إنك قد ملأت الأرض نفاقاً ، وإن الله لم يتقبل شيئاً من نفاقك »

قال أبو حاتم : إغناء المرء عمره بكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان في طلب العلم دون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شيم العقلاء ، ولا من زى الألباء ، وإن من أجود ما يستعين المرء به على الحفظ : الطبع الجيد ، مع الهمة واجتناب المعاصي ، وأنشدني الأبرش :

نِعِمَّ عون العتي الطُّوبَ لعلم أولبعض المقول صحة طبع

فإذا الطبع فاته بطلَّ العلم وصار العناء في غير نفع

سمعت إبراهيم بن نصر العنبري يقول : سمعت علي بن خشرم يقول

سمعت وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية »

قال أبو حاتم : يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن الزدياد من العلم آثر عند العاقل من الذكر بالعلم ، والعمر زين في الرخاء ، ومنجاة في الشدة ، ومن تعلم ازفاد ، كما أن من حاتم ساد ، وفضل العلم<sup>(١)</sup> في غير خير مهلكة ، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقة ، والعاقل لا يسعى في فنونه إلا بما أجدى عليه نفعاً في الدارين معاً ، وإذا رزق منه الخط لا يخل بالإفادة ، لأن أول بركة العلم الإفادة ، وما رأيتُ أحداً قط يخل بالعلم إلا لم ينتفع به ، وكما

(١) أي : الفاضل والزائد من العلم عن الحاجة

لا ينفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم يتبع ، ولا بالذهب الأحمر ما لم يُستخرج من معدنه ، ولا بالثوب النفيس ما لم يخرج من بخره ، كذلك لا ينفع بالعلم ما دام مكتوناً لا ينشر ولا يفاد .

أبانا أحمد بن مضر الرابطي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح القراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من بخل بالحديث يتلى بأحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يتلى بالسلطان »

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن بُرد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك » وأنشدني الكريزي :

أفد العلم ، ولا تبخل به      وإلى علمك علما فاستفد  
استفد ما استطعت من علم وكن      عاملاً بالعلم والناس أقفد  
مَنْ يُدَمِّمَ يَجْزِيَهُ اللهُ بِهِ      وسيغني الله عن مَنْ يُقَدِّمُ  
ليس مَنْ نَاقَسَ فِيهِ عَاجِزاً      إنما العاجز من لا يجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد بن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيعبد به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أوطأ إلى آخرها له فوضعها في الآخرة »

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعلمها في كتاب « العالم والمتعلم » ، بما أرجو أن يكون فيه نفع لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأننا شرطنا في هذا الكتاب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل والإشارة إلى قصد نفس التحصيل .

## ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي - ببغداد - حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأخوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر المطيبتين - اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ مجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المورد للمره موارد القلب ، والصمت يكسب المحبة والوقار ، ومن حفظ لسانه أراح نفسه ، والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمنطق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال « إن من الحكمة الصمت ، وقليل قاعله » .  
وأنشدني الكريزي .

أقلل كلامك واستعد من شره    إن البلاء يبعثه مقرون<sup>(١)</sup>  
واحفظ لسانك ، واحتفظ من غيئه    حتى يكون كأنه مسجون  
وكل فؤادك باللسان ، وقل له    إن الكلام عليكما موزون  
فإناء وليك محكما ذا قلة    إن البلاغة في القليل تكون

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال : سمعت مالك بن أنس يقول « كل شيء ينفع بفضله<sup>(٢)</sup> إلا الكلام فإن قلة يضر »  
أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا مروان بن محمد عن سعيد

(١) عجز هذا البيت من قولهم في مثل « إن البلاء موكل بالمنطق » .

(٢) الفضل ههنا : الزيادة

ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين :  
مُنْعِيَةٍ وَاِع ، أو متكلم عالم »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم ، ولا  
يعترض عليهم فيه ؛ لأن الكلام وإن كان في وقته حظوةً جليلة فإن الصمت  
في وقته مرتبةٌ عالية ، ومن جهل بالصمت عي بالمنطق <sup>(١)</sup> . والإنسان إما هو  
صورة مثلة أو ضالةٌ مهملة ، لولا اللسان ، والله جل وعز رفع جارحة اللسان على  
سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه  
إذا جنى .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

لئن كان يحني اللوم ما أنت قائل ولم يك منه النفع قالصمت أيسرُ  
فلا تبدِ قولاً من لسانك لم يرضِ موافقة من قبل ذاك التفكرُ  
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هارون بن محمد بن بكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد  
هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحا كلُّ قول يشينه الإكثارُ  
أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثني محمد بن داود بن سليمان الرملي حدثنا  
السيب بن واضح قال : سمعت ابن المبارك يقول :

تماهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله  
وهذا اللسان بريدُ الفؤاد يدلُّ الرجال على عقله  
أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق أنبأنا إبراهيم بن

(١) أي من وصفه الناس بالجهل لصحته كان منطقاً عيباً

الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « شيطان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن اليمان يقول : قال سفيان الثوري « أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره »

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتيبي عن علي بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصاة من زيغ المنطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم ، فما أكثر من ندم إذا نطق ، وأقل من يندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مُطَلَّق ، وفؤاد مُطَبَّق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، ويضع كل خصلة منها في موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وناطق يرد به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد تذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودة ، ومُسَلِّ يذكي القلوب ، ومُعَرِّ ترد به الأحزان .

ولقد أحسن الذي يقول :

إن كان يسجبك السكوت فإنه	قد كان يعجب قبلك الأخيار
ولئن ندمت على سكوت مرة	فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ، ولربما	زرع الكلام عداوة وضرا
وإذا تقرب خاسر من خاسر	زاد بذلك خسارة وتبارا <sup>(١)</sup>

(١) التبار : الهلاك .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا العلاء  
ابن سعيد الكندي حدثني أبو حية قال « كنت أمأشي إسماعيل بن سهل ، وكان  
أحد الحكماء ، فقال لي : ألا أخبرك ببيت شعر خير لك من عشرة آلاف  
درهم ؟ قال : نعم قال : أيما أحب إليك ؟ نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال :  
قلت : نفسي ، فأنشأ يقول :

انخفض الصوت إن نطقت بلبيل والتفت بالنهار قبل المقال  
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقا كعبي وعالما كجاهل ،  
وساكتا كناطق ؛ لأن الكلام لا بد له من الجواب ، والجواب لو جعل له جواب  
لم يكن للقول نهاية ، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية ، والمتكلم لا يسلم من أن  
ينسب إليه <sup>(١)</sup> الصلف والتمكلف ، وانصلبت لأيليق به إلا الوقار وحسن السمات -  
وتهد أحسن مدى يقول :

حَتَفُ امرئ لسانه في حَذِّه أولمه  
بين اللهأ مقتله رُكْب في مركبه <sup>(٢)</sup>

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الفلاحي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد  
ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال  
عمر بن الخطاب « يا أحنف ، من أكثر كلامه أكثر سقطه ، ومن أكثر سقطه قلَّ  
حيأؤه ، ومن قلَّ حيأؤه قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه مات قلبه »  
وأنشدني الأبرش :

مازل ذو صمت ، وما من مكث إلا يرل ، وما يُعاب صموت  
إن كان منطلق ناطق من فِضة فالصمت كدر زانه الياقوت

(١) الصلف : السكبر

(٢) اللهأ : جمع لهأة ، وهي لحة في سفح الخلق ، أي حشفه وهلاكه في لسانه  
وهو مما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكيه »

أَبَانَا ابْن قَتِيبَةَ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ بَكَّارٍ يَقُولُ « جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ بَابَيْنِ ، وَجَعَلَ لِللَّسَانِ أَرْبَعَةَ : الشَّفَتَيْنِ مَصْرَاعَيْنِ ، وَالْأَسْنَانِ مَصْرَاعَيْنِ »

أَبَانَا بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الطَّاحِيَّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْمِيُّ أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خَنْبَسٍ عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ « أَنَّ شَابَا كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَيُحَسِّنُ الْإِسْتِمَاعَ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، فَقَطَّنَ لَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ تَحْضُرُ مَجْلِسَنَا ، وَتُحَسِّنُ الْإِسْتِمَاعَ ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ : إِنِّي أَحْضَرُ فَأَتَوَقَّى وَأَتَنَقَّى ، وَأَصْمَتُ فَأَسْلَمُ »

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! - الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُنْصَفَ أُذُنُهُ مِنْ قِيَمِهِ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَتْ لَهُ أُذُنَانِ وَفَمٌ وَاحِدٌ لِيَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَقُولُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ رَبِّمَا نَدِمَ ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ لَمْ يَنْدَمَ ، وَهُوَ عَلَى رَدِّ مَا لَمْ يَقُلْ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى رَدِّ مَا قَالَهُ ، وَالسَّكَامَةُ إِذَا تَكَلَّمَ بِهَا مَلَسَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَسَتْهَا ، وَالْعَجَبُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالسَّكَامَةِ إِنْ هِيَ رُفِفَتْ رَبِّمَا ضَرَّتْهُ ، وَإِنْ لَمْ تُرَفَعْ لَمْ تَضُرْ ، كَيْفَ لَا يَصُدُّهُ أَوْ رَبُّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نَفْسَهُ ! »

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ قُرَيْشٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ النَّهْطِيُّ قَالَ : أُنْشِدَنِي رَجُلٌ مِنْ رِبِيعَةَ :

لَعَمْرُكَ مَا شِئْتُ عِلِمْتُ مَكَانَهُ      أَحَقَّ بِسَجْنٍ مِنْ لِسَانِ مُذَلَّلٍ  
عَلَى فَيْكِ مِمَّا لَيْسَ بِعَيْنِكَ شَأْنُهُ      يَقُولُ وَثِيقِي مَا اسْتَطَعْتُ فَأَقُولُ  
قُرْبَ كَلَامٍ قَدْ جَرَى مِنْ تُمَارِحِ      فَسَاقَ إِلَيْهِ سَهْمٌ حَتْفٍ مَعْجَلٍ  
وَلَلَصِمْتُ خَيْرٌ مِنْ كَلَامٍ بِمَائِمْ      فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمُ ، وَإِنْ قُلْتَ فَاعْدِلْ  
أَخْبَرَنَا أَبُو يَحْيَى حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ بَرْدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ

ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظالماً أن لا تزال مخاصماً ، وكفى بك  
آثماً أن لا تزال ممارياً ، وكفى بك كاذباً أن لا تزال محدثاً ، إلا حديثاً في ذات  
الله تبارك وتعالى »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنانى حدثنا كثير  
ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبي سعيد عن كعب قال « العافية  
عشرة أجزاء ، تسعة منها في الكوت »

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى  
القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ،  
ومنهم من لا عقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يبصر ما يخرج منه  
قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى يبصر ما يخرج منه بعد أن يتكلم .  
ومنهم من لا عقل له ، فحدثت به عبد الرحمن بن مهدي ، بعد ما رجعنا من عند  
يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام ،  
وقال : لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة ، لعله سمعه من غيره »

وأشدنى البغدادى محمد بن عبد الله بن زنجى

أنت من الصمت آمين الزلزل ومن كثير الكلام فى وجلي<sup>(١)</sup>  
لا تقل القول ثم تنبيهه ياليت ما كنت قلت لم أقول  
سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول : سمعت  
أبي يقول سمعت الأوزاعى يقول « ما بلى أحد فى دينه بلاء أضر عليه من  
طَلَاقة لسانه »

سمعت محمد بن محمود اللدائى يقول : سمعت أبا أحمد بن أبي قديد يقول :

(١) الزلزل : السقوط ، والوجل : الخوف ، وكلاهما بفتح أوله وثانيه



سمعت العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عارماً يقول : سمعت خالد بن الحارث يقول « الكوت زين للعاقل ، وشين للجاهل »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لو لم يكن في الصمت خصلة تحمد ، إلا تزين العاقل وتشين الجاهل به لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت ما وجد إليه سبيلاً ، ومن أحب السلامة من الآثام فليقل ما يقبل منه ، وليقل مما يقبل منه : لأنه لا يجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق<sup>(١)</sup> ،

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يليق بهم . من ذلك ما حدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالك لا تكتب عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه . واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال « إني لأكذب الكذبة فأعرفها في عملي » أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ماصح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله » .

( ١ ) الفائق : المتفوق على القدرة على حسن التأتى وانتقاء القول من واسع ما علم . فهذا يقدم على الكلام وانقاً متنبهاً فيقيد . والمائق : الأحمق السفيه الذى لا يهجه أن يلتقى بنفسه في كل ورطة ، وأن يزج بنفسه في كل بلية لا خلاص له منها لأنه لا يقدر العوائق ، ولا يفكر في المصائر .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : والعقل لا يتدىء الكلام إلا أن يقال  
ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا سُئِمَ ، ولا يجازي إذا أسمع ، لأن  
الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند القبيح أحسن منه »

وأنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

الصمت عند القبيح يسمه      صاحبُ صدق لكل مضطرب  
فأثر الصمت ما استطعت ، فقد      يؤثّر قول الحكيم في الكتب  
لو كان بعض الكلام من ورق      نكان جُلّ السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي حدثنا إسماعيل بن إبراهيم  
أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن المغيرة بن مسلم المجببي عن أسير  
ابن جابر قال « ما رضعت عنراً قط » ولو قلت لا أرضعها خفت أن يصير بي  
البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مؤكّل بالقول »

وأنشدني الكريزي

استر اليمى ما استطعت بصمت      إن في الصمت راحة للصموت  
واجعل الصمت إن عيت جواباً      رب قول جوابه في السكوت

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن  
ابن مهدي حدثنا سفيان عن يزيد بن حبان عن عيسى بن عتبة قال : سمعت  
ابن مسعود يقول « والله الذي لا إله غيره ما شيء أحق بطول سجن من لسان »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في  
الأوقات ، وإن من أعظم الخلل التلفد لصحة السرائر والمذهب لصلاح الضمائر :  
لأن كثار من الكلام ، وإن أبيع له كثرة النطق ، ولا سبيل للعز إلى رعاية  
الصمت إلا بترك ما أبيع له من النطق .

كما أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن

سفيان عن نسير بن دعلوق عن إبراهيم التيمي أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أنيابنا الجنيدي حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبيد الله أنيابنا سفيان عن أبي طعمة عن رجل من الحلي قال : أتيت الربيع بن خثيم بنعي<sup>(١)</sup> الحسين . وقالوا: اليوم بشكم مغارة ، فذاؤه ومدبها صوته ، ثم قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون .

أنيابنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا القلابي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال « بينا أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها على بعير لها ، فقلت : يا أمة الجبار من تطلبين ؟ فقالت : من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، قال : فعلت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك قد أضلت أصحابك ؟ قالت : فهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً وعداً ، فقلت لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سبعان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، فعلت أنها مقدسية ، فقلت لها : كيف لا تتكلمين ؟ فقالت : ما يلفظ من قولي إلا لديه رقيب عتيد ، فقال بعض أصحابي : ينبغي أن تكون هذه من الخوارج ، فقالت : ولا تنف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، فبينما نحن نمشيها إذ رفعت لنا قباب وخيم ، فقالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أفطن لقولها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقالت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبعن أدهو ؟ فقالت : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا ذكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلئ ، فقالوا : أما ورب الكعبة أضللتها منذ

ثلاث ، فقالت : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، فأومأت إلى أحدكم فقالت : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، فلينظر أيتها أزكى طعماً فليأتكم برزق منه ، فقلت : إياها أمستهم أن يزودونا ، فجاؤا بخبز وكعك ، فقلت : لا حاجة لنا في ذلك ، فقلت للفتية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمنا ماتكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب ، قد نوت منها فقلت : يا أمة الله ، أوصني ، فقالت : ما أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، فقلت أنها شيعية<sup>(١)</sup> ، فأنصرفت .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات في كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فالتواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيع له من النطق ، لئلا يقع في المزجورات ، فيكون ختمه في يخرج منه : لأن الكلام إذا كثر منه أوردت صاحبه التلذذ بضد الطاعات ، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يُجدي عليه نفعه في الآخرة ، كان وجود الإمساك عن السوء أولى به .

وأشدني للتنصر بن بلال الأنصاري :

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه  
وأقلل إذا ما قلت قولاً ، فإنه إذا قلَّ قول المرء قلَّ خطاؤه

أبانا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني  
حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الملق بن زياد قال قال موريق المجلي

(١) إن صحت - فلها مقصد غير ما فهم ، وهي إنما توصيه أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يؤذيه أهله ، وهو يبرهم ويحسن إليهم ، ويبلغهم رسالة ربه ، رجاء لنجاتهم من عذاب الله ، ورجاء سعادتهم في الدنيا والآخرة ، لما كان بينهم وبينه من القربى .

« أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين ، واست بتارك طلبه ، قال : وما هو يا أبا المعتز ؟ قال : الصمت عما لا يعنيني . »

أبنا إبراهيم بن نصر المنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فإظن اللانكة كتبت عليه شيئاً . »

### ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرني أحمد بن محمد بن حبيب الجندي قال : حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا محاسن بن اللودع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان قال قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له أجر ، وإن الرجل يكذب حتى يكتب له عقاب ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب له عقاب ، وإن الرجل يكذب حتى يكتب له عقاب ، وإن الرجل يكذب حتى يكتب له عقاب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن الله جل وعلا فذل اللسان على سائر الجوارح ، ورفع درجته ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يحب للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يحب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه في داريه ، لأن اللسان يقتضى ما عود : إن صدقاً فصدقاً ، وإن كذباً فكذباً .

ولقد أحسن النبي يقول :

عود لسانك قول الخير تحفظ به إن اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضى ما سئنت له فاختر لنفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادي حدثنا الهيثم

ابن خازجة حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول :  
« كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أَجَنَّبَ بنيه السَّعْنَ ، وكان يأمرني أن  
لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : عَلَّمَ بَنِي الصَّدَقِ كما تعلمهم  
القرآن ، وجنبهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعني القتل »  
وأنشدني الأبرش :

الكَذِبُ مُرْدِيكَ ، وإن لم تحف      والصَّدْقُ مُنْجِيكَ على كل حال  
فانطق بما شئت تجد غِبَّهُ      لم تُبْتَخَسْ وزنة مقال<sup>(١)</sup>  
أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم  
ابن حبان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن  
أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة  
بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبر في الجنة ، ألا وإن الكذب والنسور في النار »  
أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني  
طيسلة بن علي البهزلي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأراك يوم عرفة ،  
وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المنافق ، قال : المنافق ،  
— ونحك ! — الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينجز ، وإذا أوتى لم يؤد » .  
سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن خلف بن أبي الأزهر  
يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما من مَضْغَة أحب إلى الله من لسان  
صديق ، وما من مَضْغَة أبغض إلى الله من لسان كذوب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل شيء يستمار ليتجمل به سهل وجوده ،  
خلا اللسان ، فإنه لا ينيء إلا عما عوّد ، والصدق ينجي ، والكذب يريدي ،

(١) غب الشيء : عاقبه ، ولم تبْتَخَسْ : معناه لم تنقص .

ومن غلبَ لسانه أَمَره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه » وأنشدني الكريزي .

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدقاً  
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقاً  
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا فقه إذا كان حاذقاً  
قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشين إلا إزالته صاحبه بحيث إن صدق لم يُصدق ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخبر في كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول « إن الله أعطانا على الكذابين بالنسيان » وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا ما المرء أخطأ ثلاث فبعه ، ولو بكفٍ من رَماد  
سلامة صدره ، والصدق منه ، وكتمان السرائر في القواد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال قال الزهري « لو رأيت طاووساً نعلت أنه لا يكذب » قال أبو حاتم رضي الله عنه : اللسان سبع عقور ، إن ضبطه صاحبه سلم ، وإن خلى عنه عقرة ، وبئس يفتضح الكذوب ، فالماقل لا يشغل بالخوض فيما لا يعلم فمَنهم فيما يعلم ، لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى الفضائح ويكتم

الحاسن ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أُرِدَى برأيه ، وأفقد صدقه .

ولقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يَحْدُثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبيد الله أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « طَوِّقْ لِمَنْ خَوَّنَ لِسَانَهُ ، وَوَسَّعَ يَدَهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ »  
أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

وإذا الأمور تراوحت      فالصدق أكرمها فتاحاً  
الصدق يقد فوق رأ      من خائفيه بالصدق تاجاً  
والصدق يقدح زنده      في كل ناحية سراجاً

أنبأنا القطان بالرفقة حدثنا يوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن ربيعة قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربيعة ، وتذكرون من كان ربي ؟ كان رجلاً من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، فسعى به ساع إلى الحجاج ، فقال : ها هنا رجل من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، وإنه يكذب لك اليوم ، فإنك ضربت على ابنه البعث ففصصاً ، وهما في البيت ، وكان عقوبة الحجاج للعاصي ضرب السيف ، قال : فدعاه ، فإذا شيخ منحن ، فقال له : أنت ربي ؟ قال : نعم ، قال : ما فعل ابنك ؟ قال : هاهنا ذان في البيت . قال : فخلعه وكساه وأوصى به خيراً »

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي عن أبيه قال « كان عمر بن الخطاب يمتني ، ففطش ، فأتته إلى عجزوز ، فاستسقاها ماء .



فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا ، فَقَالَ : لَيْسَ ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا ، فَبَدْرَتْ جَارِيَةَ فَقَالَتْ لَهَا :  
تَكْذِبِينَ ، وَمَا تَسْتَحِين ؟ ثُمَّ قَالَتْ لِعَمْرٍ : هَذَا السَّقَاءُ فِيهِ لَيْسَ ، فَسَأَلَ عَمْرٌ عَنْ  
الْجَارِيَةِ فَإِذَا أَبُوهَا تَقْفَى فَنَظَّيْبَهَا عَلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍ ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ ، فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا  
أُمُّ عَاصِمٍ ، فَزَوَّجَهَا عَبْدُ الْمُزِيزِ بْنِ مُرْوَانَ فَوُلِدَتْ لَهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ  
مُرْوَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ! » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّدَقُ يَرْفَعُ الْمَرْءَ فِي الدَّارَيْنِ ، كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ  
يَهْوِي بِهِ فِي الْحَالَيْنِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّدَقِ خِصْلَةٌ تَحْمَدُ إِلَّا أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا عَرَفَ بِهِ  
قِيلَ كَذِبُهُ ، وَصَارَ صَدَقًا عِنْدَ مَنْ يَسْمَعُهُ — لَسَكَانُ الْوَاجِبِ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَبْلُغَ  
مَجْهُودَهُ فِي رِيَاضَةِ لِسَانِهِ ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ لَهُ عَلَى الصَّدَقِ وَجْهَانِ الْكَذِبِ ، وَالْعَمَى  
فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْقِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَلَامٍ أَخْطَأَ صَاحِبُهُ مَوْضِعَهُ فَالْعَمَى  
خَيْرٌ مِنْهُ

أَنْشَدَنِي الْمُتَصَرِّفُ بْنُ بِلَالٍ :

تَحَدَّثْ بِصَدَقٍ إِنْ تَحَدَّثْتَ ، وَلِيَكُنْ لِكُلِّ حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِكَ حِينٌ  
فَمَا الْقَوْلُ إِلَّا كَالثِّيَابِ ، فَبَعْضُهَا عَلَيْكَ ، وَبَعْضُهَا فِي الثُّخْتِ مَصُونٌ <sup>(١)</sup>  
وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

كَمْ مِنْ حَسِيبٍ كَرِيمٍ كَانَ ذَا شَرَفٍ  
قَدْ شَانَهُ الْكَذِبُ وَسَطَ الْحَيِّ إِنْ عَمِدَا  
وَأَخْرَ ، كَانَ صُفْلُو كَا ، فَشَرَّفَهُ  
صَدَقُ الْحَدِيثِ وَقَوْلُ جَانِبِ الْقَسَدَا  
فَصَارَ هَذَا شَرِيفًا فَوْقَ صَاحِبِهِ  
وَصَارَ هَذَا وَضِيْعًا تَحْتَ أَبْدَا

(١) الثُّخْتُ : جَمْعُ تَحْتٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا يُحْفَظُ فِيهِ الثِّيَابُ

أَبَانَا أَبُو خَلِيفَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ ، أَنبَأَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَيْبٍ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ « لَا يَجِدُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَهُوَ نَحَقٌ » ، وَيَدَعَ السَّكْذِبَ فِي الْمِرَاحِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَغَلَبَ »

أَبَانَا ابْنُ سَعِيدِ الْقُرَازِ ، حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْلَمٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمِيدٍ ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَلَالٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ « دَرُّ مَالَسْتَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ، وَلَا تَنْتَقِ فِيهَا لِأَعْيُنِكَ ، وَآخِرُ لِسَانِكَ كَمَا تَخْزَنُ دِرَاهِمُكَ » وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدِ الْهَرَوِيُّ :

الْقَوْلُ كَالسَّيْنِ الْمُخْلُوبِ ، لَيْسَ لَهُ رَدٌّ وَكَيْفَ يَرُدُّ الْخَالِبُ اللَّيْنُ  
فِي ضَرْعِهِ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ لَيْسَ لَهُ فِي الْجُوفِ رَدٌّ قَبِيحًا كَانَ أَوْ حَسَنًا  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَرْكُ الْإِعْضَاءِ عَنْ تَعْبُدِ  
اللِّسَانِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ كَثَرِ كَلَامِهِ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَالسَّقَطُ رِيحٌ تَعْدِي غَيْرُهُ فَيَهْلِكُ فِي  
وَرِطَةٍ لَا حَيَاةَ لَهُ فِي التَّخْلُصِ مِنْهَا ، لِأَنَّ اللِّسَانَ لَا يَنْدُمُ جُرْحُهُ ، وَلَا يَلْتُمُ مَا قَطَعَ  
بِهِ ، وَكَلَّمُ الْقَوْلِ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ لَمْ يَنْزِعْ إِلَّا بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْرِجْ  
إِلَّا بَعْدَ حَيَاةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَنْ النَّاسُ مَنْ لَا يُكْرِمُ إِلَّا لِّسَانَهُ ، وَلَا يَهَانُ إِلَّا بِهِ ؛  
فَالوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ يَهَانِ بِهِ . »

أَبَانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْمَاطِيُّ الْهَمْدَانِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرٍ ، حَدَّثَنَا  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَقِيلِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو سُلَيْمَةَ الْخَزَاعِيُّ ، حَدَّثَنَا شَيْبَةُ بْنُ شَبَةَ ،  
قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ سِيرِينَ يَقُولُ « السَّكَّالِمُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَكْذِبَ فِيهِ ظَرِيفٌ »  
ذَكَرَ الْحَثَّ عَلَى زُورِ الْحَيَاءِ وَتَرْكِ الْقُبْحَةِ (١)

أَبَانَا الْمُحْضِلُ بْنُ الْحَبَابِ الْجَمْعِيُّ ، حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ،  
(١) التَّمَعَّةُ - بِكسر القاف وفتحها - مصدر قولهم : وَقَحَ الرَّجُلُ - بِالضَّمِّ - إِذَا قَلَّ حَيَاؤُهُ

عن ربيع ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قبحته ، ولقد أحسن الذى يقول :

وليس بمنسوب إلى العلم والنهى      فتى لا ترعى فيه خلائق أربع  
فواحدة : تقوى الإله التى بها      يقال جسيم الخير والفضل أجمع  
وثانية : صدق الحياء فإنه      طباع عليه ذو المروءة يطبع  
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت      إليه خبايا من فجور تسرع  
ورابعة : جود بملك يمينه      إذا نابه الحق الذى ليس يدفع  
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه      فلا خير فى وجه إذا قل ماؤه  
حياءك فاحفظه عليك ، فانما      يدل على وجه الكريم حياؤه  
أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن  
أبي الأحوص عن عبد الله قال « الأمانة فى المؤمن الفحش » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء اسم يشتمل على مجانية المسكروه من الخصال  
والحياء حيآن : أحدهما : استحياؤه العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام<sup>(١)</sup>  
بمباشرة ما حظر عليه .

والثانى : استحياؤه من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول  
والفعل معاً .

(١) الاهتمام : أراد به الهم بالشئ والعزم على فعله

والحيا آن جميعاً محمودان ، إلا أن أحدهما فرضٌ والآخر فضل ، فلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل .  
وأنشدني محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيمي قال : أنشدني رجل من خزاعة :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء  
فلا والله ، ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء  
بعيش المرء ما استمعيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخطب « أيها الناس ، استحيوا من الله ، فوالله ما خرجت حاجة منذ بايعت رسول الله صلى الله وسلم أريد الغائط إلا وأنا مُقَنَّع رأسي حياء من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء من الإيمان ، وللمؤمن في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجافي في النار ، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .  
فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الورع إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً ، وتوأتى الشر منه موجوداً ؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها ، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إيها ، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إيها .

ولقد أحسن الذي يقول :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء  
فكان هو الدواء لها ، ولكن ، إذا ذهب الحياء فلا دواء  
وأنتأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى .

ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال :  
« من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعوّد نفسه لزوم الحياء من الناس ، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة ومجانبتها الخلال المذمومة ، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله القور من النار بلزوم الحياء عند مجانبته ما نهى الله عنه ؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معافى المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين ، وإذا قوى حياؤه قوى كرمه ، وضعف لؤمه ، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه ، وضعف كرمه ، ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا رُزِقَ الفتي وَجْهًا وَقَاحًا      تغَابَ في الأمور كما يشاء  
ولم يك للدواء ولا لشيء      يعالجه به فيه غشَاء  
فمالك في معاتبة الذي لا حياء      لوجهه إلا العناء

قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عِرضه ، ودفن مساويه ، ونشر محاسنه ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُتِّتَ ، ومن مُتِّتَ أودى ، ومن أودى حزن ، ومن حزن فقد عقله ، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لاله ، ولا دواء لمن لاحياء له ، ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تَصُنْ عرضاً ولم تخش خالقاً      وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع  
إذا كنت تأتي المرء تُعْظِمُ حَقَّهُ      ويجهل منك الحق فالتصرم أوسع

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود التلبي باليمن حدثنا  
أحمد بن زيد بن السكن الجندی عن مفيان بن عيينة قال : قال يحيى بن جعدة  
« إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسيه »

### ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر

أنبأنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « ما نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بغوا إلا عزاً  
ولا تواضع أهدته إلا رفعة الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة  
التكبر ، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمد إلا أن المرء كلما أكثر تواضعه أزداد  
بذلك رفعة لكان الواجب عليه أن لا يتزناً بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع المحمود :  
ترك المحاول على عباد الله ، والإعزاز بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع المرء  
لدى الدنيا ورغبة في دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع  
المحمود على الجهات كلها .

ولقد أنبأنا الحسن بن مفيان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن  
عجلان عن بكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدي أن عمر بن الخطاب قال « إن  
الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكيمته » <sup>(١)</sup> وقال : انتمش نمشك الله ، فهو في

(١) الحكمة — بفتحات — حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحكمة تمنعه عن  
مخالفة رايه ، ومنه حديث عمر « إنه العبد إذا تواضع لله رفع الله حكيمته » ورفعها  
كتابة عن الإعزاز ، لأن من صفة الدليل تنكيس رأسه

نفسه صغير ، وفي أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهسه الله إلى الأرض ، وقال : أخسأ ! أخسأك الله ، فهو في نفسه كبير ، وفي أعين الناس صغير . قال أبو حاتم رضي الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ، ويزيده نبلاً .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند ما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذي يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العُجْب عن الطاعات والتواضع الآخر هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المآثم حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنایات .

كما أتينا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين . حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : قال أبي « يا بني لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أبينا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البراز ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن سميع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريح عن مجاهد في قوله ( كانوا لنساء خاشعين ) قال « متواضعين »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يلزم بجانب التكبر ، لما فيه من الخصال المنعمومة

إحداها : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل

والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحق الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى بالمستحق أن أكرمه الله بالإيمان طغيانا .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا في صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا : فمن نازعه إحداها ألقاه في النار ، إلا أن يتفضل عليه بفضوه .  
ولقد أحسن الذي يقول :

التيه مفسدة للدين ، منقصة للعقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه  
لا تشترهن : فإن النذل في الشره والعز في الحلم لا في البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت  
الأصمعي يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول « الشريف إذا تقرأ <sup>(١)</sup>  
تواضع ، والدنيء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يمنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب  
السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الحقد ، ويذهب الصد ، وثمره التواضع المحبة ،  
كما أن ثمره القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر  
الوضيع يزيد في ضعفه ، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذكرة ، وآخره  
يعود جيفة فذرة ، وهو بينهما يحمل العذرة ؟

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت ابن  
عبيدة يقول : لو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لانعرف .

وأشدنى الكريزي :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا      فكم تحبها قوم ثم منك أرفع  
فإن كنت في عز وخير ومنعة      فكم مات من قوم هم منك أمتع ؟



أنشدنا أبو عمرو به أو ابن قتيبة ، أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط :  
وكفى بملتص التواضع رفعةً وكفى بملتص العلو مسافلاً  
أبنا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزي ، حدثنا حمص بن غياث  
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال « حج الحسين بن علي عشر حجج ماشياً  
وُنُجِبَهُ <sup>(١)</sup> تقاد إلى جنبه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن  
قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا  
يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ،  
وما رأيت أحداً تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه .

وأنشدني محمد بن أبي علي الخلابي :

ودع التيه والعُبُوس على الناس فإن العُبُوس رأس الخماقة  
كلما شئت أن تعادى عاديت صديقاً وقد تفر الصداقة  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسبت  
الحبة بمثل التواضع ، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا  
يجب لصاحب الكبر أن يطعم في حسن الثناء ، ولا تكاد ترى ثائها إلا وضيعاً  
فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنّاً منه تواضع له ، وقال : سبقني إلى  
الإسلام ، وإذا رأى من هو أصغر سنّاً تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، وإذا  
رأى من هو مثله عده أخاً ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار  
أحد ، لأن العود المذبذبة ربما انتفع به فحك الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد ،

(١) نجب - بضم النون والجيم - جمع نجيب ، وهو الجمل

قال : سمعت محمد بن شعيب بن شاذان يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسي ، قال : فقام فشد عليه إزاره ففسل رأسه ، وذلك جسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله في السودان مثلك ، قال : أحيت أن يكثرت من يخدمك »

أخبارنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله المدائني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بنى جبل على جبل لذلك الله الباغى منهما . »

أخبارنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « ما سبت شيئا قط » ثم قال لعلنا « ناولي نعلي ، قال : نعلك في رجلك »<sup>(١)</sup>

أخبارنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أخبرنا علي بن خنيس ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك ينسى ، فقال قهرمانه<sup>(٢)</sup> : اشتر لي غلاما وسمه باسم خفيف حتى لا أنساه ، قال : فاشتري له غلاما ، وأدخله عليه ، فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سميته ؟ قال : فرقد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس يا واقد »

ذكر استجباب التعجب إلى الناس من غير مقارفة المأثم<sup>(٣)</sup>

أخبارنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عتبة بن سليمان عن هشام بن عمرو ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو

(١) العبرة في هذا : أنه أنسى ما لا يصبغ أن ينسى ، فكان دليلًا على فساد دعواه

(٢) القهرمان : الخادم . ومالك : هو ابن أنس إمام دار الهجرة

(٣) أي مع التحفظ والخنو أن يدنو مما فيه إثم وخطيئة تغضب الله

الأزدى ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحرم على النار كل هين لين قريب سهل »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتجنب إلى الناس بلزوم حسن الخلق ، وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا ، كما تذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيئ يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها ، وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدني البغدادي :

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلباً على الناس يهر  
وأنقهم منك يبشر ، ثم صن عنهم عريضك عن كل قدر

أبانا حامد بن شعيب البلخي ببغداد ، حدثنا سريح بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تقطع ، وإن النعم تكفر ، ولم أر مثل تقارب القلوب » .

أبانا الخلالدي ، حدثنا محمد بن المنيرة النوفلي ، ثنا عبد العزيز بن منبج حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « إذا خالطت خالط حسن الخلق ، فإنه لا يدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه في راحة ، ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر ، وصاحبه منه في عناء ، ولأن بصحبي فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبي قاريء سيئ الخلق ، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه ، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس ومقتوه » .

(١) هين : ليس نافرأ مستعصياً ، لين الجانب ليس خشناً ، قريب الخلق ليس شكماً

وأنشدني محمد بن المهاجر المعدل ، أنشدني محمد بن إبراهيم البصري :  
 حافظ على الخلق الجميل ومُرْ به ما بالجميل وبالقيح خفاء  
 إن ضاق مالك عن صديقك فآلقه بالبشر منك إذا يحين لقاء  
 أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ، حدثنا يحيى بن حكيم القومى ، حدثنا  
 الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول « الصوم في البستان من  
 الثقل » (١)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حسن الخلق بذرا اكتساب المحبة ، كما أن سوء  
 الخلق بذرا استجلاب البغضة ، ومن حسن خلقه صان عرضه ، ومن ساء خلقه  
 حثك عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب  
 أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى  
 النار ، إلا أن يتداركه المولى بفضل منه وعفو .

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازى ، حدثنا أبو عمير النخاس ،  
 حدثنا ضمرة ، عن رجاء بن أبى سلمة عن الزهرى قال « وهل يُنتفع من السيئ  
 بخلق بشىء ؟ »

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهل لا ترا ل وجوههم تدعو إليه  
 طوبى لمن جرت الأمور ر الصالحات على يديه  
 ما لم يضق خلق الفتى فالأرض واسعة عليه

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أساء ، حدثنا مهدي بن ميمون ،

(١) أى صوم التنفل مع وجود الرقعة الدين خرجوا فلانزهة والتفرج في بستان  
 كثير العاكهة التى قلما يراها طلاب العلم ، فمن صام كذلك كان منتظما

عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مهران قال « التودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن المسألة نصف العلم واقتصادك في معيشتك يُنقّي عنك نصف المؤونة » قال أبو حاتم رضى الله عنه : التعجب إلى الناس أسهل ما يكون وجها ، وأظهر ما يكون بشرا ، وأخصر ما يكون أمرا ، وأرق ما يكون نهيا ، وأحسن ما يكون خلقا ، وألين ما يكون كفا ، وأوسع ما يكون يدا ، وأدفع ما يكون أذى ، وأعظم ما يكون احتمالا ؛ فإذا كان المرء بهذا النعت لا يحزن من يُحبه ولا يفرح من يحسده ؛ لأن من جعل رضاه تبعا لرضا الناس <sup>(١)</sup> ، وعاشرهم من حيث هم استحق الكلال بالسودد . وأشدنى على بن محمد البسامي :

أعاشر معشري في كل أمرٍ بأحسن ما أريت وما رأيت  
وأجتنب المقابح حيث كانت وأترك ما هويت وما قرئت <sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعي إلى صدّ محبتهم له : هو التضايق في الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سئم أهله وجيرانه ، واستنقله إخوانه ، فحينئذ تمنوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائي يقول : سمعت أبا الحسن الرهاوي يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

فقدت ثقال الناس في كل بلدة فيارب لا تغفر لكل ثقیل

(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يغضب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكنف يألف ويؤلف .

(٢) وما قرئت : أى ما أتيت من الأعمال العجيبة . يقال « فلان يفرى القرا » إذا كان يأتي بالمجب . اهـ من لسان العرب

أبينا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا محمد بن عبيد الله بن إسرائيل قال : سمعت عمرو بن الحارث يقول : تسخين العين النظر إلى من تسكره<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاستئصال من النفس يكون سببه شيئين : أحدهما : مفارقة المرء ما نهى الله عنه من المآثم ؛ لأن من تعدى حرمة الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ، فلا يكاد يراه أحد إلا استنقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الطحال ما يكره الناس منه ، فإذا كان كذلك استحق الاستئصال منهم . وأشدني الكريزي :

ليتني كنت ساعة ملك الموت ، فأفنى الثقال حتى يبيدوا  
ولو أني وأنت في جنة المأوى لقلت : انخرج منها أريد  
لدخول الجحيم أهون من جنة خلد ، أراك فيها تروود  
أبينا عمر بن حفص البرازي حدثنا إسحاق بن الصيفي حدثنا أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نقش خاتم أبيك - يعني أبا أبي مسهر - ابرمت<sup>(٢)</sup> قم ، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فتأفل حرك خاتمه ، وقال : اقرأ نقش خاتمي ، وكان إذا قرأ قام »

أبينا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن إسرائيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت مخلداً أبا أبي عاصم يقول : إذا أبغضت الرجل أبغضت شقي الذي يليه .

(١) من قولهم « أسخن الله عينه » أي أحزنه . كما قالوا « أقر الله عينه » إذا دعوا بأن يبره الله ويفرحه .

(٢) تقول : أبرم الرجل إرباماً : أي أضجره وأمله وأسأمه .

سمعت محمد بن السري البغدادي يقول : سمعت أبا بكر المروزي يقول :  
سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الخافى ، فقال :  
النظر إليهم سُخْنَةُ العين ، قلت لأحد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه  
هو استئصال الخاص : إذا عرف أحدكم من بعض الناس ثُلَمًا في السنة <sup>(١)</sup> أبغضه  
على بدعته ، فأما العام <sup>(٢)</sup> فلا يكادون يصادون ويوالون إلا على المحبوب من  
الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المقتنع الكندي حيث يقول لبعض  
من صحبه :

ألا ياترك المقت الذى أرى ، فلا يبرخ  
ويا من سكرات الموت من طلعت أرواح <sup>(٣)</sup>  
لقد صوّرت في فكري فلا أدري لما تصلح ؟  
فلا تصلح أن تهجى ولا تصلح أن تمدح  
بلى ، تصلح أن تقتل أو تصلب أو تدبح

سمعت أحمد بن محمد البلخي الذهبي يقول : قال محمد بن أبي الورد قال يحيى  
ابن ماسويه : النظر إلى الثقل حُمى تمرى بين الجلودين .

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت  
أبا أسامة يقول : اتقوا بمُسْتَمَلٍ خفيف على القواد ، إياى والثقلاء ، إياى والثقلاء  
أبنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا إبراهيم

(١) الثلثة : فرجة المكسور والمهدوم ، ويعنى به التجافى عن السنة

(٢) أى العامة والجمهور من الناس

(٣) من الراحة ، أى أكثر راحة

ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من  
أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقل مرة ، ففُشِيَ على  
وانشدني المنتصر بن بلال :

وأنت على مودتنا حريص ولكن لا تخف على القواد  
وأثقل من رجا يزر علينا<sup>(١)</sup> كأنك من بقايا قوم عاد

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عنبير حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع  
حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استقل جلسا له  
قال « اللهم اضر لنا وله ، وأرحنا منه في عافية »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجاورة الخصال التي تورثه  
استئصال الناس إياه ، وملازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ، ويستجلب به محبتهم : البذل لمم مما  
يملك المرء من خُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى ،  
فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التي  
تبغضه ، وأساء إلى التي تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان أسرعهما  
إلى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته  
وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ،  
وإذا قوى أمّل ، وإذا أمّل تبع المأسول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف أيس ،  
وإذا أيس ولى عن التبوع .

(١) أى الرعى إذا طحن حب البذر الرطب بخلاف الرجا يطحن بها ما يبعد  
بالتجفيف للطعام



فمن عدم المال فليبسظ وجهه للناس<sup>(١)</sup> . فان ذلك يقوم مقام بذل المعروف ،  
إذ هو أحد طرفيه .

أنيابنا محمد بن المهاجر العدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازني قال : سئل  
ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو بسط الوجه ، وبذل المعروف »  
أنيابنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد  
ابن القاسم الأسدي عن متعة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقمامة الدار ، أو بكناسة  
الدار ، عريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : يا خبيث ارفع إزارك » .

أنيابنا محمد بن إبراهيم البلدوري بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي  
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : إذا لقي المسلم أخاه  
فصاحه وكثر<sup>(٢)</sup> في وجهه نحاتت ذنوبه ، كما تحبب العِدق من النخلة . فقال  
رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير . فقال مجاهد : ( ٨ : ٦٢  
هو الذي أيدك بنصره وبالؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً  
ما ألفت بين قلوبهم ) أفسير هذا ؟ .

### ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداهنة مع الناس

أنيابنا محمد بن قتيبة اللخمي بمسقلان وعمر بن سعيد بن سنان الطائي  
بتنبيع قالوا : حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد  
ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مداراة الناس  
صدقة » .

---

(١) أي يسعهم بيشره وحسن أخلاقه ، حيث لم يسعهم بحاله ، فإن في الأثر  
« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم »  
(٢) كثر : تبسم وضحك ، لأنه يقال : كثر عن أسنانه أي أبداهها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه في العشرة من غير مقارفة المداينة ؛ إذ المداراة من المداير صدقة له ، والمداينة من اللدائن تكون خطيئة عليه ، والفصل بين المداراة والمداينة : هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذي هو له مقيم بلزوم المداراة ، من غير أن يترك الدين من جهة من الجهات ، فتقضى ما تخلف المرء بمخلق شابه<sup>(١)</sup> . بعض ما كره الله منه في تحلقه ، فهذا هو المداينة ، لأن عاقبتها تصير إلى غلٍّ ، ويلزم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله . ومن لم يدار الناس مثواه كما أنشدني علي بن محمد البساس :

دار من الناس مَلالاً مِمَّ      مَنْ لَمْ يَدَارِ النَّاسَ مَثْوَهُ  
وَمُسْكِرُ النَّاسِ حَيْبٌ لَهُمْ      مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ أَحْبَبُهُ

أنيأنا محمد بن أحمد بن أبي عون المرباني حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم من لم يمارس بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدءاً ، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يدارى الناس مداراة الرجل الساجد في الماء الجاري ، ومن ذهب إلى حشرة الناس من حيث هو كدَّر على نفسه عيشه ، ولم تصف له مودته ؛ لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مأثماً ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمح ولا طاعة ، والبشر قد رُكِبَ فيهم أهواء مختلفة وطباع متباينة ، فكما يَشَقُّ عليك ترك ما جُبلت عليه ، فكذلك يَشَقُّ على غيرك مجانبته مثله ، فليس

(١) أى : خالطه . يقال : شاب اللبن ماء ، أى خلطه .

إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. أنشدني الأبرش :

وقالت ، وهزت رأسها وتضحكت : على الود تُجَفَى ، أم على العهد تُوصَلُ ؟  
فقلت : فلم أفل ، فقالت : تُريده فقلت : فلم أفل ، فقالت : ستفعل  
أبناؤنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا حرم<sup>(١)</sup> قال : سمعت حبيب  
ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، أصحب الناس بأى خلق  
شئت يصحبوك عليه » وأنشدني الكريزي :

تَجَنَّى علي بما قد جنى وَبُفِلْظٍ فِي الْقَوْلِ ، إِنْ لَيْتُ لَهْ  
وَيَسْبِقُ بِالْعَذْلِ لِي ظَالِمًا كَأَنَّ الصَّوَابَ لَهُ لَالِيَهْ  
كَمَا قَالَ فِي مَثَلٍ عَالِمٌ خَذِرَ اللَّصَّ بِالذَّنْبِ لَا تُغْفَلَهْ<sup>(٢)</sup>  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يُدْرِكُ ،  
ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بُدًّا ، وإن دفعه الوقت إلى  
استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها ، واستقبح أشياء كان يستحسنها ،  
مالم يكن مأثمًا ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثر من دأري فلم يسلم . فكيف  
توجد السلامة لمن لا يدأري ؟ أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

يَا ذَا الَّذِي أَصْبَحَ لَا وَالِدَ لَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا وَالِدَهُ  
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِمَا آدَمُ فَأَيُّ نَفْسٍ بَعْدَهُ خَالِدَهُ ؟  
إِنْ جِثْتَ أَرْضًا أَهْلُهَا كُلُّهُمْ عَوْرٌ ، فَنَمُضُ عَيْنِكَ الْوَاحِدَهُ

(١) في الخلاصة في ترجمة أحمد بن مقدم : وردى عن حماد بن زيد ،  
وجزم القطيعي — بالجيم والزاي  
(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل يأخذك »

أُنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال « كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح لحدث رجل بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه ، قال : فغضب ، وقال : ماهذه الطباع ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأُريه كأنني لأحسن منه شيئاً »

أُنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن محمد الصيداوي ، حدثنا حماد بن إسحاق عن المدائني ، قال : قال معاوية « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، قيل : وكيف ؟ قال : لأنهم إن مدّوها خَلَّتْها ، وإن آخَلوها مددتها »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه ، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد ، وترك الشُّحْناء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يداري صديق الصَّدق ليس بمحازم . ولقد أحسن الذي يقول :

تجنب صديق السوء وأصرمُ حباله      وإن لم تجد عنه تحيصاً فداره  
وأحبب حبيب الصديق ، واحذر مراده      تنلُ منه صفوُ الودِّ ما لم تماره  
أُنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الخوراني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال : قال أبو الدرداء لأُم الدرداء « إذا غضبتُ فَرَضِيْنِي ، وإذا غضبتِ رَضِيْتِكِ ، فإذا لم تكن هكذا ما أسرع ما تفترق »  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل إذا دفعه الوقت إلى محبة من لا يثق بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدهما زَلَّةً فَرَقَضَهُ لَزَلته ، بَقِيَ وحيداً لا يجد مَنْ يعاشره ، فريداً لا يجد من يخافه ، بل يُنفِضِي على الآخر

الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته ؛ لأن المناقشة تلزمه في تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في فرعه .

ومن أنواع المداراة : ما حدثني الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال « كانت لرجل جارية ، فوطئها سرا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شوذب : وكانت مريم تغتسل في كل ليلة »

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

أَغَضُّ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي ، كَأَنِّي لَدَيْهِ بِمَا يَأْتِي مِنَ الْقَبِيحِ جَاهِلٌ  
وَمَا بِي جَهْلٌ ، غَيْرَ أَنْ خَلِيقَتِي تَطْلُقُ احْتِمَالَ الْكُفْرِ فَيَا أَهْوَالَ  
مَتَى مَا يَرِبْنِي مَفْصِلٌ فَقَطَعْتُهُ بَقِيتُ وَمَالِي فِي نَهْوَضِي مَفَاصِلُ <sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ أَدَارِيهِ ، وَإِنْ صَحَّ شَدَّتْنِي فَإِنْ هُوَ أَعْبَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ <sup>(٢)</sup>

أبناؤنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي « لا تعامل بالخدعة ، فإنها تُخْلِقُ اللثام ، وانحصر أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال »

(١) يقول : لو أني كلما رايت من صديقي أمرا يسبب فصل ما بيننا من مودة لم أجد عند احتياجي إلى من ينهض لي عند عثرتي صديق . كما قال بشار بن برد :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَانِيَا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تَعَابِي  
فَعِشْ وَاحِدًا ، أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مَقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجَانِبُ

(٢) يقول : إن من الحكمة أن أداري صديقي وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح وده قويت به ، وأعطاني شدة في أمري ، وإن ضعف وعجز وجدت منه بعض ما يتعامل به من قوة أتتفعم بها

## ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أنبأنا أحمد بن صالح الطبري ، حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد بن جعفر المدائني ، حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه في الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا مَرَّ بالنوم فسَلَّم عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه رَدَّ عليه مَنْ هو خير منهم وأطيب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام ؛ لأن من سَلَّم على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام مما يذهب إفشاءه بالمكثن من الشحنة<sup>(١)</sup> ، وما في الخلد من البغضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي الإخوان .

والبادئ بالسلام بين حستين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إِيَّاه على السلم عليه بفضل درجة ، لتذكيره إياهم بالسلام ، وبين رَدَّ الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زُبَيْدُ الْيَاسَمِيِّ<sup>(٢)</sup> « إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه ، وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام » .

(١) المكثن : ما أكنه الضمير فأخفاه . والشحنة : المحسومة . والخلد - بفتح الحاء واللام - البال والقلب والنفس . وجمه : أخلاق . يقال « وقع ذلك في خلدي » أي في روعي وقلبي (٢) هو زبيد - مصفرا - بن الحارث ، الياسمي ، ويقال : اليايمي .

أخبرنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن  
 رِصْلَةَ بن زُفَر العَبْسِي ، قال حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاثٌ من جمعٍ جمع  
 الإيمان : الإتيان من الإقتار ، والإيناف من نفسك ، وبذل السلام للعالم »  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم  
 عليه متبسماً إليه ، فإنَّ من فعل ذلك تحاتٌ عنهما خطاياهما كما تحاتُّ <sup>(١)</sup> وَرَقُ  
 الشجر في الشتاء إذا تيسرَ ، وقد استحق المحبة من أعطاهم بشر وجهه .  
 ولقد أخبرني محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبري ،  
 حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا إسماعيل بن حماد عن سعيد بن الحسن  
 قال : قيل له « ما أبشكتُ ؟ قال : إنه يقوم على رَحِيصٍ <sup>(٢)</sup> وأنشدني الأبرش :  
 أخو البشر محبوب على حسن بشره      وإن يعدم البغضاء من كان عابسا  
 ويسرعُ بخلُ المرء في هتكِ عرضه      ولم أرَ مثل الجود للعرو حارسا  
 قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأن البشر يطفىء نار  
 المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصينٌ من الباغى ، ومنجاة من  
 الساعى <sup>(٣)</sup> ، ومن بشَّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .  
 أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادي حدثنا سويد عن  
 علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب في الحكمة :  
 يا بني ، لِيَسْكُنْ وجهك بَسْطاً ، وَلِتَسْكُنْ كلُّك طَيِّبَةً - تكن أحبَّ إلى الناس  
 من أن تعطاهم العطاء » .

(١) تحات : سقط لجفافه ويبسه .

(٢) يقول : إن البشاشة رخيصة لا تكلفه مالا ولا جهدا ، وإنها غالية وقيمة ،  
 لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أسباب البغضاء .

(٣) الذي يسعى بالوقية ليفرق بين الأحبة .

وأنشدني الخلالدي أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدي نسعيد بن عبيد الطائي :

إلّقَ بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ، ولا قيمَ بالطلاقِ  
تجنّ منهم جَنَى نمارٍ ، فخذها طيباً طعمه لذيدَ المذاقِ

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال « يعجبني من القراء كل سَمَلٍ طَلَقَ مِضْحَاكُ . فأما من تلقاه يبشر ويلقاك به يوم يَمُنُّ عليك بعمله ، فلا أَكْثَرَ الله في القراء ضربَ هذا<sup>(١)</sup> »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَرَ في سلوك قصده أن يُعَيِّس عليه بعمله وجهه ، بل يُظهر البشر والبشاشة له ، فلعله في سابق علم الله أن يرجع إلى صحة الأوبة إلى قصده مع ما يجب عليه من الحمد لله والشكر له على ما وفقه لخدمته ، وحرّم غيره مثله .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلالدي أخبرني محمد بن موسى السمرى أن حماد بن إسحاق أنشدهم :

فتى مثل صنوئلاء ، أما لقاؤه      فيشرّ ، وأما وعده فجميل  
يسرك مَقْتَرًا ، وبشرق وجهه      إذا اعتلّ مذموم القِعال بخيل  
عَمِيٌّ عن القحشاء ، أما لسانه      فعتّ ، وأما طَرَفُهُ فكليل

---

(١) الضرب والضرب : المثل في الشكل والتقدم والخلق . ويقال « فلان ضريب فلان » أي نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضرائب .



وأنشدني منصور بن محمد السكري :  
 لن تستمَّ جيلًا أنت فاعلهُ      إلا وأنت طليقُ الوجه بهلولُ  
 ما أوسط الخيرَ فابسط راحتيك به      وكن كأنك دون الشرِّ مغولُ  
 أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل  
 حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن  
 خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم »

ذكر ما أيسح من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا هدية بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا  
 قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادم يقال له : أنجشة ،  
 وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة لا تكسر  
 القوارير <sup>(١)</sup> » قال قتادة : معنى ضَمَّةَ النساء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس  
 إليه بالمزاح ، وترك التعبُّس .

والمزاح على ضربين : فزاح محمود ، ومزاح مذموم .  
 فأما المزاح الحمود : فهو الذي لا يشوبه <sup>(٢)</sup> ما كره الله عز وجل ، ولا يكون  
 بأنهم ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم : فالذي يُشير المداوة ، ويُذهب البهاء ، ويقطع الصداقة ،  
 ويُجرِّئ الدناء عليه ، ويُحقِّد الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي حدثنا أبو موسى الأنصاري

(١) كان أنجشة رضي الله عنه يحدو الإبل وينشطها في السير بحميل موته ،  
 فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أنجشة رققا بالقوارير » (٢) يشوبه : يخالطه

حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة ، ويُفيلُّ الصدر » .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الحضر التميمي حدثنا عبد الله بن حبيب قال : كان يقال « لا تمازح الشريف ، فيحقد عليك ، ولا تمازح الوضيع ، فيجتري عليك »

وأنشدني محمد بن عبد الله :

أكرم جليسك ، لا تمازح بالأذى      إن المزاح تُرى به الأضغان<sup>(١)</sup>

كم من مزاح جَدَّ حَبْلَ قرينه      فتجذمت من أجله الأقران<sup>(٢)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح في غير طاعة الله مُسَلِّبٌ للبهاء ، مُقَطِّعٌ للصدقة ، يورث الضغن ، وينبت الغل .

وإنما سُمي المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق ، وكَم من افتراق بين أخوين ، وهجران بين متآلفين ، كان أول ذلك المزاح .

أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسين القرشي حدثنا الأسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لا تمازج صديقك ولا تمازجه ، فإن مجاهداً كان له صديق ، فآمرضه ، فأعرض كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، فمأزاه عن السلام حتى مات »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً لتهيبج المراء ، والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المراء مذموم في الأحوال كلها ، ولا يخلو المأري

(١) ترى : إما من الرؤية ، فمعناه : تتكشف وتظهر به الأضغان ، وإما من الورى . ومعناه : تفتح به شرارة العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) جذ الحبل وجذمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً في الثمار والزرع لأن فيه معنى الاستئصال ، والجذم في القطع مع سرعة .

من أن يفوته أحد رجلين في المراء : إما رجلٌ هو أعلم منه ، فكيف يجادل من هو دونه في العلم ؟ أو يكون ذاك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟ . ولقد سمعت حفص بن عمر البزاز يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول : سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كُدام :

إني نَحَلْتُكَ <sup>(١)</sup> يا كدام نصيحتي فاسمع مقال أبي عليك شفيق  
أما المزاخة والمراءُ فدَعَّهَا خُلقان لا أرضاها لصديق  
إني بَلَوْتُهُمَا ، فلم أَخْجِدْهُمَا لِحَاجِرٍ جَاراً ، ولا لشفيق  
والجهل يُزَيِّرُ بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أخو الشَّان <sup>(٢)</sup> ، كما أن المناقشة أخت  
العداوة ، والمراء قليل شمه ، كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب  
يكون القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم <sup>(٣)</sup> وما ماري أحد أحداً إلا وقد  
عَيَّرَ المراء قليبهما ، ولقد أحسن الذي يقول :

وإياك من حلو المزاج ومُرَّه ومن أن يراك الناس فيه مماريا  
وإن مراء المرء يُخْلِقُ <sup>(٤)</sup> وجهه وإن مزاح المرء يبدى الشانيا  
دعاء مزاح أو مراد إلى التي بها صار مَقْلِيَّ الإخاء وقاليا <sup>(٥)</sup>  
أخبرني محمد بن المنذر حدثني كثير بن عبد الله التميمي حدثني إسماعيل  
ابن محمد الطلحي حدثنا أبو الأخفش السكتاني أنه قال لابن له :

(١) إما أن يكون بالحاء المعجمة ، من نَحَلَ الدقيق : صفاه ، واستخلص نقيه ،  
يقصد أني استخلصت لك أصدق نصيحة وأصفاهها ، وإما من النحلة - بالحاء المهملة -  
وهي العطية الخالصة على ود وتكريم (٢) الشَّان : شدة البغض والعداوة  
(٣) « هراقة » أصله إرواقة ، ويقال : أراق ، وهراق ، وأهراق ، بمعنى سفع  
وأسال (٤) أخلفت الثوب : أبليت جدته ، وأذهبت روثه وبهجه  
(٥) « القلي » اسم مفعول ، من قليت : بمعنى هجرت وأبغضت .

أَبَى لَا تَكُ مَا حَبِيتَ عَمَارِيَا      وَدَعَ السَّفَاهَةَ ، إِنَّمَا لَا تَنْفَعُ  
لَا تَعْمَلَنَّ ضَعِيفَةً      لِقَرَابَةٍ      إِنَّ الضَّعِيفَةَ لِلْقَرَابَةِ تَقْطَعُ  
لَا تَحْسَبَنَّ الْحِلْمَ مِنْكَ مَذَلَّةً      إِنَّ الْحِلْمَ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي الهروي حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد  
قال : سمعت أبي عن الأوزاعي قال : قال بلال بن سعد « إذا رأيت الرجل  
لجوجاً عمارياً معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح إذا كان فيه إثم فهو بسوء الوجه ،  
ويُدْمى القلب ، ويورث البغضاء ، ويحیی الضعيفة ، وإذا كان من غير معصية  
يُسَلَّى الهمم ، ويرقع الخلَّة <sup>(١)</sup> ، ويحيي النفوس ، ويذهب الحشمة ، فالواجب  
على العاقل أن يستعمل من المزاح ما ينسب بفعله إلى الخلاوة ، ولا ينوي به أذى  
أحد ، ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائذ - كان بهراة - حدثنا أحمد بن عبد الله  
ابن حكيم العرياني - قرية من قرى مَرَوْ - حدثنا سهل بن يحيى عن أبيه عن  
الأعمش عن إبراهيم قال « لا يمازحك إلا من يحبك »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصلت  
ابن مسعود حدثني ابن عيينة قال : أظنني سمعته من داود بن شاپور ، عن محمد  
ابن المنكدر قال : قالت لى أمى وأنا غلام « لا تمازح الغلمان ، فهون عليهم ،  
أو يحترثوا عليك »

حدثنا عمرو حدثنا القائلبي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن بجاشم عن  
غالب القطان عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « من كثر ضحكك

(١) الخلَّة ، بضم الحاء : الصداقة ، أى يرقع ويصلح من الصداقة والمحبة  
ما مزقته الملالة والسأم .

قَلَّتْ هَيْبَتُهُ ، وَمِنْ مَزَحِ اسْتُخِفَّ بِهِ ، وَمِنْ أَكْثَرِ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ «  
 أَنبَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الطَّائِفَانِيُّ عَنْ مُبَشَّرِ  
 ابْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ رَاشِدِ بْنِ أَبِي قَبَالٍ قَالَ « اسْتَقَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، فَأَنْبَتَهُ  
 بِسَوِيْقٍ مُخَلَّى ، فَقَالَ : يَا رَاشِدُ شَكَرَ أَرْدَسْتُ شَبِيرِينَ <sup>(١)</sup> »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من مازح رجلا من غير جنسه هان عليه  
 واجترأ عليه ، وإن كان المزاح حقاً ، لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير  
 مسلكه ، ولا يظهر إلا عند أهله .

على أنى أكره استعمال المزاح بمحضرة العام ، كما أكره تركه عند حضور  
 الأشكال .

ولقد أخبرنا كامل بن مكرم حدثنا ربيعة بن الحارث الجيلاني حدثنا عبد الله  
 ابن عبد الجبار الجباري قال : قال أبو عبد الرحمن الأعرج « كان إبراهيم بن آدم  
 يحدثنا ، ويفضحنا ، وإذا رأى غيرنا قال : هذا جاسوس »

### ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم - بيت المقدس - حدثنا عبد الرحمن  
 ابن إبراهيم حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي  
 عن أبي سعيد الخدري قال « قيل : يا رسول الله ، أى الأعمال أفصل ؟ قال :  
 الجهاد فى سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل فى شعب من الشَّعَابِ يَتَّقَى اللَّهَ ،  
 وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس

---

(١) بالفارسية - السكر : السكر . أَرْدَسْتُ : من . دَسْتُ : يد . شَبِيرِينَ : حلو . ومعناه  
 السكر يكون من يدك حلو

عاماً ، مع توفى مخالطتهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خَصْلَةٌ مُحَمَّد  
إلا السلامة من مقارفة المآثم لكان حقيقاً بالمرء أن لا يُكَدَّر وجود السلامة  
بازوم السبب المؤدى إلى المناقشة

ولقد أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أخبرنا  
شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال :  
« خذوا بحظكم من العزلة »

أنبأنا عمرو بن سعيد بن منان الطائي حدثنا حامد بن يحيى البلخي قال :  
سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثوري في المنام ، فقلت له : أوصني ،  
فقال : أقلَّ معرفة الناس ، أقلَّ معرفة الناس ، أقلَّ معرفة الناس »

أنبأنا القطان بالرقّة حدثنا المرورودي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول  
« رأيت ابن السَّكَّاب يكتب إلى أخ له : إن استطعت أن لا تكون لعير الله عبداً  
ما وجدت من العبودية بداً ، فأفضل . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام في رعاية  
حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلاً ،  
لأنه إذا حَسَمَ عن نفسه ترك الاختلاط بالعالم ، والمخالطة بهم تمكن من صفاء  
القلب ، وعدم تكدر الأوقات في الطاعات .

ولقد استعمل المُزَنَّة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد بن سليمان  
الدمياطي حدثنا عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت ابن المبارك يقول « عاذَ مُفْضِلُ  
داودَ الطائي ، فأغلق داودُ الباب ، وجلس مُفْضِلُ خارج الباب يبكي ، وداود  
داخل البيت يبكي »

أنبأنا الحسين بن محمد السنجي حدثنا علي بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك قال : سمعت بكر بن محمد العابد يقول : قال لي داود الطائي « يا بكر ، استوحش من الناس كما تستوحش من السبع »

أنبأنا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي بالأبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال « روى إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض ، قيل له : يا أبا يحيى ، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك ؟ قال : هذا خير من جليس السوء »<sup>(١)</sup>

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى ذهب إليه داود الطائي وضربوه من القراء من لزوم الاعتزال من الخاص ، كما يلزمهم ذلك من العام - أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة ، وإيثار ضِدِّ الخلطة على المعاشرة ؛ فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما أبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه .

(١) إن ما يمدحونه من العزلة والاختباء عن الحياة العامة لا يجوز أن يكون حال أهل الخير جميعاً ، وإنما هو حال الضعيف الذى لا يقدر عن أن يدفع عن نفسه ما يصاب به من ضرر المجتمع . ومن ثم لم يكن حال الأنبياء ، ولا حال ورثتهم الصادقين كبار النفوس أولى العزم والاحتمال . وفي الحديث الصحيح « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » خير لنفسه ، لأنه يزداد إيماناً وتقوى بأمرهم ونهيهم ، ويزداد يقظة وقوة وصلاًحاً بتجنب ما يرى ويعلم من فسادهم وتحكم أهوائهم في عقولهم ودينهم ؛ فإن التزم أهل الخير جميعاً العزلة فمن الناس يلغى عن الله إذا انكش القوم يقولون عن أنفسهم إنهم صالحون ؟ ومن ينكر النكر إذا هرب من الديدان من يزعمون أنفسهم أنهم المتقون ؟ أليس بهذه العزلة والانكماش يجد شياطين الفساد الديدان خالياً فيتغلبوا حتى على من زعموا أنفسهم هارين وفارين بالعزلة من الديدان ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما السبب الذي يوجب الاعتزال عن العالم كافة : فهو ما عرفتهم به من وجود دَفْن الخير ، ونشر الشر ، يدفنون الحسنة ، ويظهرون السيئة . فإن كان المرء علماً بدعوه ، وإن كان جاهلاً بغيره ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان دونهم حقروه ، وإن نطق قالوا : مهذار ، وإن سكت قالوا : عيبى ، وإن قدر قالوا : مقتر ، وإن سمح قالوا : مبذر ، فالتأدب في العواقب ، المخطوط عن المراتب ، من اغتر بقوم هذا نعتمهم ، وغره ناس هذه صفتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرني أحمد بن محمد بن بكر الأبنابى عن داود ابن رشيد ، قال : حدثني إبراهيم بن شماس قال : قال لي الأكَاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرو « يا إبراهيم ، صحبتُ الناس خمسين سنة ، فلم أجد أحداً ستر لي عورة ، ولا وصلني إذا قطعته ، ولا أمنتني إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حق كثير »

وأشدني محمد بن المهاجر المعدل لعل بن حجر السعدى :  
 زمانك ذا زمان دخول بيت      وحفظ للسان ، وخفض صوت  
 فقد مرجحت عهود الناس إلا      أقلهم ، فبادر قبل فوت<sup>(١)</sup>  
 فما يبقى على الأيام شيء ، وما خلى امرؤ إلا لموت  
 أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضي حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على نافع عن مالك بن أنس « أنه بلغه عن أبي ذر قال : كان الناس ورعاً لا شوك فيه ، فهم اليوم شوك لا ورع فيه »

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلابى حدثنا جعيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبي شيخ قال : كان القحذى يتشد كثيراً :

ذهب الحسن والجمال من الناس ، ومات الذين كانوا ملاحا

(١) مرجت : اختلطت ، فلم يدر صادق العهد من مائه



وَبَقِيَ الْأَسْمَجُونَ مِنْ كُلِّ رِصَافٍ إِنَّ فِي الْفَوْتِ مِنْ أَوْلَئِكَ رَاحًا<sup>(١)</sup>  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ الْبَشَرَ يُحِبُّونَ عَلَى أَخْلَاقِ  
 مُتَبَايِنَةٍ ، وَرِشَمٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَكُلُّ وَاحِدٍ يُحِبُّ اتِّبَاعَ مَسَاعِدَتِهِ ، وَتَرْكَ مَبَاعِدَتِهِ ، فَتَنَى  
 رَامَ مِنْ أَخِيهِ ضِدًّا مَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ قَلَاءَهُ<sup>(٢)</sup> ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُ خِلَافٌ مَا أَضْمَرَ  
 عَلَيْهِ قَلْبُهُ مَلَأَهُ ، وَمِنْ الْمَلَالِ يَكُونُ الْاسْتِقَالُ ، وَمِنْ الْاسْتِقَالِ يَكُونُ الْبَغْضُ ، وَمِنْ  
 الْبَغْضِ تَهْيِيجُ الْعِدَاوَةِ ، فَالِاسْتِقَالُ بَيْنَ هَذَا نَمَتُهُ لِلْعَاقِلِ حَقٌّ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ النَّبَاجِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

أَرْغَضَ النَّاسَ ، وَكَلَّ مَشَمَلَهُ قَدْ بَحَلَ النَّاسَ بِمَثَلِ خَرْدَلِهِ

\* لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَسْئَلَ مَنْ أَنْتَ لَهُ \*

وَأَنشَدَنِي ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ قَالَ : أَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْعَبْدِيُّ :

إِذَا قُلْتُ : هَذَا صَاحِبُ قَدْرِيضَتِهِ وَقُرْتُ بِهِ عَيْنَايَ ، بُدِّلْتُ آخِرًا

وَذَلِكَ : أَنِّي لَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو  
 مُسَهَّرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : قَالَ مَكْحُولٌ « إِنْ كَانَ فِي مَخَالِطَةِ النَّاسِ  
 خَيْرٌ فَالْعَزَلَةُ أَسْلَمٌ » .

أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيُّ حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ النَّسَائِيُّ  
 حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى أَنَّ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ كَانَ يَقُولُ « مَنْ لَمْ يَأْنَسْ بِحَدِيثِ  
 اللَّهِ عَنْ حَدِيثِ الْخُلُوفِينَ فَقَدْ قَلَّ عَلَيْهِ ، وَعَمِيَ قَلْبُهُ ، وَضَيَعَ عَمْرُهُ »

أَنْبَأَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُوْحٍ قَالَ : سَمِعْتُ

(١) بَقِيَ : هَذِهِ لَفْظٌ طَيِّبٌ ، يَفْتَحُونَ مَا انْكَسَرَ قَبْلَ الْآخِرِ مِنَ الْمَعْتَلِ فَتَقْلَبُ

يَأْوُهُ أَلْفًا ، فَيَقُولُونَ : رَضِيَ ، وَبَقِيَ ، وَقَفَى ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢) قَلَاءَهُ : كَرَاهَاهُ ، وَمُضَارَعَهُ يَقْلُوهُ وَيَقْلِيهِ .

إبراهيم البخاري يقول : « دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا فضيل جالس ، فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : رأيك وحدك ، فجلست إليك ، قال : نحب أن تفتاب ، أو تترين ، أو ترائي ؟ قلت : لا ، قال : قم عني »

### ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أنبأنا أحمد بن علي بن الليث بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعْب بن جَثَّامَة <sup>(١)</sup> » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفُعل عن مؤاخاة الإخوان ، وإعداده إياهم للنواب والحدثان ؛ لأن من تعرَّى عن موضع سلوته بأخيه عند المصوم والقموم ، كان عقله إلى التصديح أقرب ، ومن التماء أقص .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا يزيد ابن خالد الرملي حدثنا سهيل أبو عمرو قال قال محمد بن واسع « لم يبق من العيش إلا ثلاث : الصلاة في الجماعة ، ترزق فضلها ، وتكفي سهوها . وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه مِنَّة ، ولا لله عليك فيه تَبِعَة <sup>(٢)</sup> . وأخ محسن الشرة ، إن رُغْتَ قَوْمُكَ » .

أنبأنا عبد الرحمن بن عبد المحسن بمرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار

---

(١) روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس قال « حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين أو ثلاثا » (٢) أي : تبعَة كبيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله بهما رأيتهما صغيرة ، فإن الله يحاسب عليها ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )

أنبأنا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان ، وأكل القديد ، وحكُّ الجرب »<sup>(١)</sup> .

أنبأنا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران النُّصبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالمغصم  
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يبعد في الأوداء إخوانه من لم يؤاتيه في الضراء ، ولم يشاركه في السراء ، وربُّ أخى إخوان خير من أخى ولادة ، ومن أتمَّ حفاظ الأخوة تفقد الرجل أموراً من يوده .  
والودُّ الصحيح هو الذى لا يميل إلى قمع ، ولا يفسده منع ، والودة أمنٌ ، كما أن البغضاء خوف .

والعاقل لا يؤاخى إلا من خالفه على الهوى ، وأعاناه على الرأى ، ووافق سره علانيته ، لأن خير الإخوان من لم يناقش ، كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، والمستوحم<sup>(٢)</sup> لا يؤلف كما أن غير الثقة لا يؤد ، فتنى ما آخى المرء من لم يضافه بالوفاء يجب الاستظهار عليه بمن يسلمه عنه ؛ لأن التودد ممن لا يؤد يمدد مَلَقاً ، ولا ينوت الإنسان في الأخوة أحد رجلين : إما أريب قصّر في حقوقه فاعتاله بمكر ، وإما جاهل لم يضافه فيؤذيه بسوء معاشرته ، وصيانة الأخوة ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان .

(١) أما محادثة إخوان الصفاء والصدق قنعم ، وأما أكل القديد فلا يكون لدينا إلا عند الحمصة والفقر ، ونمود باقة من الفقر ، وأما الجرب فنسأله الله العافية ، فماذا في هذين من لذة ؟

(٢) الأرض الوخيمة والوخمة : الرديئة النخال السبعة التربة التى لا ينجع كلؤها .  
ورجل وخيم : ردىء الطبع ثقيل النفس سوء الخلق .

ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول :

كم من أخ لك لم يلده أبوك	وأخ أبوه أبوك قد يحفوك
صاف السكram إذا أردت إخوانهم	وأعلم بأن أخوا الحفاظ أخوك
كم إخوة لك لم يلدك أبوم	وكأنهم آباؤهم ولدوك
لو كنت تحملهم على مكروهة	تمشى الختوف <sup>(١)</sup> بها لما خذلوكم
وأقارب لو أبصروك معذراً	بنياط قلبك ثم ما نصروكم
الناس ما استغفبت كنت أخاكم	وإذا افتقرت إليهم فضحوك

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا أحمد بن إسماعيل السني حدثنا عبد الرزاق عن  
معمر قال « دخلت على قتادة وأنا ظآن ، وفي الحجرة حب<sup>(٢)</sup> ماء ، فقلت :  
أشرب من مائكم هذا ؟ قال : أنت لنا صديق . »

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أو صديقكم) يقول : لا يستأذن .  
أبنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا علان بن المغيرة البصري حدثنا عمرو  
التقدي حدثنا ابن عيينة عن أيوب السخيتاني أنه قال « يزيدني حرصاً على الحج  
لقاء إخواني لي لا ألقاهم بغير الموسم »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من  
المواخاة ليس الاجتماع والمواكلة والمشاركة ، والسراقة يداخلون الرجال على  
التعارف<sup>(٣)</sup> ، ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المواخاة التي يجب

(١) الختوف : اللنايا والمهاالك ، واحدها ختف ، بفتح فكون

(٢) الحب — بكسر الحاء ، المهمل — الجرة الكبيرة

(٣) التعارف : أي على قصد الإثم والعدوان

على المرء لزومهم، مَشَى القَصْد<sup>(١)</sup> وخَفَضَ الصوت ، وقلة الإعجاب ، ولزوم التواضع ، وترك الخلاف .

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه للتؤنات فيهمهم<sup>(٢)</sup> : لأن المرضع إذا كثر مَحَنُه رُبما ضَجَرَت أمه فتلقيه .

ولا ينبغي من قدر أن يمنع أخاه شيئا يحتاج إليه ليَجبر به مصيبته ، أو يفرج به كربته .

والعاقل لا يؤاخي لثيما ؛ لأن اللثيم كالحية الصماء<sup>(٣)</sup> لا يوجد عندها إلا اللدغ والشَّم ، ولا يصلُ اللثيم ، ولا يؤاخي إلا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يود الكريم على آفة واحدة<sup>(٤)</sup> ، ولو لم يلتقيا بعدها أبدا .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقيل له : ابنُ عوف لم يأتك ، فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يَصُرْهُ أن لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ؛ لأن من استضعف الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرا ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجهوده في تحوها .

(١) أى الوسط ، الذى وصف الله به عباد الرحمن بقوله ( ٢٥ : ٢٣ الذين يمشون على الأرض هونا ) والذى ذكره الله من وصايا لقمان بقوله ( ٣١ : ١٩ ) واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ) والذى حذر الله من ضده فى وصايا الحسكة بقوله ( ٣٧ : ١٧ ) ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا )

(٢) يرهمهم : يعلهم ويسهمهم .

(٣) الصماء : التى لا تستجيب لرقية الراقي .

(٤) اللقية : المرة من اللقاء .

لأنه لا خير في الصدق إلا مع الوفاء ، كما لا خير في القهقه إلا مع الورع ، وإن  
من أخرق الخرق التماس المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالرياء ، ولا شيء  
أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له ، وصنيعة تصطنع عند من لا يشكرها .

وأنشدني الخلابي قال : أنشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ما ذق<sup>(١)</sup> خلط المرارة بالحلاوة

يحمي الذنوب عليك أيام الصداقة فاعداوة

وأنشدني محمد بن إبراهيم البصري - بصور - لنفسه :

لا يفرنك صديق أبدا لك في النظر ، حتى تخبره

كم صديق كنت منه في عمى غراني منه زمانا منظره

سكان يلقاني بوجه طلق وكلام كاللآلى ينثره

فإذا قشته عن غيبه لم أجده ذاك لود يضره

قدح الإخوان إلا كل من يضر الود كما قد يظهره

فإذا فرت عن يجمع ذا فاجعلنه لك ذخرا تذخره

أنبأنا القطان بالرقعة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المسكن عن

يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال : « وضع عمر بن الخطاب

رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة ، كلها حكم ، قال : يا كافات من يعصى الله

فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه

ما يملك ، ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شرًّا ، وأنت تجد لها في الخير محملاً ،

ومن تعرض للثمة فلا يلومن من أساء به الظن ، ومن كتم سره كانت الخيرة<sup>(٢)</sup>

(١) اللذيق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه بغليات ومقاصد شخصية

(٢) الخيرة - بوزن عتبة - ما يختاره بمشيئته ، يقصد : أنه إذا أفتى سره كان

أمره يد من أفشاء إليه ، لا يبدء هو ، فلم يكن له مشيئة

في يديه ، وعليك ياخوان الصدق فغش في أكنافهم<sup>(١)</sup> ، فإنهم زينة في الرخاء ،  
وعُدَّة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، ولا تعرَّضْ لِمَا لَا يَنْصِتُكَ ،  
ولا تسأل عما لم يكن ، فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى  
من لا يحب لك نجاحها ، ولا تصحبن العاجز فتعلم خيوره ، واعتزل عدوك ، واحذر  
صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله ، وتحشع عند القول ، وذلل عند  
الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله ؛ فإن الله  
يقول ( ٣٥ : ٢٨ ) إنما يخشى الله من عباده العلماء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يؤاخي إلا ذا فضل في الرأي والدين  
والعلم والأخلاق الحسنة ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ؛ لأن صحبة بييد نشأ مع  
العقلاء خير من صحبة ليسب نشأ مع الجهال .

ورأس المودة الاسترسال ، وأقمتها للملالة ، ومن أضعاء تَمَهُدُ الود من إخوانه  
حُرِمَ نعمة إخوانهم ، وآبَسَ الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد  
الود يُوشِكُ أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقا على ريشانه<sup>(٢)</sup>  
يُوشِكُ أن يموت عطشا .

والعاقل يستخير أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصحَّ الخيرة للمرء  
وجود حالته<sup>(٣)</sup> بعد هيجان الغضب .

أنيانا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا العلابي حدثنا عبد الله بن الضحاك  
الهدادي حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال : قال لقمان لابنه « يَا بُنَيَّ  
إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تُؤَاخِيَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ أَنْصَنَكَ عِنْدَ غَضَبِهِ  
وإلا فُدَّعِهِ » .

(١) الأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية .

(٢) الرشاء : الحبل الذي يخرج به الدلو من البئر .

(٣) يعني وجود حالته في الود بعد هيجان الغضب كحالته فيه عند الرضا .

أنبأنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هشام الرافعي حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « أحب من شئت ، ثم أغضبه ، ثم دُسَّ إليه مَنْ يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودك <sup>(١)</sup> أيامه ، وليس الصديق كالمرأة يطلقها المرء إذا شاء <sup>(٢)</sup> ، والجارية يبيعها متى أحب ، لكنه عرضة ومروءة ؛ فالتثبت والاثبات أولى به من التهاجر والانعطاف ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغيب عما يجب له عليه ، وليكثر منهم عدَّة للشدائد ، لأن الشعر مع دقته إذا جمع عُمل منه الحبل الغليظ الذي يقهر القيل المغتم <sup>(٣)</sup> ، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزد ريقاً .

(١) كذا بالأصل . وأعله يقصد لم يأمنك من أيامه ما توده ونريده من الإخاء  
(٢) غالى الشيخ في الخط من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على الصداقة والمودة ، فلم يتزوج كما شرع الله فإنه سبحانه يقول ( ٣٠ : ٣١ ) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ) وأكد في كثير من آي الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكد من حق الصديق ، وأين الصديق من الزوج التي يقول فيها ( ٢ : ١٨٧ ) هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ) ويقول ( ٤ : ٣١ ) وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ! ) والزوج أحق أن تكون عرض الرجل ومروءة ؛ ويسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعسر العسر أن تستبدل زوجاً مكان زوج . وقد ارتبطتا بعلائق من الأولاد وغيرها . ما لا يوجد مثلهما ولا بعضها في الصديق . فواجب العاقل : أن يتأنى ويتفحص ويتثبت في اختيار الزوج ما لا يلزم بعضه في اختيار الصديق ، والسعادة بالزوج الوقية الصالحة القاتنة الحفيظة للغيب أضعاف أضعاف السعادة بأوفى الأصدقاء . وأخلص الأوداء

(٣) الاغتلام : شدة توران الشهوة في الفعل للضراب ، وتشتد شراسة الفيل وغيره من الفحول عند ذلك .



وأشدنى الخلالى قال : أشدنى محمد بن محمد البكرى لصالح بن عبد القدوس <sup>(١)</sup> :

إذا كان ودّ المرء ليس يراند على «مرحباً» أو «كيف أنت؟» وحالكا  
أو القول «إني واثق لك ، حافظ» وأفعاله تُبْدى لنا غير ذلكا  
ولم يك إلا كاثراً أو محدثاً فأنفٍ لوثرٍ ليس إلا كذلكا  
ولكن إزاء المرء من كان دائماً لدى الودّ منه حيناً كان سالكا  
أخبرنا أبو يعلى حدثنا عبي بن الجعد حدثنا سفيان الثوري عن شعبة قال :

خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال « أنتم جلاءُ حزني »

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف  
عن شعبة بن أبي مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من  
لذات الدنيا إلا ثلاث : مجالسة النسوان ، وتشمّ الولدان ، ولقئ الإخوان »

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصري حدثنا خالي هارون  
ابن سعيد حدثنا خالد بن نزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنتُ  
لأنقى الأخ من إخواني فأكون بلقيّة عاقلاً أياًماً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في  
كتاب « مراعاة العشرة » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فأوجب على السافل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء . يَغْدِلُ صحبة الإخوان ،  
ولا غم يعدل غمّ قديم ، ثم يتوقّ جهده مُقاسدة مَنْ صافاه ، ولا يسترسل إليه فيما  
يشينه ، وخير الإخوان مَنْ إذا عظمت صانك ، ولا يعيب أخاه على الزّلة ؛ فإنه  
شريكة في الطبيعة ، بل يصفح ، ويتنكب محاسنة الإخوان ؛ لأن الحسد للصدق  
من سَمّ الودة كما أن الجود بالمودة أعظم البذل ؛ لأنه لا يضر ود صحيح من قلب  
سقيم ، ويحذر المرء في إخوانه ألمّ التشقيل على أخيه ؛ لأن من ثقل على صديقه

(١) سبيح أولها وثالثها مع بيتين آخرين في ص ١١١ .

حَفَّ عَلَى عَدُوهِ ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعُونَةِ عَلَى تَسْلِيَةِ الْهَمِّ الرِّضَا بِانْقِضَاءِ ، وَلَقِيَ  
الْإِخْوَانَ .

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ هَالَلِ الْعَقْبِيِّ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْغَزِّي حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَنِيِّ عَنْ سَفْيَانَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ « مَا مَا الْعَيْشُ ؟ » قَالَ : أَقَاءَ الْإِخْوَانَ «  
حَدَّثَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ عَنْ  
ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ قَالَ سَفْيَانُ : « لَرَبِّمَا لَقِيتُ الْأَخَّ مِنْ إِخْوَانِي ، فَأَقِيمَ شَهْرًا  
عَاقِلًا بِلِقَائِهِ » .

وَأَنشَدَنِي عَبْدُ الْمَزِينِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

اشْكُرْنِي مِنَ الْإِخْوَانِ إِنَّهُمْ خَيْرُ اسْكَانِهِمْ كَثْرًا مِنَ النَّهْبِ  
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَوْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْرًا مِنْ أَخِي النَّسَبِ  
وَأَنشَدَنِي السَّكْرِيُّ :

مِنْ خَيْرِ مَا حُزِنْتُهُ وَدَّ الَّذِي كَرُمَ يَجْزِيكَ مَا عَشْتُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا  
تَلَقَى بِشَاشَتِهِ فِي قَرْبِهِ ، وَإِذَا أَنَا لَكَ مِنْهُ الْبَرُّ مَا كَانَا  
أَبَانَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ  
« كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي بِالْعِرَاقِ ، فَأَعْمَلَ عَلَى رُؤْيَيْهِ شَهْرًا » .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا سُورِدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدٍ  
أَبُو فَرَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَيْبَعَةُ « الْمَرْوَةُ مَرْوَةٌ تَانِ : فَلِلْمَرْوَةِ مَرْوَةٌ ، وَلِلْحَضَرِ مَرْوَةٌ ؛  
فَأَمَّا مَرْوَةُ السَّفَرِ فَبِذَلِ الزَّادِ ، وَقَالَةُ انْخِلَافٌ عَلَى أَصْحَابِكَ ، وَكَثْرَةُ الْمَزَاحِ فِي  
غَيْرِ مَسَاطِطِ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا مَرْوَةُ الْحَضَرِ فَالْإِدْمَانُ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ فِي  
اللَّهِ ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ »

### ذِكْرُ كَرَاهِيَةِ الْمَعَادَاةِ لِلنَّاسِ

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ - بَيْرُوتَ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول شيء ينهاني عنه ربي - بعد عبادة الأوثان - لعن الحير ، وملاحاة الرجال »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يؤكده لم يحسده ، ومن لم يحسده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتب أشد حذراً منه للعدو المبارك ، ومن وجد عنده مغترراً ، وكان ممن لا يغتر ، ثم لا ينصف منه ؛ وأصابته الندامة ، وأرأى إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود ، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها .

أما الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعور عن إسماعيل قال « لا تشتري عداوة رجل بمودة ألف رجل »

وأشدني عمرو بن محمد قال : حدثنا العلاء ، قال : أنشدني مهدي بن سابق :  
تكثر من الإخوان ما استقامت إنيهم عدا إذا استجدتهم وظهور  
وليس كثيراً أنت خل لصاحب وإن عدواً واحداً لكثير  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل أن يكافئ الشر بمثله ، وأن يتخذ اللين والشم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعان على العدو بمثله إصلاح العيوب ، وتحصين العورات ، حتى لا يجد العدو إليه سبيلاً .

والعاقل لا يرحم من يخافه ، ولا يترك إحصاء معائب العدو ، ويفقد عثراتهم مع السكوت عن ثلثه ، ولا يستضعف عدواً بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء اختز ، ومن اغترم بسلم ، ظهر إلا أن يكون العدو ذليلاً ؛ فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء ؛ لأن العدو لذليل أهل أن يرحم ، كما أن المستجير الخائف أهل أن يؤمن ، والمعادة للعاقل خير من المصافة للجاهل .

وأنشدني الخالدي أنشدني أحمد بن محمد البكري :

وَلَمْ يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرًا لَهُ      مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادُقَ أَحَقًّا      إِنْ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

أَخْبَانِي بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ      وَمُدَّ مِنْ التَّرْعِ الْأَبْوَابِ أَنْ يَكِلِجَا  
أَبْصِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا      فَمِنْ عِلَاقَةٍ عَنْ رِغْرَةٍ زِلْجَا<sup>(١)</sup>  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يبصر مواضع خطواته قبل أن يضعها ،  
ثم يقارب عدوه بعض المقاربة ، لينال حاجته ، ولا يقاربه كل المقاربة فيجتأ  
عليه ، والعاقل لا يعادي ما وجد إلى الحجة سبيلا ، ولا يعادي من ليس له منه بد ،  
ولا العدو الخنق الذي لا يطاق ؛ فإنه ليس له حيلة إلا الحرب منه ، وحيلة السبيل  
إلى القدرة على العدو وجود الفرّة فيه ، وأن يرى العدو أنه لا يتخذة عدواً ،  
ثم يصادق أصدقائه ، فيدخل بينه وبينهم .

وأحزم الأمور في أمر العدو : أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة ، وإن من  
أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض ، وإن مما يستعين به المرء على عدوه :  
مجانبة من يعاشره ، ويصحب عدوه .

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال : سمعت  
يحيى بن معين يقول : قال ابن السماك « لَا تَخَفْ مِنْ تَحْذِرْ ، وَلَكِنْ احْذَرْ  
مَنْ تَأْمَنَ » .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

(١) يقول : إن من يمشي على غير تبصر ، فهما بلغ من العلو ولو إلى قمة الجبل  
وهي قته فلا بد أن تزل قدمه ، فيخر ، فلعله أن يتحطم .

تَحَبَّبْتُ أَنْ أُبْقِيَ مَعْنَى ، وَأَنْ أَرَى عَلَى مَنْ يَنْتَوِيهِ تَدْوِيرُ الدَّوَائِرِ (١)  
 فَيَصْبِحَ مَحْذُولًا ، وَأَمْسَى سَانًا إِلَى اللَّهِ دَاعٍ بِالسَّكْفَايَةِ نَاصِرُ  
 سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ خُشْرَمٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْفَضْلَ  
 ابْنَ مُوسَى الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ « كَانَ صَيَادٌ يَصْطَادُ الْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ رِيحٌ ، قَالَ : فَعَمِلْتُ  
 الرِّيحَ تُدْخِلُ فِي عَيْنِيهِ الْعَبَارَ ، فَتَذْرِقَانِ ، فَكَلَّمَا صَادَ عَصْفُورًا كَسَرَ جَنَاحَهُ  
 وَأَلْقَاهُ فِي نَامُوسِهِ ، فَقَالَ عَصْفُورٌ لِمَالِكِهِ : مَا أَرْقَهُ عَلَيْنَا ، أَلَا تَرَى إِلَى دُمُوعِ  
 عَيْنِيهِ ؟ فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى دُمُوعِ عَيْنِيهِ ، وَلَسْكَنْ أَنْظُرْ إِلَى عَمَلِ يَدَيْهِ »  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إِنْ كَانَ  
 بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنْ مَغَادِرَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا لَمْ يَأْمَنْ مَوَاتِنَتَهُ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ  
 فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْ عَدُوِّهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ هَلَكَ فِي قَصْدِهِ قِيلٌ : أَضَاعَ نَفْسَهُ ، وَإِنْ ظَفِرَ  
 قِيلٌ : الْقَضَاءُ فَعَلَهُ .

وَالْمُعَادَاةُ بَعْدَ الْخَلَّةِ فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ ، لَا يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ ارْتِكَابُهَا فَإِنْ دَفَعَهُ الْوَقْتُ  
 إِلَى رُكُوبِهَا تَرَكَّ لِلصَّالِحِ مَوْضِعًا .

وَأُنْشِدُنِي بَعْضَ أَهْلِ الْأَدَبِ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ :

وَأَحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتُ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : مَتَى أَنْتَ نَازِعٌ ؟  
 وَأَبْغُضُ إِذَا أَبْغَضْتُ غَيْرَ مُجَانِبٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ ؟  
 وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْعِلْمِ ، وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأَى مَا عَمِلْتَ وَسَامِعٌ  
 وَأُنْشِدُنِي مِنْصُورَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرِيرِيِّ :

(١) يَنْتَوِيهِ : يَنْتَوِيهِ . وَالتَّوَاتُؤُةُ : التَّخَاصُّمَةُ . يَقُولُ : لِأَنَّهُ طَالَمَا تَحْنَى أَنْ يَعِيشَ مَعَانِي  
 وَأَنْ يَرَى دَوَائِرَ الْهَلَاكِ تَدْوِيرًا عَلَى أَعْدَائِهِ وَمَنَاوِيهِ . وَالْخَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِ : أَنْ يَتَحَنَّى الْخَيْرَ  
 وَالْعَافِيَةَ وَالصَّلَاحَ لِنَفْسِهِ وَأَحِبَّائِهِ وَأَعْدَائِهِ وَمَنَاوِيهِ . كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَقُولُ فِي شَأْنِ أَعْدَائِهِ - وَهُمْ حَرِصُونَ عَلَى قَتْلِهِ - « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »

إذا أنت عادت امرأ بعد خُنة      فدع في غدٍ للعود والصلح موصفا  
فإنك إن تابذت مَنْ زَلَّ زَلَّةً      ظلمت وحيداً لم تجد لك مفرعا  
أنا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرني يونس  
ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوما عند  
عائشة ، فجلسا في حجرتهما ، وبيتها وبيتها الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً ،  
ثم قال مروان :

ومن بشل الرحمن يخفُّضُ بقدره      وليس لمن لم يرفع الله رافعُ  
وقال ابن الزبير :

وقَوَّضَ إلى الله الأمورَ إذا اعترت      وبالله لا بالأقربين تدافع<sup>(١)</sup>  
وقال مروان :

ودار ضمير القلب بالبرِّ والتقَى      ولا يستوى قلبان قاسٍ وخاشعُ  
وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلمٌ      عُتِلُ ، لأرحام الأقارب قاطعُ  
وقال مروان :

وعبد يحافى جنبه عن فراشه      يبيت يساجى ربه وهو راكعُ  
وقال ابن الزبير :

وللخير أهل يعرفون بهديهم      إذا اجتمعت عند المخطوب المجامعُ  
وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلمهم      تشير إليهم بالتهجور الأصابعُ  
قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يحب مروان بشي .

(١) في الأصول « فدافع » ولا تستقيم قافيته مع قافية بقية الأبيات ، ونحسبه  
محرفاً عما أثبتناه .

فَقَالَتْ عَائِشَةُ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا لَكَ لَمْ تَجِبْ صَاحِبَكَ ، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ تُجَاوِبَ  
 رَجُلَيْنِ نَجَاوَلَا نَحْوَ مَا تَجَاوَلْتُمَا فِيهِ أَعْجَبَ إِلَى مَنْ يَجَاوِلُكُمْ »  
 قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : إِنِّي خَفْتُ عَوَلَ<sup>(١)</sup> الْقَوْلِ ، فَكَفَفْتُ .  
 فَقَالَتْ عَائِشَةُ : « إِنْ لَمْ يَرَوْا فِي الشَّعْرِ مَا لَيْسَ لَكَ »  
 أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ النَّذَرِ ، حَدَّثَنَا عَصَامُ بْنُ الْفَضْلِ الدَّارِيُّ ، حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ .  
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ لَابْنِهِ مُحَمَّدٌ « يَا لَكَ وَمَعَادَاةَ الرِّجَالِ  
 فَإِنَّهَا لَا تَعْدَمُكَ مَكْرُ حَلِيمٍ ، أَوْ مِبَاذَاةُ<sup>(٢)</sup> جَاهِلٍ »  
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يُعَادِي عَلَى الْحَالَاتِ كُلِّهَا ، لِأَنَّ الْعِدَاةَ  
 لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا حَلِيمٍ لَا يُؤْمَنُ مَكْرُهُ ، أَوْ جَاهِلٍ لَا يُؤْمَنُ  
 شَتْمُهُ ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ - إِذَا عَادَى - أَنْ يَغُرَّهُ إِحْسَانُهُ إِلَى عَدُوِّهِ مَا بَرَى  
 مِنْ سَكُونِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ الْمَاءُ وَإِنْ أَطِيلَ إِسْخَانُهُ ، لَيْسَ بِعَاقِمِهِ ذَلِكَ مِنْ إِطْفَاءِ النَّارِ  
 إِذَا صَبَّ عَلَيْهَا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ حِمْلُهُ عَدُوَّهُ عَلَى عَاتِقِهِ إِذَا وَثِقَ بِحَسَنِ  
 عَاقِبَتِهِ ، لِأَنَّ اللَّيْنَ وَالْمَكْرَ أَنْكِي فِي الْعَدُوِّ مِنَ الْقَفَاطَةِ وَالْمَسْكَابَةِ . أَلَا تَرَى  
 النَّارَ مَعَ حَرِّهَا لَا تَحْرَقُ مِنَ الشَّجَرَةِ إِلَّا مَا ظَهَرَ ، وَالْمَاءُ مَعَ بَرْدِهِ وَلَيْسَ يَسْتَأْصِلُهَا ،  
 وَمُجَانِبَةُ الْمَرْءِ عَدُوَّهُ فِي الْعِشْرَةِ أَحَدُ الْأَعْمَارِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْفُرْصَةِ .  
 كَمَا أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ ، حَدَّثَنَا الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ  
 قَالَ : قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ « مَنْ جَالَسَ عَدُوَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِ عَيْبُوه » .  
 وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

لَا تَخَافَنَّ إِنْ رَمَاكَ عَدُوٌّ بِعَيْبٍ ، إِذَا تَكُونُ بَرِيًّا  
 إِنَّمَا الْعَيْبُ أَنْ يَكُونَ مُحِيطًا فِي الَّذِي قَالَهُ ، وَلَسْتَ نَقِيًّا

(١) الْعَوَلُ : اللَّيْلُ فِي الْحَكْمِ إِلَى الْجَوْرِ . وَالْعَوَلُ : النِّقْصَانُ أَيْضًا .

(٢) الْمِبَاذَاةُ : الْبِدَاةُ وَالسَّفْهُ بِالسَّبَابِ وَالشَّتْمِ .

فإذا كان كاذباً كنت بالمدِّ ق على العائب الكذوب جريئاً  
ولقد يُنْزِق العدو بحسب السمر عيباً تحفله مَكُوناً  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يغيره إلزاق العدو به العيوب والقبائح .  
لأن ذلك لا يكون له وقعٌ ، ولا لكثرة ثبات ، ولا يلذ للره ما كان عدوه باقياً  
كما لا يجد السقيم طعم النوم والطعام حتى يبرأ .  
وأشد مكيذة العدو ما يعمل فيك من سبيل مأمتهك ، والغالب بالشر مغلوب  
وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه ، وتوقيه  
إياهم على المعائب والزلات .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني إذا أردت أن  
تغيظ عدوك فلا ترفع عن ابتك العصا »

### ذكر الحث على صحبة الأخيار والزرجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان القسائي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، حدثنا  
أبي عن شعبة عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « مثل المجلس الصالح مثل العطار ، إن لم ينلِكَ منه أصابك  
من ريحه ؛ ومثل جلس السوء مثل الفين ، إن لم نصبك ناره أصابك شره »<sup>(١)</sup>

(١) العطار : بائع العطر . والفين : بالفتح : الخداد . والحديث رواه البخاري ومسلم  
عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل المجلس الصالح  
والجلس السوء : كعامل السك ، ونافع الكبير . فعامل السك : إما أن يحذيك ،  
وإما أن يتباع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . ونافع الكبير : إما أن يحرق  
ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » . و « يحذيك » أي يعطيك بدون ثمن .



قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم صحبة الأخيار ، ويفارق صحبة الأشرار ؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها ، بطلان انقطاعها . ومودة الأشرار سريع انقطاعها ، بطلان اتصالها . وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، ومَن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جنتهم .

فالتوجب على العاقل أن يختبأ أهل الأرب ، لئلا يكون مريباً . فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير ، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

عليك ياخوان الثقات ؛ فإنهم قليل فصيلهم دون من كنت تصحب  
ونفسك أكرمها ، وصنمها ؛ فإنها متى ما تجالس سفة الناس تنفصب

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت سفيان ابن عيينة يقول « من أحب رجلاً صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى »

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري ، حدثنا وهب بن محمد بن منبه الثباني ، قال : سمعت الحارث بن وحيه يقول : سمعت مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص <sup>(١)</sup> مع الفجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يدنس عرضه ، ولا يعود نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار ، ولا يفيض عن صيانة عرضه ورياسة نفسه بصحبة الأخيار ، على أن الناس عند الخيرة يقيبن منهم أشياء ضد الظاهر منها .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

وقل ما أخلوني كلام امرئ . ولأن إلا كان مراً الفعال

(١) الخبيص : نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن .

وربما اُخْلَوِي كَلَامُ الْفَتَى      وَكَانَ مَحْمُوداً عَلَى كُلِّ حَالٍ  
فَكُلُّ هَذَا أَنْتَ رَأَى إِذَا      تَصَاحِبُ النَّاسَ ، وَتَبْلُو الرِّجَالَ

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي ، حدثنا نصر بن علي ، أنبأنا نوح  
ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن في قوله ( ٢٥ : ٦٣ ) وعباد الرحمن الذين  
يخشون على الأرض هونا ) قال « حُلَاءُ عُلَاء ، صَبْرٌ ثَبَتٌ <sup>(١)</sup> » إِنَّ ظَالِمُوا لَمْ يَظَالِمُوا  
وَأَنْ بَقِيَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَبْغُوا ، قَدْ بَرَّاهِمُ الْخُوفُ كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ »

أنبأنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا شجاع  
ابن أبي نصر أبو نعيم القاري عن أبي عمرو بن العلاء ، قال « رَأَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ  
وَأَنَا جَالِسٌ مَعَ الشَّبَابِ ، قَالَ : مَا يَجْلِسُكَ مَعَ الشَّبَابِ ؟ عَلَيْكَ بِالشَّيْخِ »

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن  
سفيان عن أبي الحجل عن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال : قال أبو الدرداء  
« لَصَاحِبٌ صَالِحٌ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ صَاحِبِ السُّوءِ ، وَمَمْلَى  
الْخَيْرِ مِنَ السَّاكِتِ ، وَالسَّاكِتُ خَيْرٌ مِنَ مَمْلَى الشَّرِّ » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يصاحب الأشرار ؛ لِأَنَّ صَحْبَةَ صَاحِبِ  
السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ، تُعْقِبُ الضَّغَائِنَ ، لَا يَسْتَقِيمُ وَدَهُ ، وَلَا يَنْفِي بَعْدَهُ .  
وَإِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ خَصَالًا أَرْبَعًا : أَنْ تَكُونَ زَوْجَتُهُ مُوَافِقَةً ، وَوَلَدُهُ أَبْرَارًا ،  
وَإِخْوَانُهُ صَالِحِينَ ، وَأَنْ يَكُونَ رِزْقُهُ فِي بَلَدِهِ .

وَكُلُّ جَلِيسٍ لَا يَسْتَفِيدُ الْمَرْءَ مِنْهُ خَيْرًا تَكُونُ مَجَالِسَةُ الْكَلْبِ خَيْرًا مِنْ عَشْرَتِهِ ،  
وَمَنْ يَصْحَبِ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمُ ، كَمَا أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ مَدَاخِلَ السُّوءِ يُشْتَمُ .

(١) صبر - بضمين - جمع صبور ، وثبت - بضمين - جمع نيت ، وضم  
فتشديد الباء مفتوحة جمع ثابت مثل راكم وركع . وبرايم : أي أنحلهم وأهزلهم .

وما أشبه صحة الأشرار إلا بما أنشدني منصور بن محمد الكريزي .

فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً<sup>(١)</sup> ضربت الخير يومامع الشر  
ولو كان لاخيراً ولا شر عنده رضيت أعمري بالكفاف مع الأجر  
ولسكنه شرّاً ، ولا خيراً عنده وليس على شرٍ إذا طال من صبر

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا  
ابن علية عن يونس عن الحسن قال « أبها الرجل ، إن أشد الناس عليك فقدماً  
لرجلٍ إذا فرغت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده نصيحة ، بينا أنت كذلك  
إذا فقدته ، فالتمت منه خلفاً فلم تجده .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا  
عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب له  
على الناس أربع : إذا خالطهم لم يظلمهم ، وإذا حدّثهم لم يكذبهم ، وإذا وعدهم  
لم يخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عدله ، وأن تكمل فيهم مروءته ، وأن يحب  
عليهم أخوانته ، وأن يحرم عليهم غيبته .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أحب خيار الناس أين لقيتهم خير الصحابة من يكون ظريفاً  
والناس مثل دراهم ميزتها فرأيت فيها فضة وزيوفاً

أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن  
عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول « إن الله ليحفظ  
بالعبد الصالح القبيل من الناس »

(١) العتيد : الملازم ، يقول : لو كان عنده شيء من الخير لذهب خيره بشره ،  
فكان كفافاً .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعيز بالله من محبة مَنْ إذا ذكر الله لم يُعِثْ ، وإن نسي لم يدكره ، وإن غفل حرضه على ترك الذِّكْرِ . ومن كان أصداؤه أشراراً كان عوثرهم ، وكما أن الخير لا يصحب إلا البرة ، كذلك الردي لا يصحب إلا الفجرة ؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات ، لأن محمد بن عثمان العنبي قال : حدثنا أحمد بن دلود البصري ، حدثنا ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لا بدَّ فاعلمين ، فجالسوا أهل المروءات ؛ فإنهم لا يرفُثون <sup>(١)</sup> في مجالسهم »

### ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتواخين

أما محمد بن الحسن بن قتيبة بعثقلان ، حدثنا إبراهيم الخوراني ، حدثنا يكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا خير في صُحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له » قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله وُدَّ امرئ مسلم صحيح الوداد بحافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرَّمه ، وعلى الإقبال عليه إن صدَّ عنه ، وعلى البذل له إن حرَّمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد .

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

وكم من صديق وُدَّه بلسانه خؤون بظهر الغيب لا يتقدم

(١) الرفث : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالنساء وأسرارهن .

يضاحكني كرهاً فكيف أودّه وتتبّعني منه إذا غبتُ أسهم  
أخبرنا محمد بن المهاجر العدل ، حدثني بن أبي شيبة ، قال : قال الأصمعي :  
قال رجل من الأعراب « من أعجز الناس من قصر عن طلب الإخوان ،  
وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم . وإنما أحسن الاختيار لغيره  
من أحسن الاختيار لنفسه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يقصر في تمسك الوداد ، ولا يكون  
ذالونين ، وذال قلبين ، بل يوافق سيره علانيته ، وقوله فعله ، ولا خير في متأخين  
ينمو بينهما الخلل ، ويزيد في حالهما الدغل .

كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لما الله<sup>(١)</sup> من لا ينفع الودّ عنده      ومن حبله إن مدّ غير متين  
ومن هو ذو لونين ليس بدائم      على الوصل حوآن لكل أمين  
ومن هو ذو قلبين ، أما لقائه      فحلو ، وأما غيبه فظنين  
ومن هو إن تحرّث له العين نظرة      يقطع بها أسباب كل قرين  
وأنشدني عمرو بن محمد النسائي لابن الأعرابي :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها      من الشّاة<sup>(٢)</sup> ، أو وِدّ إذا كانا  
إن البغيض له عين يصد بها      لا يستطيع لما في الصدر كتماناً  
العين تنطق والأفواه ساكنة      حتى ترى من ضمير القلب تبياناً  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

(١) لما الشجرة يلجوها : تشر لحاها ، ولجاء الله لحيا : أي قبحه واهنه . كذا  
في اللسان .

(٢) الشّاة : البغض والكراهية .

وجارٍ لا تزالُ تزورُ منه قوارصُ لا تنام ولا تنيم<sup>(١)</sup>  
 قريب الدار نائي الوترِ منه معاندةً ، أبت لا تستقيم<sup>(٢)</sup>  
 يبادر بالسلاام إذا التقينا ونحت ضلوعه قلب سقيم  
 أنبأنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأنباوي عن  
 هشام بن عبد الملك البزني ، قال : قال المقنع الكندي :

أبلُ الرجال إذا أردت إخاءهم ونوسنَ أمورهم ونفقَدَ<sup>(٣)</sup>  
 فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فيه اليدين قريرَ عينٍ فاشدُدِ  
 ومتى يَزَلْ ، ولا محالة ، زلةً فعلى أخيك بفضل رأيك فاردد  
 وإذا الخنى تقضى الحبي في موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فاقمَدِ

أخبرنا عبد الله بن قُحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي  
 عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني عليك بالحبيب  
 الأول ، فإن الآخر لا يعمده »

أنبأنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثني محمد  
 ابن حسين قال « كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة  
 ونصيحة ، فاتخذ الأعرابي من عدده للشدائد إذ حَزَبَ الأعرابي أمر ، فأتاه ،  
 فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأنشأ يقول :

(١) يقول : ورب جار لا يزال يبعث إلى بالثؤلث من القول ، والسلب  
 والتفصيص حتى أقض مضجعي ، فلا قوارص تنام يوماً بل هي مستمرة ، ولا هي  
 تركني أنام .

(٢) يقول : إن شره وأذاه أسرع إلى كل من كان أقرب منه ، من أجله  
 المعاندة والمكايمة بفعل ذلك .

(٣) أبل الرجال : اختبرهم وامتنعهم .

إذا كان وُدُّ المرءِ ليس بَرَّاءدٍ      على «مرحباً» أو «كيف أنت» وحالكم؟<sup>(١)</sup>  
وليك إلا كائناً ، أو محدثاً      فأبٍ لودٍ ، ليس إلا كذلك  
نسانك معولٌ ونفسك بشة      وعند الثريا من صديقك مالكم  
وأنت إذا همت بيمينك مرة      لتفعل خيراً ، قاتلتها شمالكم  
سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال  
محمد بن حازم :

وإن من الإخوانِ إخوانَ كثيرةٍ      وإخوان «حتيك الإله» ، و«مرحباً»  
وإخوان : كيف الحال والأهل كله؟      وذلك لا يسوى تفسيراً مترجماً  
جواد إذا استغثت عنه بماله      يقول : إلى القرض ، والقرض فاطلباً  
فإن أنت حاولت الذي خلف ظهره      وجدت الثريا منه في البعد أقرباً  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصادق المتنون ، ولا يؤاخى المتقلب ،  
ولا يظهر من ثوداد إلا مثل ما يضر ، ولا يضر إلا فوق ما يظهر ، ولا يكون  
في النوايب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لا يحمد  
من الإخاء ما لم يكن كذلك .

وأنشدني محمد بن المنذر وأنشدني محمد بن خلف التيمي ، أنشدني رجل  
من خزاعة :

وليس أخى من وُدِّي بلسانه      ولكن أخى من وُدِّي في النوايب  
ومن ماله مالى ، إذا كنت معدماً      ومالى له ، إن عَضَّ دهرٌ بغارب  
فلا تحمدن عند الرخاء مؤاخياً      فقد تُنكر الإخوانُ عند المصائب  
وما هو إلا كيف أنت ومرحباً      وبالبيض رَوَّاعٍ كَرَوَّعِ الثعالب<sup>(٢)</sup>  
أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام  
ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة « أحبب خليلك و خليل أبيك »

(١) قدم أولها وثانيها مع بيتين آخرين في ص ٩٧ (٢) أراد بالبيض اللبراهم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه : ملاحظة العين إذا لحظت ، فإنها لا تكاد تبدى إلا ما يضر القلب من الود ، ولا يكاد يخفى ما يحبه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ، ويجعل له بينهما مسلكا لا يردده عن معرفة صحته شئ . تخيله .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المذلل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي ، حدثنا علي بن محمد المذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدي وعن إبراهيم بن شكلة<sup>(١)</sup> قال « إعلم أن من أظهر ما يحب أو ما تكره فإتما لك أن تقيس ما أضمر قلبه بالذي أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو ما يبدى لك لسانه » وفي ذلك أقول :

ليس المسمى إذا تغيب سوءه عني بمنزلة المسمى المعلن  
من كان يظهر ما أحب فإنه عندي بمنزلة الأمين المحسن  
والله أعلم بالقلوب ، وإتما لك ما بدا لك منهم بالأسن  
ولقد يقال خلاف ذلك إنما لك ما بدا لك منهم بالأعين

غير أن خالي خالفني في ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على ما في القلوب من الأسن . وكتب في ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدا لي من صدك ، ما آيسني من ودك ، ولم يزل يخبرني لحظك ، ما تضمر لي من بغضك » وكتب في أسفل ذلك :

وما أحب إذا أحيت مكتما يبدى العداوة أحيانا ويخفيها  
تظل في قلبه البغضاء كأنه فالقلب يكتمها والعين تبديها  
والنفس تعرف في عيني مخدئها من كان من سلمها أو من أعادها  
عينك قد دلتنا عيني منك على أشياء لولاهما ما كنت أدر بها

(١) شكلة - بكر الشين وفتحها - أمه ، وهو إبراهيم بن المهدي العباسي .



أخبرنا الخلالدي ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفي ، حدثنا محمد بن صالح البغدادي قال : سمعت إبراهيم الخجيني يقول « دلائل الحب تعرف في الحب ، وإن لم ينطق لسانه »

### ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السخيتاني ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد الترمسي ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال : قال علي « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : سبب ائتلاف الناس واقتراقهم — بعد القضاء السابق — هو تعارف الروحين ، وتناكر الروحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسيهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبنى ، قالوا : وما علمك ؟ قال : إني لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وأشدني محمد بن أبي علي الخلالدي ، أشدني أحمد بن محمد بن بكر الأبنائوي .

إن القلوب لأجناد مجندة      لله في الأرض بالأهواء تعترف  
فما تعارف منها فهو مؤتلف      وما تناكر منها فهو مختلف

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا الحكم بن عبد الملك  
عن قتادة في قول الله تعالى ( ١١ : ١٢٠ ) إلامن رحم ربك ، ولذلك خلقهم ) قال :  
للرحمة والطاعة ، فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة ، وإن تفرقت ديارهم ،  
وأهل مصيبة الله فقلوبهم مختلفة ، وإن اجتمعت ديارهم .

وأنشدني منصور بن محمد السكري :

فما تُبصر العينان والقلب آلف ولا القلب واليمينان منطبقان  
ولكنهما روحان تعرضن لذي لذي فيعرف هذا ذي فيلتقيان .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء  
من قلبه وسكونه : هو الاعتبار بمن يحاذيه ويؤده ، لأن المرء على دين خليله ،  
وطير السماء على أشكالها تقع .

وما رأيت شيئاً أدلّ على شيء ، ولا الدخان على النار ، مثل الصاحب على  
الصاحب . وأنشدني الأبرش :

يقاس المرءُ بالمرء إذا ما هو ماشاء  
وذو العُرِّ إذا ما احتسبك ذا الصِّحة أعدام<sup>(١)</sup>  
والشيء من الشيء مقاييس وأشباه  
والروح على الروح دليل حين يلقاه  
حدثنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدى ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق  
عن هيرة ، قال : اعتبر الناس بأخذانهم<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المر - بضم العين المهملة - الجرب . يقول : إن الصديق يعدى صديقه .  
كما يعدى الأجرب السليم .

(٢) اعتبر : قس ، والأخذان : جمع خدن - بالكسر - وهو الصديق .

أبنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأنباري ، حدثنا محمد بن صالح العدوي ، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبي قال : سمعت أبي يقول : سمعت مالكاً يقول « الناس أشكال كأجناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب مع الغراب ، والبطة مع البطة ، والصعو مع الصعو <sup>(١)</sup> وكل إنسان مع شكله » وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

يزين القتي في قومه ويشينه وفي غيرهم : أخذائه ومدخله  
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله  
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إن كنت حاتم ، وبني استبدلت مطرحاً ودأ ، فلم تأت مكروها ولا بدعاً  
فكل طير إلى الأشكال موقعها والفرع يجرى إلى الأعراق منتزعا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يحتجب بمأشاة المريب في نفسه ، ويفارق صحبة المنهم في دينه ؛ لأن من صحب قوماً عرف بهم ، ومن عاشر امراً نسب إليه ، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بدا من صحبة الناس تحرى صحبة من زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه حسنة عدّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكت عنه ابتداء ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني ، حدثني عبد الصمد بن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياص عن أبي عبيدة قال « تكلم عصفور في بني إسرائيل مع قنح ، فقال العصفور : اخناؤك لماذا ؟ قال : من العباداة . قال : دفنك في التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال : هذا لباسي . قال :

(١) الصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس .

ما هذا الطعام ؟ قال : هذا أعددتُه لعابر السبيل . قال : فتأذن لي فيه ؟ قال :  
نعم . قال : فنقر المصفور نقرة فأخذ بمنقه ، فجعل المصفور يقول : شَغْ شَغْ  
شَغْ . وقال : والله لا يغرنى قارىء بعدك أبداً .

وأنشدني محمد بن أبي علي لابن أبي القيس :  
إن كنت تبغى العلم أو نحوه أو شاهداً يجير عن غائب  
فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب  
وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

تعارفُ أرواحُ الرجال إذا التقوا فمنهم عسودٌ يُتَّقَى وخليل  
كذلك أمور الناس والناس منهم خفيف إذا صاحبه وثقيل

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :  
اجعل قرينك مَنْ رضىت كماله واحذر مقارنة القرين الشائن  
كم من قرين شائن لقرينه ومُهْجَنٍ منه نكل محاسن  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ، فإذا  
ازداد به علماً ازداد به عجباً ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لا يزداد به علماً  
إلا ازداد له مقتاً ، فاتفاقهما يكون بانفاق الروحين قديماً ، وافتراقهما يكون  
بافتراقهما ، وإذا اختلفا ثم افترقا فإفراق حياة من غير بُغضٍ حادث ، أو فراق  
مات ، فهناك الموت القطيع ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطول غُمةً ،  
وأظهر حسرةً ، وأدوم كآبةً ، وأشد تأسفاً ، وأكثر تلهفاً من موقف الفراق  
بين المتواخين ، وما ذاق ذائق طعماً أماً من فراق الخليلين ، وانصرام القرينين .  
حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت  
جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القراء أن يفرقوا ليل يَكِرُّ عليهم ونهار  
 أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري ، حدثنا  
 الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن موسى أبو غزيرة قال : كان أبو العتاهية إذا  
 قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعني ، وقال :  
 إن نعيش نجتمع ، وإلا فما أشغل من مات عن جميع الأنام  
 حدثنا محمد بن أبي علي ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا  
 أحمد بن عبد الأعلى الشيباني :

فيا عجباً من يمدُّ يمينه إلى إلفه عند الفراق ، فيسرع  
 ضعفت عن التوديع لما رأيته فصالحته بالقلب ، والعين تدمع  
 وأنشدني ابن نياض للبحري :

الله جارك في انطلاقك تلقاء شامك ، أو عراقك  
 لانه ذائتي في مسي رى حيث سرت ، ولم ألاقك  
 إني خشيت موافقاً لبين نسفح غرب مافك<sup>(١)</sup>  
 وعدت ما يخشى المودع عند ضمك واعتناقك  
 فتركت ذلك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك  
 وأنشدني منصور بن محمد السكري :

أفي كل يوم حية البين تفرع وعيني لبين من ذوى الود تدمع  
 فلا النفس من نهيامها مستفيضة ولا بالذى يأتي به الدهر تقنع<sup>(٢)</sup>

(١) نسفح : تريق . والغرب : الدلو الكبير ، والملاق : الموق ، شبه موق عينه بالدلو  
 الكبيرة لكثرة ما يذرف من الدموع عند الفراق .

(٢) النهيام : الهيام ، وهو شدة الحب ، ووقع في الأصل « نهامها » وأحسبه  
 محرفاً عما أثبت .

وأنشدني محمد بن بندار بن أصرم :

أيا قلبُ لا تجزع من البين ، واصطبر      فليس لما يُقضى عليك بدافع  
توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً      يُحرك ، ودعني من نحوس الطوابع  
وكل الذي قد قدر الله واقع      وما لم يُقدِّره فليس بواقع  
وأنشدني عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسي لنفسه :

نظقت مدامعه بما في قلبه      وعن الجواب لسانه لا ينطق  
فكانه مما يقاسى قلبه      دَفِئُ مريض أو أسير مُوثق  
وكأنما الأشجان في أحشائه      لفراق أهل الود نارٌ تحرق  
كيف السلو ، وهل له من سلوة      مَنْ بان عن أحبائه يتفرَّق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشيء على مضمحل الحشا بضد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وَطَنَ نفسه في ابتداء العاشرة على ورود ضد الجليل عليها من صحبته ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلته ، لا يظهر الجزع عند الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحترق ، إلا بمقدار ما يوجب العلم إظهاره .  
ولقد أواع بجماعة الفراق حتى إنهم خرجوا إلى ثَلَب الطيور ، ومدح الدِّمَنِ<sup>(١)</sup> وتأولوا لمن نوح عليه السلام الغراب .

أنبأنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبى ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريري ، عن أبي السَّليل عن أبي سراح قال « بعث نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على الجودي ، يلتسان له الجُدَّ - يعنى الأرض - فأما الغراب فرأى جيفة فوقه عليها

(١) الثلب : النقص والعيب والدم . والدمن : الأطلال وآثار الديار .

فأكل منها . وأما الحمامة فجاءت عاضّةً على غصن شجرة بطين أحمر . قال :  
فدعا للحمامة بالبركة ، وأما الغراب فقلعه ، وقال له قولاً شديداً .

أنيابنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين  
البغوي ، قال : قال سليم بن منصور « أمرت لُبْنَى فاشترى لها أربعة غرابان ،  
فلما رأتهن صرخت وبكت ، وكنتهن ، وجعلت تصر بهن بالسوط حتى قتلتهن  
جميعاً . وأنشأت تقول :

لقد نادى الغراب بين لُبْنَى      فطار القلب من حذر الغراب  
وقال : غداً تُبَايِنُ دار لُبْنَى      وتناهى بعد ود واقتراب  
فقلت : نصبت ، ويحك من غراب      أكل الدهر سعيك في كُباب  
نقد أولعت لا لَقِيتُ خيراً      بتفريق المحب عن الحبيب

وأشدني إبراهيم بن علي الطريقي ، قال : أشدني علي بن إسحاق :

غراب البين ، ويحك صبح بقرب      كما قد صحت ويحك بالبعد  
تصادى بالتفرق كل يوم      فمالك بالتواصل لاتصادى ؟  
أراني الله ريشك عن قريب      تمرطه البزاة بكل وادي (١)  
كما أسخفت يوم البين عيني      وألقيت الحزاة في فؤادي

أنيابنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، بهمدان ، حدثنا عبد الكبير بن محمد  
الأنسي ، حدثنا بعض أصحابنا ، قال : مررت بالبصرة على باب دار ، فإذا بصوت  
غراب يُجَلَّد ، فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها جَوَار ، وهي

(١) الرط - بفتح الميم وسكون الراء - تنف الريش . والبزاة : جمع باز ،  
وهو من الطيور الكاسرة .

تأمر بجلده . فقلت : أما تتفون الله في هذا الغراب . فقلت لي : هذا الغراب الذي قيل فيه :

ألا يا غراب البين قد طرئت بالذي أحاذر من لُبِّي ، فهل أنت واقع ؟  
فقلت : ليس هذا ذك الغراب . فقلت : والله ما تركت تأخذ اليرى ، بالسقيم حتى تفقر بذلك الغراب .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات والأشعار على التقصى في كتاب « الوداع والفراق » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشيء ، المحصول ، والإتياء إلى الشيء ، المقول .

### ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أما الحسن بن سفيان ، حدثنا يزيد بن صالح الشكري ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلاً زار أخاً له في قرية ، فأرصد الله على مדרجته ملكاً<sup>(١)</sup> فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة ترُبُّها ؟ قال : لا ، إلا أني أحبه في الله ، قال : إني رسول الله إليك ، إن الله تبارك وتعالى أحبُّك كما أحبته »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للأخوان وتفقد أحوالهم ؛ لأن الزائر في قصده الزيارة ، يشمل على مصادفة معنيين : أحدهما : استكمال الذخير في الآجل ينفعه ذلك . وقد قال بعض القدماء : إن

---

(١) أرصده : أقامه ينتظره ويتوقفه . والمدرجة : المسلك الذي يدرج فيه . وتربُّها : أي تحفظها وتراعِبها وتربِّها كما ربَّى الرجل ولده .



الرجل إذا زار أخاً له في الله ، لم يبق في السماء ملك إلا حيّه بتحيةة مستأنفة لا يحية ملك مثله ، ولم يبق شجرة من شجر الجنة إلا نادى صاحبته : ألا إن فلان بن فلان زار أخاً في الله <sup>(١)</sup>

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بغنيمتين معا .  
ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا العلابي ، حدثنا عبد الله بن رجاء النعدي قال : كان عتبة الفلام يأوي المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فلم عليهم حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثني بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن عبد قيس : إنما أجدني آسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظماء أهواجر ، ولأن بها إخواني ، ولأن بها وطني .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابي ، حدثنا محمد بن سهل التميمي ، قال : سمعت الفريابي يقول : جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريقى عليك ، ولكنى أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندي ليلة ، وجاءني ابن المبارك ، وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس <sup>(٢)</sup> فأقام عندي ثلاثاً ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندي عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام .

---

(١) هذا من علم الغيب الذي لا ينبغي القول فيه إلا لله والرسول . وإلا كان قولاً على الله بغير علم . والله يقول ( ٧ : ٣٣ ) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن — إلى قوله — وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ( )

(٢) إنما مواقيت الإحرام بالحج والعمرة كمواقيت الصلاة ، حددها الله على رسوله =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس في الزيارة على ضربين :  
فمنهم من صحح الحال بينه وبين أخيه ، وتعرى عن وجود الخلل ، وورود  
البغض فيه ؛ فإذا كان بهذا النعت ، أحبت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط  
في الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعت لا يورث الملالة ،  
والإفراط في الاجتماع بين من هذه صفته يزيد في المؤانسة .

والضرب الآخر : من لم يستحكم الود بينه وبين يواخيه ، ولا أداها الحال  
إلى ارتفاع الحسنة بينهما فيما يتبدلان لمهتبهما ؛ فإذا كان بهذا النعت أحبت له  
الإقلال من الزيارة ؛ لأن الإكثار منها ينهما يؤدي إلى الملالة ، وكل مبدول  
مملول ، وكل ممنوع ممدود . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة  
تصرح بنفي الإكثار من الزيارة حيث يقول « زُرْ غَيًّا تَزُدُّ حُبًّا » إلا أنه لا يصح  
منها خبر من جهة النقل ، فتكينا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب ، وإليها  
ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم .

من ذلك ما أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وقد قال النبي ، وكان بَرًّا إذا زرت الحبيب فزره غَيًّا  
وأقلل زُور من تهواه تزدد إلى من زرنه مِقَّةً وحبا<sup>(١)</sup>  
وأنشدني محمد بن أبي علي :

إني رأيتك لي محبا وإلى حين أغيب صَبًّا  
فعمدت لا ملالة حَدَّثْتُ ولا استحدثتُ ذنبًا

وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه ( ٢ : ٢٢٩ ) ومن يتعد حدود  
الله فأولئك هم الظالمون ( وإنما أتى الأولون والآخرون من قبل التساهل في مثل هذا  
التعدي متوهمين أنه مبالغة في العبادة ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم  
( ١ ) اللة : شدة الاشتياق .

إلا لقول نبينا : زوروا على الأيام رغبا

أنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيباني ، حدثنا سعيد ابن عنبسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كل مودة لاتزداد إلا بالالتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره قلة الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، والمودة إذا أضرت بها قلة الالتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحل في نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد ؛ فالتوقى من الإكثار في الزيارة أولى به ، لئلا يستثقل ويمك .

وأنشدني الخلابي ، أنشدني أحمد بن محمد الصيداوي :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى المهر مسلكا  
فإني رأيت القطر ينام دائما ويسأل بالأيدي إذا هو أمكا  
وأنشدني الكريزي :

أقلل زيارتك الخيـتب تكون كالثوب استجدّه

إن الصديق يـمـلّه أن لا يزال يراك عنده

وأنشدني أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد ، لأبي تمام :

وطول مقام المرء في الحى مخنق<sup>(١)</sup> لديباجتيه<sup>(٢)</sup> ، فاغترب تنجدد

فإني رأيت الشمس زبدت محبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

أنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ،

حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس

على جلسي الذي يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلى » .

أَبَانَا مَكْحُول بِيَرُوت ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بِشِيرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( ٤٢ : ٢٦ ) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ] قَالَ : يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانِهِمْ ( وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ) قَالَ : يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانِ إِخْوَانِهِمْ .

### ذكر صفة الأحق والجاهل

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ نُوْفَلٍ ، أَبَانَا أَبُو دَاوُدَ السَّنْجِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ شَبِيلِ بْنِ عَزْرَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعِطَارِ ، إِنْ لَمْ يُعْطَكَ شَيْئًا يُصْبِكُ مِنْ عَطْرِهِ . وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ مَثَلُ الْقَيْنِ ، إِنْ لَمْ يَحْرِقْ ثَوْبَكَ ، أَصَابَكَ مِنْ دَخَانِهِ »<sup>(١)</sup> قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : شَبِيلُ بْنُ عَزْرَةَ هَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَرَأْتُهُمْ ، وَلَسَكُنْهُ لَمْ يُحْفَظْ بِإِسْنَادِ هَذَا الْخَبَرِ ؛ لِأَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَقْصُرُ بِهِ شَبِيلٌ وَلَمْ يُحْفَظْ . وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَرْكُ صَحْبَةِ الْأَحْمَقِ ، وَجَنَابَةِ مَعَاشِرَةِ النُّوْكَى ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ لَزُومُ صَحْبَةِ الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ ، وَعَشْرَةُ الْقَطْنِ اللَّيِّبِ ؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ وَإِنْ لَمْ يُصْبِكْ الْحُظُّ مِنْ عَقْلِهِ ، أَصَابَكَ مِنَ الْإِعْتِبَارِ بِهِ . وَالْأَحْمَقُ إِنْ لَمْ يُعْدِكَ حَقَّهُ تَدَنَسَتْ بِعَشْرَتِهِ .

وَلَقَدْ أَبَانَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّنْجِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الْبَرْسِيُّ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ عِبَادٍ حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ خَرَّاشٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَسِيرِ بْنِ عَمْرٍو — وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ الصَّحَابَةَ — قَالَ : أَهْجَرَ الْأَحْمَقُ ، فَلَيْسَ لِلْأَحْمَقِ خَيْرٌ مِنْ هَجْرَانِهِ .

(١) وَقَعَ هُنَا فِي الْمَطْبُوعَةِ السَّابِقَةِ أَرْبَعُ صَحَائِفَ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ ،

أُتِيَنَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ الْمَعْدِلِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَحْيَى الْقُرْبِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ  
ابْنُ إِسْحَاقَ الْحِشَابِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ سُلَيْمَةَ بْنِ بِلَالٍ قَالَ : كَانَ فَتًى يُعْجِبُ عَلَى  
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَرَأَاهُ يَوْمًا وَهُوَ يَمَاشِي رَجُلًا مَتَمِّمًا ، فَقَالَ لَهُ :

لَا تَصْحَبِ الْجَاهِلَ لِي إِيَّاكَ وَإِيَّاهُ  
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرَدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ  
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءَ  
وَالشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ مَقَاسٌ وَأَشْبَاهُ  
وَالْقَلْبُ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يُلْقَسَاءُ<sup>(١)</sup>

وَأُنْشِدُنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

اخْتَرِ ذَوِي التَّمْيِيزِ وَاسْتَقْبِقْهُمْ وَجَانِبِ النَّوْكَى وَأَهْلَ الرِّيبِ  
فَصَحْبَةُ الْعَاقِلِ زَيْنُ الْفَقِي وَصَحْبَةُ الْأَنْوَكِ أَخْذُ السَّبَبِ  
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مِنْ عِلَامَاتِ الْحَقِّ الَّتِي يَجِبُ لِلْعَاقِلِ تَقَدُّمُهَا  
مِنْ خَفَى عَلَيْهِ أَمْرُهُ : سُرْعَةُ الْجَوَابِ ، وَتَرْكُ التَّثَبُّتِ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الضَّحْكَ ،  
وَكَثْرَةُ الْإِتْفَاتِ ، وَالْوَقِيعَةُ فِي الْأَخْيَارِ ، وَالِاخْتِلَاطُ بِالْأَسْرَارِ .  
وَالْأَحَقُّ إِذَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ اغْتَمٌ ، وَإِنْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ اغْتَرَّ ، وَإِنْ حَلُمَتْ عَنْهُ  
جَهْلٌ عَلَيْكَ ، وَإِنْ جَهِلَتْ عَلَيْهِ حُلْمٌ عَنْكَ ، وَإِنْ أَسَأَتْ إِلَيْهِ أَحْسَنُ إِلَيْكَ ، وَإِنْ  
أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ ، وَإِذَا ظَلَمْتَهُ انْتَصَفْتَ مِنْهُ ، وَيُظْلَمُكَ إِذَا أَنْصَفْتَهُ .

وَمَا أَشْبَهَ عَشْرَةَ الْحَقِّ إِلَّا بِنَا أَنْشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِعِيُّ :

(١) فِي نِسْبَةِ ذَلِكَ الشَّعْرِ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَظَرٌ ، فَلَقَدْ نَحَلَ كَثِيرًا مِنَ  
الشَّعْرِ وَالتَّرِّ ، بَلْ أَلْصَقَ بِهِ كَثِيرٌ نَحَا فِي كِتَابِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ، وَصِفَةِ الْبَلَاغَةِ الْمَحْدَثَةِ ،  
وَعَقِيدَةِ الْإِعْتِرَالِ صَارِخَةً مِنْهُ بِأَنَّهُ أَكْثَرُ الْكُتُبِ مِنْ صَنْعِ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ أَوْ آخَرٍ  
مِنْ شَكْلِهِ .

لى صديق يرى حقوقى عليه      نافلات وحقه كان فرضا  
لو قطعت الجبال طولاً إليه      ثم من بعد طولها سیرت عرضاً  
لأى ماصنعت غير كبير      واشتهى أن أزيد فى الأرض أرضاً

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجعيد قال : قال لى أبو طاهر  
ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد بن  
أبى أيوب قال : لا تصاحب صاحب سوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم وده  
ولا ينقى بهمه .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لن يسمع الأحق من واعظ      فى رفعة الصوت وفى همه  
لن تبلغ الأعداء من جاهل      ما يبلغ الجاهل من نفسه  
والحق دأب ، ماله حيلة      ترجى ، كبعد النجم فى لسه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحق ، كما أن أفقد البصائر  
العقل ، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحق كان الواجب عليه لزوم لأخلاق نفسه ،  
والمبادرة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانتباه لما حرم  
غيره التوفيق له ، فإن جرى الأحق فى صحبتته ميدانه فى عشرته فالواجب على  
العاقل لزوم السكوت حينئذ فى أوقاته ، لأن أبا هريرة محمد بن عمر بن يوسف  
أنبأنا بنسأ حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعمش  
يقول : السكوت للأحق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحق من لا يصدّه عن سلوكه  
السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه .  
فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعته تكلف بعض الجاهل فى الأحايين

لأن بعض الحلم إذعان ، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل .  
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج  
ولي فرس للحلم بالحلم ملجئ ولي فرس للجهل بالجهل مسرج  
من شاء تقويي فإني مقوم ومن شاء تعويجي فإني معوج  
وما كنت أرضى الجهل خدينا ولا أخا ولكني أرضي به حين أخرج  
فإن قال بعض الناس : فيه سماجة ، فقد صدقوا ، والذل بالحر أسهج  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

إن تُرضي الرذل إلا حين تسخطه وليس يسخط إلا حين ترضيه  
ولا يسوءك إلا حين تكرمه ولا يبرك إلا حين تقصيه  
حدثنا أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سفيان المصري عن سفيان  
الثوري قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحمق ، ولولا ذلك لم ينفعه عيشه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازي حدثنا الزبير بن  
بكار عن محمد بن حرب قال : قال عبد الله بن حسن لابنه : يا بني احذر الجاهل ،  
وإن كان لك ناصحا ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا ؛ فيوشك الجاهل أن  
يورطك بمشورته في بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ومن شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ،  
والعجز ، والجهل ، والفتنة ، والوهن ، والمهانة ، والتمرض ، والتحاسد ، والظلم ،  
والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغنى ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ،  
والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحق في الأحمق لسانه ؛ فإنه يكون قلبه في طرف  
لسانه ، ، ما خطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل ، ويتكلم في الساعة  
الأخرى بكلام لا يعجز عنه بأقل .

والعقل يجب عليه مجانية مَنْ هذا نفعه ، ومخالطة مَنْ هذه صفتة ، فإنهم  
يجترئون على من عاشرهم . ألا ترى الزُّطَّ (١) ليسوا هم بأشجع الناس ، ولكمهم  
يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها .

وأنشدني محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني :

وَكُنْ يَمَادِي عَاقِلًا خَيْرَ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ صَدِيقٌ أَهْوَى  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحَقًّا إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وأنشدني منصور بن محمد الكريري أنشدني أبي لصالح بن عبد القدوس :

احذر الأحق أن تصحبه إنما الأحق كالثوب الخلق

كلما رُفِعَتْهُ مِنْ جَانِبٍ حَرَكْتُهُ الرِّيحُ وَهَنًا فَانْخَرَقَ

أَوْ كَصَدْعٍ فِي زُجَاجٍ فَاحْشُ هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَلْتَصِقُ ؟

كحجار السوء ، إن أفضتته (٢) رَمَحَ النَّاسُ ، وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ

وَإِذَا جَالَسْتَهُ فِي مَجْلَسٍ أَفْسَدَ الْمَجْلِسَ مِنْهُ بِالْخُرْقِ

وَإِذَا نَهَيْتَهُ كَيْ يَرْغَوِي زَادَ شَرًّا ، وَتَمَادَى فِي الْهَمَقِ

عجبا للناس في أرزاقهم ذاك عطشان ، وهذا قد غرق

أنبأنا يعقوب بن إسحاق القاضي ، حدثنا أبو هاني عبد الحميد بن عبد الله

حدثنا عبد النعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحق كالثوب الخلق ، إن

رفأته من جانب انخرق من جانب آخر ، مثل الفخار المكسور ، لا يرقع ولا

يُشْعَبُ ، وَلَا يَعَادُ طِينًا .

(١) الزُّط : جنس من السودان والهنود طوال الأجسام مع نخافة .

(٢) أفضتته : علفته القضم - بضم القاف وبتشديد الصاد - وهو نبت من الخضر



فهذا مثل الأحق : إن صحبته عناك ، وإن اعتزلته شتمك ، وإن أعطاك من عليك ، وإن أعطيته كفرك ، وإن أسرَّ إليك اتهمك ، وإن أسررت إليه خانك ، وإن كان فوقك حقرك ، وإن كان دونك غمرك .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر  
فطنا بكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

وإن عناء أن تفهم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم

وتشخص أبصار الرعاع تعجباً إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم

(١) قال أبو حاتم رضي الله عنه : الأحق يتوهم أنه أعدل من ركب فيه الروح ، وأن الحق قسّم على العالم غيره ، والأحق مبعّض في الناس ، مجهول في الدنيا ، غير مرضى العمل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل محبب إلى الناس ، مسود في الدنيا ، مرضى العمل عند الله في الآخرة ، وعند الصالحين في الدنيا .

أنيانا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحق المقبل .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

وما النقي إلا أن تصاحب غاويًا وما الرشداً إلا أن تصاحب من رشداً  
ولن يصحب الإنسان إلا نظيرُهُ وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

(١) من هنا يتبدى الكلام الذي نهنا على أنه وضع في ص ١٢٤ في الطبعة

السابقة خطأ .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :  
لنا جليس تارك للأدب جليسه من نوكه في تعب  
يفضب جهلا عند حال الرضا عدداً ، ويرضى عند حال الغضب  
فتعنه منه كلما جاءنا في عجب قد جاز حد العجب  
كأنه من سوء تأديبه أسلم في كتاب سوء الأدب  
أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الرعي ، حدثنا عبد الله  
ابن موسى البصري ، حدثنا العتيبي ، قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل بخشونة  
العيش مع العقلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : وإن من شيم العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ،  
والسكينة ، والوفاء ، والبذل ، والحسكة ، والعلم ، والورع ، والعدل ، والقوة ، والحزم ،  
والسكينة ، والتميز ، والسمت ، والتواضع ، والمفوض ، والإغضاء ، والتعفف ،  
والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشد يديه به ولا يرايله على الأحوال كلها  
والواجب على العاقل أن لا يضحك بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .

وتقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدي النسوي ، حدثنا علي بن سعيد بن جرير ،  
قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرني عن مالك بن دينار أنه قال : مررت  
براهب في صومعته فناديته ، فأشرف علي ، فكلمني وكلته ، فقال لي فيما يقول :  
إذا أستطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطا فافعل <sup>(١)</sup> ، وإياك وكل  
جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تجالسه ، قريبا كان أو بعيدا .

(١) وهذا بظاهره طلب المستحيل ، وهو من أحق الحق وأسفه السفه ، ولا يكون  
من الرهبان إلا ذلك ؛ فإنهم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته  
البالغة هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للإنسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان  
الله بلاريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بها مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا

## ذكر الزَّجَرِ عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أحمد الرقام بئستر ، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تباعضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »

حدثنا محمد بن عثمان العمري ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نافع ، عن كثير بن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال باصلاح عيوب نفسه ؛ فإن من اشتغل بعيوبه

== خلق شيئا في السموات والأرض باطلا ، بل كله حق ، فتقدر لرئيسنا ذلك ونضع كل شيء في موضعه ؛ فقد قال سبحانه ( ١٠ : ٢٦ ) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) واقد عمى أولئك الرهبان ومقلدوهم كل العمى فذهبوا متخبطين في مهامه الغي والفساد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يفهروا سنن الله ويطلبوها فقهرتهم وغلبتهم ، والله ( ٦ : ١٨ ) هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فكان منهم أفسق الفسق ، وشتر العصيان ؛ ولئن ضل رهبان النصارى لتبديل شريعة عيسى عليه السلام وتحريفها ، فلما بال رهبان المسلمين ضلوا وراءهم ضلالا بعيدا ؟ وهذا كتاب الله محكم آياته ، واضحة شرائعه ، يضاء بحجته ، قائمة صوابه ومطلعه ، وهذا هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس يمدحهم ويدعوهم إلى الهدى وإلى صراط الله المستقيم ؛ ولكن هو إبليس القوى ، والتقليد الردي ، والقول للفسد والهووى المتكبر ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، وعليك بهدى رسول الله فهو خير هدى .

عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فسكنا اطلع على عيب نفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عى قلبه وتعب بدنه ، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم ، وأعجز منه من عابهم بما فيه ، ومن عاب الناس عابوه ، ولقد أحسن الذى يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا      عليك ، وأبدوا منك ما كان يُستَرُ  
وقد قال فى بعض الأفاويل قائل      له منطق فيه كلام مُحَبَّرُ  
إذا ما ذكرت الناس فترك عيوبهم      فلا عيب إلا دون مامتك يُذكر  
فإن عبت قوما بالذى ليس فيهم      فذلك عند الله والناس أكبر  
وإن عبت قوما بالذى فيك مثله      فكيف يعيب العور من هو أعور ؟  
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه      أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر ؟  
متى تلتبس للناس عيبا تجد لهم      عيوباً ، ولكن الذى فيك أكثر  
فسالهم بالكف عنهم ، فإنهم      بعينك من عينك أهدى وأبصر

حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضى ، حدثنا سعيد ابن مسلمة الإيادى ، قال : ادعت امرأة على رجل حمارا لها ، قدمته إلى القاضى ، فسألها البينة ، فاحضرت أبا دلامة ورجلا آخر ، فقال لها القاضى : أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته ، فأثبتنا بشاهد آخر ، فأنت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى القاضى ، وأنشأ يقول :

إن الناس عَطَوْنِي تَغَطِيَتْ عَنْهُمْ      وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَيُحِبُّهُمْ مَبَاحِثُ  
وإن حَفَرُوا بِئْرِي حَفَرَتْ بِئْرُهُمْ      لِيَعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَلَكُ النَّبَاحِثُ<sup>(١)</sup>  
فقال القاضى للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتملناها

(١) نبث التراب ونبشه : حفره يده وأثاره .

لك من مالى ، وأنشدنى الكرىزى :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره      ويعمى عن العيب الذى هو فيه  
وما خير مَنْ تخفى عليه عيوبه      ويبدوله العيبُ الذى لأخيه

حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عتبة للصرى ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن الشيباني ، قال : فى الكتب مكتوب : كما تدين تدان ، وبالكأس الذى تسقى به تشرب ، وزيادة : لأن البادىء لا بد له من أن يزداد . قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجسس من شعب النفاق ، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بغمومه وأحزانه ، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر فى جنائياته وأشجانه .

ولقد أحسن الذى يقول :

ما يستريح السوء ظنا      من طول غم ، وما يُريحُ  
وقلَّ وجه يضيق إلا      ودونه مذهب قسيحُ  
مَنْ خَفَّفَ الله عنه هبت      من كل وجه إليه ريح  
والجسم حيث استقر هاد      والروح جَوَّالة نسيم  
كم تذبَّح الأرض من بنينا      كل بنينا لها ذبيح  
لن يهلك المرء من سماح      وقلَّما يُفلح الشَّحيح

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :

أحدهما : منهى عنه بحكم النبى صلى الله عليه وسلم .

والضرب الآخر : مستحب .

فأما الذى نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة ، على ما تقدم

ذكرناه .

وأما الذى يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبينه عداوة أو شحنة  
فى دين أو دنيا، يخاف على نفسه مكره؛ فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده  
ومكره؛ لئلا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه .

وفى ذلك أنشدنى الأبرش :

وحسن الظن يحسنُ فى أمور      ويمكن فى عواقبه ندامة  
وسوء الظن يسُج فى وجوه      وفيه على سماجته حزامه

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ما ينبغي لأخى ودِّ وتجربة      أن يترك الدهر سوء الظن بالناس  
حتى يكون قريباً فى تباعده      عنا، ويدفع ضرَّ الحرص بالياس  
حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا إبراهيم بن هانىء، حدثنا ابن أبى مريم، حدثنا<sup>(١)</sup>  
أنبأنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن  
عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب فى التوراة « من  
تَجَرَّ<sup>(٢)</sup> فَجَرَّ ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام فى الأخلاق  
والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون  
غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طمَّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ،  
وكيف يستحسنُ مسلم ثلبَ مسلم بالشئ الذى هو فيه ؟

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لا تلبس من مساوى الناس ماستروا      فيهِتِكَ الناس سترأ من مساويكا

(١) كذا بالأصليين ، وإلى هنا ينتهى الكلام الذى نبهنا فى ص ١٢٤ على أنه  
وضع خطأ هناك فى المطبوعة السابقة .

(٢) أى صار تاجراً ؛ واتخذ التجارة صناعته .

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تَبْ أَحداً عيماً بما فيكما  
وأُشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا ما انقبت الأمر من حيث يُتَقَى وأبصرت ما تأتي ، فانت لبيب  
ولا تلك كالنهي عن الذنب غيره وفي كفة مما يُدْمُ نصيب  
يعيب فعال السوء من فعل غيره ويفعل أفعال الذين يعيب  
حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمرى حدثنا حماد بن  
إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثني عزيز عن الزبير بن موسى الخزومي  
قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهي زوجة طلحة بن عبد الله بن  
عوف لزوجها : ما رأيت أحداً قطُّ الأم من أصحابك ، قال : مه ، لا تقولي ذلك  
فيهم ، وما رأيت من يؤمهم ؟ قالت : أمراً والله ببئناً ، قال : وما هو ؟ قالت :  
إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : ما زدت على أن وصفتهم  
بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا في حال  
القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عليهم .

### ذكر الحث على مجاورة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله ! - حدثنا بشر بن معاذ  
المقدي<sup>(١)</sup> حدثنا أبو عروانة عن قتادة عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبُّ مِنْهُ اثْنَانِ : الْحَرَصُ ، وَالْحَسَدُ » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : رَكَّبَ اللهُ جِلَّ وَعَزَّ فِي الْبَشَرِ الْحَرَصَ وَالرَّغْبَةَ  
فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، لِثَلَاثِ خُرُوبٍ ، إِذْ هِيَ دَارُ الْأَبْرَارِ ، وَمَكْسَبُ الْأَتْقِيَاءِ ، وَمَوْضِعُ  
زَادِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْتِجْلَابِ الْمِيرَةِ لِلصَّالِحِينَ ، وَلَوْ تَعَرَّى النَّاسُ عَنِ الْحَرَصِ فِيهَا

(١) في نسخة « العقي » .

بطلت وخربت ، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن اكتساب ما يجتدي عليه النفع في الآخرة نفلا ، والإفراط في الحرص مذموم ، كما أنشدني علي بن محمد البسامي :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته  
لو إلى الأمور ، أختر منها خيرا لي عواقبا ما عرفته  
ولو أني حرصت جهدي أن أدفع أمرا مقدرا ما دفعت  
فأرى أن أرد ذلك إلى من عنده علم كل ما قد جهلته  
وأنشدني محمد بن نصر المديني :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تنفي  
ما رأيت الحرص أدنى من حريص قط رزقا  
لا ، ولكن في قضاء الله : أن يعبا ويشقى  
تترف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقا

أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا  
نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء الناس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء  
البذل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أنشدونا منذ دهر للشافعي :

قدر الله واقع حيث يقضى وروده  
قد مضى فيك حكمه وانقضى ما يُريد  
وأخو الحرص حرصه ليس مما يزيد  
فأرد ما يكون إذ لم يكن ما تريد

أنبأنا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا ابن عليه عن أيوب  
عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .



قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ،  
وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميراً : لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن  
مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن في الحرص خصلة  
تذم إلا طول المناقشة بالحساب في القيامة على ما جمع لكان الواجب على العاقل  
ترك الإفراط في الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجنب الحرص ، ودع عنك الحسد      ففيهما الدُّلُّ وإتاعُ الجسد  
وأنشدني الكريزى :

وأرقتي طولُ التفكير إننى      عجبت لدهرٍ ما تُقضى عجائبه  
فكم عاجز يدعى جليداً لنفسه      ولو كلف التقوى لكلت مضاربه  
وعفٍ يسمى عاجزاً لعفافه      ولولا التُّقى ما أعجزته مذهبه  
فليس بحرص المرء أدركه الفنى      ولا باحتيال أدرك المال كاسبه  
ولكنه قبضُ الإله وبسطه      فلا ذا يحاربه ولا ذا يضاربه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد في الرزق ، وأهون ما يعاقب  
الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب في طلب  
ما لا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه  
واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه ، والظفر  
بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده .

وأنشدني علي بن محمد البسامى :

ألا رَبِّ باع حاجةً لا ينالها      وآخرُ قد تُقضى له وهو آيس  
يحاولها هذا ، وتقضى لغيره      وتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :  
 وكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة أكالاتٍ دهر  
 وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدري  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحرص علامة الفقر ، كما أن البخل جلباب  
 المسكنة ، والبخل لقاح الحرص ، كما أن الحمية لقاح الجهل ، والمنع أخو الحرص ،  
 كما أن الأنفة توأم السفه . وأنشدني عمر بن محمد قال : أنشدني الغلابي :  
 لا تأتين نذالة لمسألة فليأتينك رزقك المقدور  
 واعلم بأنك آخذ كل الذي لك في الكتاب مُحَبَّر مسطور  
 والله ما زاد امرأ في رزقه حرصٌ ، ولا أزرى به التقصير

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :  
 وأرض من العيش في الدنيا بأيسره ولا ترومن ما إن رُمته صعبا  
 إنَّ الغني هو الراضي بعيشته لا من يظل على ما فات مكتئبا  
 أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا  
 أبو عبد الرحمن العتيبي حدثني أبي قال : اختصمت بنو إسرائيل في القدر ، خمسمائة  
 عام ، ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم ، فقالوا له : أخبرنا عن القدر ، وقصر و بين  
 لتفهمه عنك العوام ، فقال : حرمان عاقل ، وحظ جاهل .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص ؛ إذ الحرص  
 سائق البلايا ، فالواجب على العاقل أن لا يكون بالقرط في الحرص في الدنيا ؛  
 فيكون مذموماً في الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون لبنيته  
 نهاية يرجع إليها ؛ لأن من لم يكن لقصده [منها] نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه .  
 فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذي يحمده .

وأنشدني للتصير بن بلال الأنصاري :

الحِرص عونٌ للزمان على الفنى والصبر نعم القرن للآزمان  
لا تخضعن فإن دهرك إن رأى منك الخسوع أمدّه بهوان  
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر ، لاقى الصبر بالإذعان  
وأشدنى منصور بن محمد الكريزى ، حدثنى شعيب بن أحمد لأبى العتاهية :  
لا تخضعن للخلق على طمع فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدين  
وأشدنى الكريزى أيضاً ، أشدنى شعيب بن أحمد لأبى العتاهية :  
قد شاب رأسى ، ورأسُ الحِرص لم يشب  
إن الحريص على الدنيا لنى تعب  
مالى أراى إذا حاولتُ مسزلةً  
فقلتمها طمعت نفسى إلى رتب  
لو كان ينفعنى علمى وتجربتى  
لم أشف غيظى من الدنيا ولا كلّى  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحسكايات بعلمها  
في كتاب « الثقة بالله » بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على  
معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء

أبانا محمد بن الحسين بن مكرم البزاز بالبصرة ، حدثنا عمرو بن على الفلاس ،  
حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، حدثنى عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد  
الله إخواناً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال

كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده ، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :  
أعذر حودك فيما قد خصصت به    إن العلي حسن في مثله الحسد  
إن يحسدوني فاني لا ألومهم    قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم    ومات أكثرنا غيظاً بما يجد  
أنا الذي وجدوني في صدورهم    لا أرتقي صدراً منهم ولا أريد  
أنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلاً عند العرش فبطه بمكانه ، فسأله عنه ، فقال : إلا أخبرك بعمله ؟ كان لا يحسد الناس علي ما آتاهم الله من فضله ، ولا يبقئ والديه ، قال : وكيف يبقئ والديه ؟ قال : يستسب لها حتى يسباً ، ولا يعيش بالنميمة .

أنشدني ابن بلال الأنصاري :  
عين الحسود عليك الدهر حارسة    تبدى مساويك والإحسان يخفيها  
فاحذر حراستها ، واحذر تكشفها    وكن على قدر ما توليك توليها  
أنا أبو عبد الرحمن بن زياد السكتاني ، بالأبوة ، حدثنا أبو يحيى الضرير ، حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن طبيعة عن كعب بن علقمة قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً ، ولو كان المرء أقوم من القِدَح لوجدت له غامزاً ، وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب »

وأنشدني علي بن محمد الباسي<sup>(١)</sup> :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه    قالقومُ أُنْدادَ له وخصوم<sup>(٢)</sup>  
كضرائر الحناء قلن لوجهها    حسداً وبغياً : إنه للميم  
وترى اللبيب مُحسداً لم يَحْتَلِبْ    شتم الرجال ، وعِراضهُ مشتم

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا  
غان بن الفضل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال ابن  
سيرين : ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة  
فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل  
النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحسد من أخلاق اللئام ، وتركه من أفعال  
الكرام ، ولكل حريق مطلق ، ونار الحسد لا تطفأ .

ومن الحسد يتولد الحقد ، والحقد أصل الشر ، ومن أضر الشرف قلبه ،  
أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، نماؤه الغيظ ، ونعته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما من  
رأى الخير في أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو النظر بحاله ، وهو غير مرید لزوال  
مافيه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذُمر ونُهي عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عَطُمتْ نعمة الله عليه ، فكما أنعمه الله بترداد  
النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم .

وقد كان داود بن علي — رحمة الله عليه ! — ينشد كثيراً :

(١) ثاني هذه الأبيات ينسب لابن الرومي .

(٢) المحفوظ « قالقوم أعداء له وخصوم » .

إني نثأت وحشادي ذور عدد إذا المearج ، لا تنقص لهم عدا  
 ابن عسدي على ما كان من حسن فقل خنقي فيهم جرّ لي حدا  
 حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا عباد  
 ابن عباد الهلي قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس  
 إلى قدّمك المدينة فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرائن تلقاها تحسنة وإن ترى للثام الناس حسادا  
 رأشدني الكريزي ، أشدني محمد بن الحسين العمي :  
 حسدا نعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلم  
 وإذا ما الله أيدي نعمة لم يضرها قول حساد النعم  
 سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول :  
 سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكتاب - كما تعلم أبو جاد<sup>(١)</sup>  
 جهل نيسابوري ، وبغل مروزي ، وحسد هروي ، وطرم<sup>(٢)</sup> بلخي  
 أنباء محمد بن عثمان العقي ، حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثني أبي  
 عن محمد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حسدت أحداً على  
 دين ولا دنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يوجد من الحسود أمان أخرو من البعد منه ؛  
 لأنه مادام مشرقاً على ما خصصت به دونه لم يزد ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ،  
 ونماء للحسد فيه .

فالمائل بكون على إماتة الحسد بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ، ولا يجد  
 لإماتته ذوات أنفع من البعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

(١) أبو جاد ، أو أبا جاد : حروف الهجاء .

(٢) الطرم : من . تطرم وهو الإكثار في الكلام .

خيانة ظهرت منك ، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما  
قال العتيبي :

أفكر ما ذنبى إليك ، فلا أرى لنفسي جرماً ، غير أنك حاسدٌ  
وأنشدي عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسدُ وله البغضاء من كل أحد

وأرى الوحدة خيراً للفتى من جليس السوء ، فانهض إن قصدُ

وأنشدي محمد بن نصر المديني حبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طوبى ، أتاح لها لسان حود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عَرَفِ العود<sup>(١)</sup>

لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على المحود

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا روح بن عبادة ،

حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال :

ما أنساك ! بنى يعقوب ، لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن غم الحسد

في صدرك ، فإنه لا يضرك ، ما لم يعد أسنانك وتعمل به بذلك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه

أبلغ المجهود في كتمانته ، وترك إبداء ما خطر بباله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتابة

لا يحسدها إلا الكتابة ، كما أن الحجة لا يحسدها إلا الحجة ، ولن يبلغ المرء مرتبة

من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من ينفض عليها ، أو يحسده فيها ، والحاسد

خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند نائبة تحدث ؛ فإنه إن حكم لم يحكم

(١) العرف - بالفتح - الريح الطيبة ، والعود : أراد به العود الذي ينبخر به .

إلا عليه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حظّه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن تعد لم يتعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ، وليس للحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه .  
وقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلاّين ، حدثنا العباس بن يكار قال : قال رجل لشبيب بن كَثَبَة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما عطفك ؟ قال : لأنك لست بحار ولا ابن عم .

وأُنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :  
أنت أسرو قصرت عنه مروءته    إلا من الغش للاخوان والحسد  
أأن تراني خيراً منك تحسدي ؟    إن الفضيلة لا تخلو من الحسد  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : بنس الشعار للمرء الحسد ؛ لأنه يورث الكد ، ويورث الحزن ، وهو داء لا شفاء له .

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهِت ، وإن رأى به عثرة شمت ، ودليل ما في قلبه كين ، على وجهه مبین ، وما رأيت حاسداً سألَ أحداً .  
والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسه نكداً على نفسه ، فصار لعينا بعد ما كان مكيناً <sup>(١)</sup> ، ويسهل على المرء رضى كل ساخط

---

(١) لست أدري : علام أقام القائلون بمكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه كان طاوس الملائكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلوة الصفحات ، لا نجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أصدق من الله قیلاً ؟ واعتقد أن للاسرائیلیات يدا طائفة في تلك النعوت التي خلعوها على إبليس . وكل ذلك من علم الغيب الذي لا ينبغي أن تنطق فيه إلا بكتاب الله ، أو بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .



في الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسدَ من أجبها .

ولقد حدثني محمد بن عثمان العقدي<sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : أُلِزِمُ الناسُ للسَّكَاةِ أربعةٌ : رجلٌ حديد ، ورجلٌ حسود ، وخليطٌ للأدباء وهو غير أديب ، وحكيمٌ محقرٌ للأقوام ، وأبعدُ الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله : جاهل ورث الضلالة عن أهله ، ورأس أهل ملته حظي فيهم بفضل الضلالة ، ومعظمٌ للدنيا يرى بهرجتها دائمةً محبوباً ، ويرى مارجي من خيرها قريباً ، وما صرف من شرها بعيداً ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خالط التساكف فأنصرف عنهم لحرصه وشرهه ، ودأبهم على مكر وخديعة .

### ذكر الخت على مجانبة الغضب وكرهية المجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار بإسناد يسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزياتي ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابراً قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئاً يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا تسكير على ، لعل أعجل ، قال : لا تغضب » قال أبو حاتم رضي الله عنه : أحسن الناس عقلاً من لم يجرد ، وأحضر الناس جواباً من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكى في العاقل من النار في يَبَسِ المَوْسِمِ ؛ لأن من غضب زایل عقله ، فقال ما سؤلت له نفسه ، وعمل ما شأنه وأرداه .  
ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدي<sup>(١)</sup> ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البغدادي

(١) في نسخة « العقي » .

حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثني وهيب قال : مكتوب في الإنجيل :  
ابن آدم ، أذكرني حين تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أمحك فيمن أمحك ؛  
وإذا ظلمت فلا تنتصر ، فإن نصرتك لك خبر من نصرتك لنفسك .

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلا ثمَّ إلا بشيمة      ولم أر عقلا صحَّ إلا على الأدب  
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم      عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : سرعة الغضب من شيم الخبيث ، كما أن مجانبته  
من زى العقلاء .

والغضب بذر الندم ؛ فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح  
ما أفسد به بعد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق التتني ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا  
بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك  
الله فيك !

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لم يأكل الناس شيئا من ما كلهم      أحلَّ وأحدَّ عقباؤه من الغضب  
ولا تلحف إنسان بملحفة أبيه      وأزين من دين ومن أدب  
أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،  
حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على  
غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ! أنت تصبني وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه  
قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الماقل إذا ورد عليه شيء بضد

ما تهواه نفسه : أن يذكر كثرة عصيانه ربه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه ولا يزرى بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعلاء في أحوالهم ، مع تأمل وفور الثواب في العقبى بالاحتمال ونفى الغضب .

وأنشدني الأنصاري :

وكظمي الغيظَ أولى من مُحاولتي غيظَ العدو يا ضراري يا عياني  
لاخير في الأمر تُرديني مغتبه يوم الحساب إذا مانصٌ ميزاني

أنيابنا محمد بن النذر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العبدي قال : سمعت سالم ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوتُ  
سكتٌ عن السفية فظنٌ أني عيت عن الجواب ، وما عيتُ  
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً قذى في جوف عيني ما قذيت  
فلستُ مجاوباً أبداً سفياً خزيتُ لمن يجافيه خزيتُ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنّ في أمرك ، وافهم عني فليس شيء يعدلُ التأنّي  
تأنّ فيه ، ثم قل ، فإني أرجو لك الإرشاد بالتأنّي  
أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزيري عن  
سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد  
ابن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تعجلْ على أحدٍ بظلم فإن الظلم مرتبةٌ وخيمُ  
ولا تفحش ، وإن مُليت غيظاً على أحد ، فإن الفحش لومُ  
ولا تقطع أحداً لك عند ذنب فإن الذنب يغفره الكريمُ

ولكن دار عوراهُ برفق كما قد يَرْقَعُ الخلق القديم  
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم  
فما جَزَعُ بَعْضٍ عَنْكَ شَيْئاً ولا مافات تَرْجِعُهُ الهوم  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في الغضب خصلة تدم إلا إجماع  
الحكام ، فاطبة على أن الغضبان لا رأى له مكان الواجب عليه الاحتياط لمفارقته  
بكل سبب .

والغضبان لا يعذره أحد في طلاق ولا عتاق ، ومن التقهات من عذَرَ السكران  
في الطلاق والعتاق ، والخلق محبوبون على الغضب والحلم معا ، فمن غضب وحلم  
في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بمذموم ، ما لم يخرج غضبه إلى المكروه من  
القول والفعل ، على أن مفارقته في الأحوال كلها أحد .

وقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال :  
قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يغضب الرجل لم يعلم ؛ لأن الخليم لا يعرف إلا  
عند الغضب .

### ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم  
حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملاً إذا أنا عملته أحبني  
الله ، وأحبني الناس ؛ فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس  
يحبك الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة

بكال اليأس عنهم ؛ إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر ، فكيف بما  
أنت شك في وجوده أو عدمه ؟  
ولقد أحسن الذي يقول :

لأجعلنَّ سبيل اليأس لي سُبُلًا      ما عشتُ منك ، ودارَ الهيمِ أوطانًا  
والصبرُ أجعله غرمًا أنال به      في الناس قربًا ، وعند الله رضوانًا  
فالنفس قانعة ، والأرضُ واسعة      والدار جامعة مثني ووحدانا  
وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسائي قال : أنشدني الحسين بن أحمد  
ابن عثمان :

اليأس أدبى ورفع همتي      واليأس خير مؤدب للناس  
إني رأيت مواضع الطمع الذي      يضع الشريف مواضع الأخساس  
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :<sup>(١)</sup>

فأجعتُ يأسًا لا لبانة بعده      واليأس أدنى للصفاف من الطمع  
والنفس تطمع هشة إن أطعمت      وتنسأل باليأس السلو فتقنع  
أنبأنا محمد بن عثمان المعني<sup>(٢)</sup> حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيى بن صالح  
حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن حمارة أنه قال لابنه : يا بني ، أظهر اليأس  
فإنه غني ، وإليك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أشرف المني ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى  
لدى طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف ، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع ،  
ولم يغم بصره الطمع .

ومن أحب أن يكون حرًا فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقر ، كما أن  
اليأس غنى ، ومن طمع ذل وخضع ، كما أن من قنع عفا واستغنى .

(١) البيتان الآتيان لباسا من بحر واحد ولا روى واحد لذلك فصلناهما

(٢) أنظر ص ١٤٥ السابقة .

ولقد أنشدني الكريري :

لا خير في عزم بغير روية      والشك عجز ، إن أردت سراحا  
والياس مما فات يعقب راحة      ولرب متطمعة تعود ذباحا

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فَكَتَ لِي أَمْلًا دَهْرًا أَطَالُهُ      فَسَيَّرْتُهُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَطْوَارًا  
صَرَفْتُ بِالْيَأْسِ عَنْهُ النَّفْسَ فَانْصَرَفْتُ      فَمَا أَبَالِي أَقَامَ الدَّهْرُ ، أَمْ سَارَا

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهَاجِرِ الْمَدَلِّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْوَانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَانٍ الطَّائِيُّ قَالَ : بَعَثَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّيْلِيُّ إِلَى جَارٍ يُقْرَضُ مِنْهُ ، فَلَمْ يُقْرَضْهُ ، وَاعْتَلَّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ حَسَنَ الظَّنِّ بِهِ ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

ولا تُشِيرَنَّ النفسُ يأساً ، فإنما  
يعيش بجدِّ عاجزٍ وجليلٍ — د  
ولا تَطْمَئِنَّ في مالٍ جارٍ لقربه  
فكل قريب لا يُنال بعيدُ  
وقَوِّضِ إلى الله الأمورَ ، فإنما  
روح بأرزاق العباد حدود

أُنْبَأَنَا الْقَطَاطُ بِالرَّقَّةِ حَدَّثَنَا الْمُرُوزِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ :  
 سَمِعْتُ ابْنَ السَّهَّالِ يَقُولُ : الرَّجَاءُ حَبْلٌ فِي قَلْبِكَ ، وَقَيْدٌ فِي رِجْلِكَ ؛ فَأَخْرَجَ الرَّجَاءَ  
 مِنْ قَلْبِكَ يَنْفِكُ الْقَيْدُ مِنْ رِجْلِكَ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الطمع غدة من قلب المرء له طرفان ، أحدهما : القيد في رجله ، والآخر : الطبع على لسانه ، فادامت العقدة قائمة لا تنفك رجلاه ، ولا ينطق لسانه ؛ فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد من رجله ، وزال الطبع عن لسانه ، فسعى إلى ما شاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من مَكُونِهَا بدوام الخلوة ، وترك الناس ، كما أشدني عبد العزيز بن سلمان الأبرش :

كُنْ لِقعر البيت حِلْسًا وأَرْض بالوحدة أنسا<sup>(١)</sup>  
لست بالواجد حُرًّا أو تردَّ اليوم أما  
فاغرس اليأس بأرض الـ \* زُهد ما عُمُرْتَ غربا  
وليكن يأسُّك دون الـ \* طمع الكاذب تُرسا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه  
مَذَلَّةٌ ، ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه مَنجاةٌ ، وتركه مَهْلَكَةٌ ، واليأس هو بذر  
الراحة والعز ، كما أن الطمع هو بذر التعب والنل ، فكم من طامع تعب وذل ،  
ولم ينل بغيته ، وكم من آيس استراح وتمزز ، وقد أتاها ما أمل وما لم يأمل .  
وأنشدنى الأبرش :

(١) إن من يلزم قعر البيت ليكون حِلْسًا - والحلس : الفراش المهيئ من خيش  
ونحوه ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والتمارق ، وهو أيضاً : ما يلي  
ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والرحل - لا بد أن يكون مهيناً حقيراً ، عالة على  
الناس ، معطلا عن العمل والكسب ، قاراً من ميدان الكدح والجهاد في الحياة  
بسنن الله العليم ، ولذلك جرى على ألسنة العرب : « فلان جلس بيته » على الدم ،  
يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال في لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه  
الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أن هذا لا يقطع جذور داء الطمع ،  
بل يزيد تأصلاً ، وتمكناً في النفس ، بما تلزمه الحياة وشئون العيش اللازم فيها  
إلى ما في أيدي العاملين الكادحين ، بل ويولد فيه - زيادة عن الطمع - الحسد  
والحقد على المجتمع كله ، وماتبت رموس شياطين الفتن في المجتمع والثورة على النظم  
والحكومات إلا من جحور وأوكار أولئك الفارين من ميدان الحياة السقيمة  
بالجد والنشاط في حسن الانتفاع بسنن الله وآياته ونعمه ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون .

يَعْرِى وَيَعْرِثُ مِنْ أَمْسَى عَلَى طَمَعٍ مِنْ الْمَكَارِمِ وَهُوَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي  
إِنْ اللطامع ذل للرقاب ، ولو أَمْسَى أَخُوها مَكَانَ السَّيْرِ الرَّاسِ  
وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِي :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي إِذَا النَفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أُنْسَ أَنَّ أَتُكْرَمَا  
وَلَسْتُ بِلَوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ ، وَلَسْكَنَ عَلَيَّ أَنْ أَتَقْدَمَا  
أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَزَازِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَوْسُفَ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ جَبَلَةَ الْكِنَانِيُّ عَنْ معاوية بن عمار عن أبي جعفر قال : اليأس عما في أيدي  
الناس عز ، ثم قال : أما سمعت قول حاتم الطائي :

إِذَا مَا عَزَمْتَ الْيَأْسَ أَتَيْتَهُ الْغَنَى إِذَا عَرَفْتَهُ النَّفْسَ ، وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ

### ذكر الحمت على مجانبة المسألة وكراهيتها

حدثنا أبو يزيد خالد بن النضر بن عمرو القرشي بالبصرة حدثنا عبد الواحد  
ابن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ  
حَطَبٍ فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة المسألة على  
الأحوال كلها ، ولزوم ترك التعرض ؛ لأن الإفكار في العزم على السؤال يورث  
المراء مهانة في نفسه ، ويحطه رتوة<sup>(١)</sup> عن مرتبته ، وترك العزم على الإفكار في  
السؤال يورث المراء عزاً في نفسه ، ويرفعه درجة عن مرتبته .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا القميص بن الحضر التميمي حدثنا عبد الله  
ابن خبيق قال : قال موسى بن طريف : إن الحاجة تعرض لي إلى الرجل ،

(١) الرتوة : الخطوة الواسعة نحو التفرز بشدة



فِيُخْرِجُ عِزِّي مِنْ قَلْبِي قِطْعَ الْحَاجَةِ مِنْ نَاحِيَّتِهِ . فَيَرْجِعُ عِزِّي إِلَى قَلْبِي  
وَأُنْشِدُنِي الْكَرِيزِي قَالَ : أُنْشِدُنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ لَعَلِّي بِنَ الْجَهْمِ :  
هِيَ النَّفْسُ ، مَا تَحْمَلُهَا تَحْمَلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامُ تَجْوَرُ وَتَعْدِلُ  
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ النِّفْضُ  
فَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْحُرِّ نِعْمَةٌ وَلَكِنَّ عَاراً أَنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ  
أَخْبَرَنَا زَكْرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى السَّاجِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هَنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ « مَنْ  
سَأَلَ النَّاسَ لِيُثَرِّى مَالَهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَضْفٌ <sup>(١)</sup> مِنَ النَّارِ يُنْقَمَةُ ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَقِلَّ ،  
وَمَنْ شَاءَ اسْتَكَثَّرَ »

أَبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ فَارِسٍ الدَّلَالُ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الصَّبَّاحِ  
حَدَّثَنَا أَبُو عِبَادٍ يَحْيَى بْنُ عِبَادٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ  
يُحَدِّثُ عَنْ حَكِيمِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَوْصَى بَنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ :  
يَا بَنِيَّ ، يَا كُمْ وَمَسْأَلَةُ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الرَّجُلِ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئاً فَيَرُدُّهُ ، وَلَا يَأْجِزُ  
فِي الْمَسْأَلَةِ فَيَحْرَمُوهُ ، وَيَلْزِمُ التَّعَفُّفَ وَالتَّكْرَمَ ، وَلَا يَطْلُبُ الْأَمْرَ مُذْبِرًا ، وَلَا يَتْرُكُهُ  
مُقْبِلًا ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْحَاجَةِ خَيْرٌ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ؛ وَإِنْ مِنْ يَسْأَلُ غَيْرَ  
الْمُسْتَحَقِّ حَاجَةً حَاطَتْ لِنَفْسِهِ مَرْتَبَتَيْنِ ، وَرَفَعَ الْمُسْتَوْثِلُ فَوْقَ قَدْرِهِ

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَوْمِلٍ الْمَصْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ حَامِدَ بْنَ  
يَحْيَى يَقُولُ : سَمِعْتُ سَفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ يَقُولُ : مَنْ يَسْأَلُ نَذْلًا حَاجَةً فَقَدْ رَفَعَهُ عَنْ قَدْرِهِ  
أُنْشِدُنِي ابْنَ زَيْجِي الْبَغْدَادِي :

---

(١) الرضف : الحجارة المصممة بالنار

ذلُّ السؤال شَجَى في الحلق معترض من دونه شَرَقٌ، من خَلَفِهِ جَرَضٌ<sup>(١)</sup>  
 ماماء كَغَفَّكَ إن جادت وإن بَحَلَّتْ من ماء وجهي إذا أفنيت عِوضُ  
 وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله عوضاً ، وإن نال الغنى بسؤال  
 وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال ، وخفَّ كلُّ نوال  
 وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فأبذله للتكرّم الفضال

أنيأنا محمد بن المهاجر العدل حدثنا أبو جعفر بن ابنة أبي سعيد التغلبى  
 : الدمشقي حدثنا حاجب بن أبي علقمة الطاردي قال : سمعت أبي يقول : قال  
 مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير لابن أخيه : يا بُنَيَّ أخى ، إذا كانت لك حاجة  
 إلى فأكتب بها في رقعة ، فأبى أصون وجهك عن ذلِّ السؤال . وأنشدني ذلك  
 بأبيها المتعبُ بذلُّ السؤال وطالب الحاجات من ذى النوال  
 لا تحسبن الموت موتَ البلى فإنما الموت سؤال الرجال  
 كلاهما موت ، ولكن ذا أعظم من ذاك لذلُّ السؤال  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : أعظم المصائب سوء الخلف ، والمسألة من الناس  
 . والمهمُّ بالسؤال نصف الهرم ، فكيف المباشرة بالسؤال ؟ ومن عزَّت عليه نفسه  
 صغرت الدنيا في عينيه ، ولا يندبُل الرجلُ حتى يعِفَّ عما في أيدي الناس ،  
 ويتجاوز عما يكون منهم ، والسؤال من الإخوان ملال ، ومن غيرهم ضدُّ النوال  
 وأنشدني الأبرش :

انْبُل بنفسك أن تكون حريصةً إن الحريص إذا مُلِحَّ بُهان

(١) الشجى : ما يعترض في الحلق من شوكة ونحوها . والشرق : النصبة بلقاء .  
 والجرض : النصبة بالريق ، وهو أن يبتلمه على هم وخوف بجهد ومشقة لجفاف حلقه ،  
 وأكثر ما يكون ذلك عند حضور الموت .

من يُكثِر النَّسَالَ من إخوانه يستنقلوه ، وحظه الحرمان  
 وأنشدني علي بن محمد البسامي :  
 أتيت أبا عمرو أَرْجَى عطاءه فزاد أبو عمرو على حزني حزنا  
 فسكنت كباني القرن أسلم أذنه فبات بلا أذن ، ولم يستفد قرنا  
 حدثنا محمد بن عثمان العمري<sup>(١)</sup> حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى حدثنا  
 عبد الله بن سليمان قال : كان أكرم بن صفيي يقول : السؤال - وإن قل -  
 أئمن من النوال ، وإن جل  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرمه عليه  
 قدره ، ويعظم عنده خطره ، فكيف بمن يهون عليه رده ، ولا يكرمه عليه قدره ؟  
 وأبعد لقاء الموت ، وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال ، وأشد منه  
 التكلف بالسؤال ؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يخل من أن  
 يكون فيه ذل السؤال ، وإذا الحاجة لم تقض كانت فيه ذلّان موجودان : ذل  
 السؤال ، وذل الرد .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :  
 لا يحسُّ الصديق منك بفقر لا ، ولا والد ، ولا مولود  
 ذاك ذل إذا سألت بخيلا أو سألت الذي عليك يحود  
 أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ببغداد حدثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة  
 عن الأعمش قال : سمعت المروزي بن سويد يحدث عن عبد الله قال « إن في طلب  
 الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حيد غير الذي أعطاه ، وإن منعه ذم غير  
 الذي منعه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في السؤال خصلة تذم إلا وجود  
 التذلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن

لواضطره الأمر إلى أن يَسْتَقِرَّ الرمل ويَمُصَّ النوى أن لا يتعرض للسؤال أبدا ما وجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته أو ذا سلطان لم يُخْرِجْ في فعله ذلك ، كما لم يخرج في القبول إذا أعطى من غير مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن تعزز بالله لم يفتقره ، كما أن من اعتز بالعبيد أذله

ولقد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازي حدثنا خالد بن يزيد حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية - رجل من ولد كعب بن مالك - : « لقد رأيتني أنضح <sup>(١)</sup> أول النهار ، وأضرب آخر النهار على بطنى بالعمول في المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال : أجل إنا ظلمنا الدرهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من الحجارة أسهل علينا » .

### ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعشى عن مجاهد عن ابن عمر قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنسكي ، فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكنت بُرْهَةً من الدهر مُتَوَهِّجًا أن الأعشى لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم ، فدلسه ، حتى رأيت على بن المسيبي

(١) التناضح : هو الذى يستقى من البئر بالبلو ، وأصله في البعير ، ويستعمل في الإنسان على نحو ، وفي نسخة « أنضح » بالصاد المهملة : أى ينصح الناس ويعظهم ، وهو بالصاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام

حدث بهذا الخبر عن الطحاوى عن الأعمش قال : حدثنى مجاهد ؛ فعلمت حينئذ أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء فى صحته .

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر فى هذا الخبر أن يكون فى الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل ؛ فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب وعابر السبيل لا يقصدان فى الغيبة إلا كثار من الثروة ؛ بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرنى محمد بن عثمان العقبي<sup>(١)</sup> حدثنى جعفر بن منيد بن داود حدثنى أبى حدثنى حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكرم بن صبيح لابنه : يا بني ، من لم يأس على ما فاتته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .

وأنشدنى على بن محمد البسامي :

من تمام العيش ما قَرَّتْ به عين ذى النعمة ، أثرى أو أقل

وقليل أنت سرور به لك خير من كثير فى دغل

وأنشدنى ابن زنجى البغدادي :

أقول للنفس : صبرا عند نائبة فمُسر يومك موصول يسر غد

ما سَرَّنى أن نفسى غير قانعة وأن أرزاق هذا المخلوق تحت يدي

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا مفيان الثوري عن عيسى بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أربع قد فرغ منها : المخلوق ، والمخلوق ، والرزق ، والأجل . وليس أحد بأكسب من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطراً القناعة ، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والتقى بالنفس ؛ ولو لم

(١) انظر أيضا ص ١٤٥ السابقة

يكن في القناعة حصلة محمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع سوء ، لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .  
ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن إبراهيم اللدني حدثنا أبو بكر بن محمد بن النسكر عن أبيه قال « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد ابن حيد الأكَاف :

تَنَعَّ بالكفاف ، تَش رَحِيًّا      ولا تَبغِ الفضول من الكفاف  
ففي خِزبِ التَّقَارِ (١) بغير آدم      وفي ماء الفرات غِنَى وكاف  
وفي الثوب المرقع ما يَغْطِي      به من كل عُرَى وانكشاف  
وكل تزِين بالمِرء زِين      وأزِينه التزِين بالعفاف  
وأنشدني الكريزي :

لمسك ما طول التعلل ضارئى      ولا كَلَّ شغل فيه للمرء منفعة  
إذا كانت أرزاق في القرب والنوى      عليك سواء فاعْتَمِ راحة الدَّعة (٢)  
وإن ضقت فاصبر يُفرج الله ما رى      ألا رَبَّ ضيق في عواقبه سعة  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

الحمد لله حمدًا دائمًا أبدا      لقد تزِين أهل الحرص والشَّين  
لا زِينَ إلا لراضٍ في تقلله      إن القنوعَ تَتوب العز والدين  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر الأحشاء ، وأن من عدم القناعة لم يزدده المال غِنَى ، فتمسك المرء بالمال القليل مع

(١) التفار : القى لا إدام معه (٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن

قلة الممّ أهنأ من الكثير ذى التّبعة ، والماعقل ينتقم من الحرص بالقنوع ، كما  
ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب المانع رزق الماعقل هو السبب الجالب  
رزق الجاهل .

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمي ، أنشدني  
رجل من خزاعة :

رأيت الغنى والفقير حَظَيْن قُسَّمَا فَأَحْرَمَ مُحْتَالٌ وَذُو الْعِيِّ كَاسِبٌ  
فَهَذَا مُلْحٌ دَائِبٌ غَيْرُ رَاجِحٍ وَهَذَا مُرِيحٌ رَاجِحٌ غَيْرُ دَائِبٍ  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فإنه وإن كان ذا مال من الفقر مَوْقَرٌ  
إذا كان فضل الناس يُغْنِيكَ بينهم فَأَنْتَ بِفَضْلِ اللَّهِ أَغْنَى وَأَيْسَرُ  
أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن  
حماد قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت  
يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم ينسخط ، وعاش آمناً مطمئناً .  
ومن لم يقنع لم يكن له في القوائت نهاية لرغبته ، والجِدُّ والحرمان كأنهما  
يصطرعان بين العباد .

ولقد أحسن الذى يقول :

فَمَا كُلُّ مَا حَازَ الْغَنَى مِنْ تِلَادِهِ بِكَيْسٍ ، وَلَا مَا فَاتَهُ بِتَوَانٍ  
فَأَجِئِلُ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَانْهَ سَيَكْفِيكَ جَدَّانُ يَصْطَرَعَانِ

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الثعلبى حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى عن المدينى  
قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والعاقبة بالتعفف والغنى أكثر من  
مروءة الإعطاء .

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي أنشدنا ابن عائشة :  
غنى النفس يغنى النفس حتى يعفها      وإن مَسَّها حتى بها يَصُرَّ الفقر  
وما شدة ، فاصبر لها إن لقيتها ،      بدأمة إلا سيقبها يسر

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زحى البغدادى :  
غيارب كره جاء من حيث لم نخف      ومسرور أمر بالذى أنت خائف  
أرى الناس ، ما لم تبل ، إخوان ظاهر      وإن تبل تُنكر جُل ما أنت عارف  
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إبراهيم بن مهدي الأيلي حدثني محمد بن  
يحيى بن أبي عمر قال : سمعت سفيان بن عيينة - وذكر عنده الفضل بن الربيع  
وضرباؤه - فأنشأ سفيان يقول :

صكم من قوي قوي في قلبه      مُهَذَّبِ الرأى عنه الرزق منحرف  
ومن ضعيف ضعيف العقل مُخْطِط      كأنه من خليج البحر يغترف  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من نازعته نفسه إلى القنوع ، ثم حسد الناس  
على ما في أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة ، بل لعجز وفشل ؛ فشله كمثل  
حمار السوء الذى يعرج بحمّة حملة ، ويحزن إذا رأى العلف يُؤتمربه ذو القوة  
والجل الثقل ، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه ، والشيرم اللثيم أتعب قلبه  
وجسه ، والكرام أصبر نفوسا ، واللثام أصبر أجسادا .

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي :  
لمعرك ما الأرزاق من حيلة الفقى      ولا سبب فى ساحة الحى ثاقب  
ولكنها الأرزاق تُقسَم بينهم      فما لك منها غير ما أنت شارب  
وأنشدني محمد بن سعيد أنشدني هلال بن العلاء الباهلي :

تجمل إذا ما الدهر أولاك غِلظة      فإنّ الغنى فى النفس ، لافى التمول



يزين لثيم القسوم كثرة ماله وما زين الأقوام مثل التجمل  
حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن متنب حدثنا محمد بن يحيى  
الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك حلٌّ وزيتٌ  
إن لا يكن ذا وهذا فكسرةٌ وبيتٌ  
تظلُّ فيه ونأوى حتى يحبك موتٌ  
هذا لعمرى كغاف فلا يقرُّك ليتٌ

أنبأنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروني حدثنا أبو مسهر حدثنا  
سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى ( ١٦ : ٩٧ ) فلنحيينه  
حياة طيبة ) قال : القناعة

### ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أنبأنا زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي بالبصرة أنبأنا أبو الربيع  
الزهراني حدثنا المقرئ حدثنا حيوة بن شريح وابن لميعة قالا : حدثنا أبو هانيء  
حميد بن هاني الخولاني قال : سمعت أبا عبد الرحمن الحنبل يقول : سمعت عبد الله  
ابن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قدّر الله المقادير  
قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسةائة سنة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من  
تكفل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب  
المؤدى إلى نفي الفقر ورجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة  
قلبه حتى كان الله جلّ وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يله إلا لم  
يكفه الله إلى عباده ، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

توكل على الرحمن في كل حاجة أردت ؛ فإن الله يقضى ويقدر

متى ما يرد ذو العرش أمراً بعده يُصِبه ، وما للعبد ما يتخير

وقد يهلك الانسان من وجه أمته وينجو بإذن الله من حيث يحذر

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أحسن الظن بمن قد عودك كل إحسان ، وسوى أودك<sup>(١)</sup>

إن من قد كان يكفيك الذي كان بالأمس سيكفيك غذك

أبناؤنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان حدثنا أبو مروان الأزرق حدثنا

الوليد عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن

أبي الدرداء قال « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء مملومة مُلْس حوالها

رزق لعبد برآه الله لا نفلت حتى تؤدّي إليه كل ما فيها<sup>(٢)</sup>

أو كان بين طباق السبع مَطلبه يوماً لسهل في المرقى مراقبها

حتى ينال الذي في اللوح خُطّ له إن هو أناة ، وإلا فهو آتيها

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني محمد بن الحسين العمي :

سل الحاجات من سيد ليس له ستر ولا حاجب

يُعطي عطاياه إذا شاءها من غير توقيع إلى كاتب

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بنسأ حدثنا القطواني حدثنا سنان حدثنا رباح

القيسي قال « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم ، يحملون أرزاقهم

(١) الأود - بفتح الهمزة والواو - العوج .

(٢) برآه الله : خلقه ، وأصله « برأه » تخفف الهمز بقلبها ألفاً .

على درجاتهم : ثم قال : أيم عبد من عبادي جعل همه نعمة واحدا فاضنوا  
السموات والأرضين وبنى آدم رزقه ، وأى عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث  
أراد ، فإن تحزى مكاسبه بالعدل فطيّبوا له رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام  
فليأخذه من هواء إلى غاية درجته التي ليس فوقها ، ثم حوّنوا بينه وبين مسائر  
الدنيا : فلا يأخذن من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التي كتبت له »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فرغ منها وتضمنها  
العلّيّ الوفي على أن يوفرها على عباده في وقت حاجتهم إليها ، والاشتغال بالسعى  
لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير ، على أنه  
وإن لم يسع في قصده أتاها رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لما رأيْتُكَ قاعدا مستقلى أيقنت أنك اللهم قرين  
فأرفض لها ونعراً عن أنوابها إن كان عندك للقضاء يقين  
هون عليك ، وكن برّبك واتقا فأخو التوكل شأنه التهوين  
طرح الأذى عن نفسه في أمره من كان يعلم أنه مضمون  
حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي قيس عن  
هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت  
تمرّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاك ، لو لم تأتها أنتك » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

فتحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرنا متوسّع  
عطاء ملك لا يمنّ عطاؤه خير بما تُحَنّي عليه الأضالع  
أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعي حدثنا داود بن أحمد الدميّاطي حدثنا  
عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما اهتممت برزق قط

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذى يدرك به العاجز حاجته هو الذى يحول بين الحازم وبين مصادفته ، فلا يجب أن يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن ، ولما لا يهوى وهو لا محالة كائن ؛ فما كان من هذه الدنيا أنى المرء من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يدرك بالطلب المحروم ، كما لا يحرم بالنعوذ المرزوق .

ولقد أحسن الذى يقول :

يَنَالُ النِّعَى مَنْ لَيْسَ يَسَى إِلَى النِّعَى وَيُحْرَمُ مَنْ يَسَى لَهُ وَيَدَاوِمُ  
وَمَا الْعَجْزُ يَحْرَمُهُ وَلَا الْحِرْصُ جَالِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا خُطْوَةٌ وَمَقَاسِمُ  
وَأَشْدَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ أَشْدَنَا الْغَلَابِيُّ أَشْدَنَا الْعَتَبِيُّ :

وَرَزَقَ الْخَلْقَ مَقْسُومَ عَلَيْهِمْ مَقَادِيرَ يَقْدِرُهَا الْجَلِيلُ  
فَلَا ذُو مَالٍ يُرْزَقُهُ بِمَقَلٍ وَلَا بِمَالٍ تَقْتَسِمُ الْعُقُولُ

أَبَانَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَلْفِ الدَّوْرِيِّ - بَيْقَدَادٍ - قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ مُوسَى الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ يَمَانَ النُّجْرَانِيَّ - وَكَانَ لَا يَدْخُرُ شَيْئًا - يَقُولُ : مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ فِي قَارِعَةِ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنَا جَائِعٌ ، فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ فَضْلٍ ؟ فَأَدْلَى إِلَى زَنْبِيلٍ فِيهِ فِلَقٌ مِنْ خَبْزٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا ، وَرَمَيْتُ إِلَيْهِ الْبَاقِي ، فَقَالَ : تَزُوْدُهُ ، قُلْتُ : الَّذِي أَطْعَمَنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِنْسِيٌّ ، يَطْمَعُنِي إِذَا جِئْتُ وَلَا يَكُونُ مَعِيَ شَيْءٌ .

وَأَشْدَنِي ابْنُ زَنْجِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ :

لَا تَتَهَمَّ رَبِّكَ فِيمَا قَضَى وَهَوْنُ الْأَمْرِ ، وَطِبُّ نَفْسَا  
لِكُلِّ قَمَرٍ فَرَجٌ عَاجِلٌ يَأْتِي عَلَى النَّصْبِ وَالْمَعْسَى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض العلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محوّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسرا في ذات

الدنيا وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سَيِّئَيْنِ لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم ، فلا هو في العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .  
وأنشدني الكريزي :

فلو كانت الدنيا تُنال بفطنة      وفضل عقول نلتُ أعلى المراتب  
ولسكننا الأرزاق حظاً وقسمة      بملك عليك ، لا بحيلة طالب  
وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :  
ألا ترى الدهر لا تنفى عجائبه      والدهر يخلط ميسوراً بمعسور ؟  
وليس للهو إلا كل صافية      كأنها دمة من عين مهجور  
أنبأنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا مهمل بن عاصم  
حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية ، فذكرنا أسباب الرزق ،  
فخضنا فيه وهي ساكنة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبة لمن يدعى حبه ثم يتهمه  
في رزقه ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات  
على التقصي في كتاب « التوكل » ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها

أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل حدثنا أحمد بن جميل المروزي حدثنا  
ابن المبارك أنبأنا عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن  
عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره  
فكتب ما يكون إلى يوم القيامة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها

قد فرغ منها ، ففنها ما هو كائن لا محالة ، ومالا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه ،  
فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتجزأ بإزار له طرفان : أحدهما : الصبر ،  
والآخر الرضا ، ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك ، فسكن من شدة قد صمبت  
وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة .  
ولقد أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

كَمْ مِنْ أَمْرٍ قَدْ نَضَيْتُ بِهِ فَاتَانِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْفَرْجِ  
وَلَعَبْدٍ مَوْسٍ قَرِبَهُ قَدَّرَ اللَّهُ ، فَعَادَ بِالنَّجْجِ  
فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى ذِي سَرْمَدٍ مَا أَضَاءَ الصَّبِيحُ يَوْمًا وَبَلَغَ  
وَكَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ قَادِرٍ يُصْلِحُ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ عِوَجٌ  
وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى آلَائِهِ يَسْتَدِيمُ الْبَسْرَ مِنْهُ وَالْفَتَجُ<sup>(١)</sup>

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي  
الحجاج الأزدي قال : سألتنا سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن  
ما أصابه لم يكن ليخطئه [ وما أخطأه لم يكن ليصيبه ]  
وأنشدني الأبرش :

هَوْنٌ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ سَعْيِهَا فَلَيْسَ مَا قُدِّرَ مَرْدُودٌ  
وَأَرْضٌ بِحَكْمِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ كُلِّ قَضَاءٍ اللَّهُ مَحْمُودٌ  
أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا  
محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة جعلت الحجارة  
تضرب الحائط ، فقيل له : لا نأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير :

هَوْنٌ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مُضَادِرُهَا  
فَلَيْسَ بِأَتِيكَ مِنْهَا وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا  
أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعالبي حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي

حدثنا سفيان عن مسر ، أن رجلا ركب البحر ، فكسر به ، فوقع في جزيرة  
من جزائر البحر ، فكث فيها ثلاثا لا يرى أحدا ، ولا يأكل طعاما ،  
ولا يشرب شرابا ، فأيس من الحياة ، فتمثل :

إذا شاب الغراب أثبت أهلي وصار القار كاللبن الحليب  
فأجابه بحبيب يقول :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب  
فنظر ، فإذا سفينة في البحر ، فلوّح لهم ، فأتوه ، فحملوه ، وأصاب معهم  
خبيرا ، ورجع إلى أهله سالما

وأنشدني محمد بن جعفر الحمذاني - بصور - على ساحل بحر الروم :  
لا تضيقن في الأمور ؛ فقد تكشفت غماؤها بغير احتيال  
ربما تكرر النفوس من الأمر ، له فرجة كحلّ العقال  
وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتي به الله ؛ إنه له كل يوم في خلقته أمر  
عسى ما ترى أن لا يدوم ، وأن ترى له فرجا مما ألح به العسر  
إذا اشتد عسر قارح يسرا ؛ فانه قضى الله أن العسر ينجمه اليسر  
أنبأنا محمد بن صالح الطبري بالصيغة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما  
حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفكم فضعوا سيوفكم على  
عواتقكم ، فأيدوا خضراءهم ، فإن لم تعملوا فكونوا زراعين أشقياء » فسمي  
به إلى المهدي ، فبعث إلى شريك ، فأتاه ، فقال : حدثت بها ؛ قال : قلت : نعم ،  
قال : عن رويتهما ؛ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلي عليه ! لو عرفت مكان قبره  
لأخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لأمونا على ماروي ، قال : يازنديق

لأقتلنك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم ، قال : والله لأقتلنك .  
قلت : أو يكفي الله ! قال : خرجنا من عنده ، فاستقبلني الفضل بن الربيع ،  
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر بقتلك ، قال :  
فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوما أتجسس الخبر ، فأقبل ملاح من بغداد ،  
فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت :  
يا ملاح ، قُرب ، قُرب ، قُرب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

تجرى المقادير إن عسرا وإن يسرا وللمقادير أسباب وأبواب  
ما اشتد عسر ، ولا افسدت مذهبه إلا تفتّح من مسروره باب  
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

الآرب عسر قد آتى اليسر بعده وغمرة كُرب فرجت لكظيم  
هو الدهر : يوم ، يوم يؤس وشدة ويوم سرور للفتى ونعيم  
أنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابوري  
حدثنا بشر بن عبد الحكم عن علي بن عثمان قال : روى إبراهيم بن آدم متنفط  
الرجلين <sup>(١)</sup> ، رافعهما على ميل ، وهو يقول ( ٤٧ : ٣١ ) ولنبلونكم حتى نعلم  
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم )

(١) نطقت - بكسر الفاء - رجله ، وتنطقت : تفرحت من كثرة الشيء في  
الأرض الصعبة ، وهل كان تنطط رجلي ابن آدم لكثرة جهد وسمى في سبيل الله :  
لجهد العدو ، أو لطلب علم ، أو لصفة رحم ، أو لأمر بمحروف ، أو لنهي عن منكر ؟  
إمّا كان ذلك لشدة ما أجهد نفسه في الجبال والصحارى منقطعا عن الناس ، وفارا  
من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يعاشروا الناس ؛ لعلهم أن  
يقيموا من اعوجاجهم أو يصلحوا من فسادهم .



أبنا القطان بالرقه حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا عبد العزيز بن عمير عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، من أين أتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أتى قلة الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى درجة الرضا ، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التصبر ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان الصبر من الرجال لكان رجلاً كريماً ؛ إذ هو بذر الخير ، وأساس الطاعات

واقعد أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد حدثنا سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلاً من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى داود : يا داود اصبر على المؤنة ، تأتلك مني المؤنة

وأنشدني عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضي :

صبرا جميلا على ماناب من حدث والصبر ينفع أحيانا إذا صبروا

الصبر أفضل شيء تستعين به على الزمان إذا ما مالت الضرر

وأنشدني إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدني أبو يعلى الموصلي :

إني رأيت - وفي الأيام تجربة - للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جسد في شيء يحاوله فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أتاك الروح والفرح القريب وساعدك القضاء ، فلا تخيب

صبرت ، فقلت عني كل خير كذلك لكل مصطبر عقيب

أبنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن علي قال : سمعت -

مضر أبا سعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحيت أن شيئاً من الأعمال  
يتقدم الصبر إلا الرضى ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضى ، وهو  
رأس الحجة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ، ودعامة  
العقل ، وبذر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم الثبات ، ثم التصبر [ ثم الصبر ]  
ثم الرضا ، وهو النهاية في الحالات .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي <sup>(١)</sup> حدثنا شعيب بن عبد الله البرار حدثنا  
غيلان عن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال « ما قال عبد شيئاً من  
جسيم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر »  
وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

فأشدة يوماً ، وإذ جلّ خطبها ،      بنسالة إلا سيتبعها يسرُ  
وإن عسرت يوماً على المرء حاجةً      وضافت عليه كان مفتاحها الصبر  
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تمزّ : فإن الصبر بالحرّ أجمل      وليس على ريب الزمان مَقُولُ  
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت      بنعمى وبؤسى ، والحوادث تفعل  
فما ليئت منّا قناةً صليّة      ولا ذلّتنا للذى ليس يحْمَلُ  
ولكن رَحَلناها نفوساً كريمة      نُحْمَلُ مالا تستطيع فتحمل

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابي :

إني رأيت الخير في الصبر مسرعاً      وحسبك من صبر تحوز به أجراً  
عليك بتقوى الله في كل حالة      فإنك إن تفعل تُصيب به ذخراً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر على ضرور ثلاث : فالصبر عن المعاصى ،  
والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد المنصيات .  
فأفضلها الصبر عن المعاصى .

فأعاقل يدبر أحواله بالثبوت عند الأحوال الثلاثة التى ذكرناها بلزوم الصبر  
على المراتب التى وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا  
في حال العسر واليسر معا ، نسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه !

وأشدنى عبد الله بن الأحوص :

تَعَزَّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكٍ	فَفِي الصَّبْرِ مَسَلاةُ الْمَمُومِ لِلْوِازِمِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبَاراً وَخَشِيةً	سَلَوْتَ عَلَى الْآيَامِ مِثْلَ الْبِهَانِمِ
وَلَيْسَ يَذُودُ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا	مَنْ الذَّنْصَ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْعِزَامِ
وَأَشَدَّنِي ابْنُ زَنْجِي الْبَغْدَادِي :	

غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذُ طَعْمِهَا	وَبَدِيَّةُ الصَّبْرِ مِنْهُ كَالْقَصْرِ <sup>(١)</sup>
إِنْ فِي الصَّبْرِ لِفَضْلًا بَدِيًّا	فَاحْمِلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرْ

وأشدنى الكريزى :

صَبَرْتُ ، وَمَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ غَيْبَ صَبْرِهِ	أَلَدَّ وَأَحْلَى مِنْ جَنَى الثَّجَلِ فِي الْقَمِ
وَمَنْ لَا يَطْبُقُ نَفْسًا ، وَيَسْتَبِقُ صَاحِبَا	وَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْوَدِّ يُضْرَمُ وَيَصْرِمِ

أنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي حدثنا  
حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن معاذة امرأة صلة بن أشيم قالت : « لما أتانا  
ننسى زوجها وابنها جاءها النساء ، فقالت : إن كنتن جنتن لتهنتن بما أكرمنا الله به  
وإلا فارجمن » .

قال ثابت : وكان صلة يأكل يوما فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك ، قال :

(١) الصبر — بفتح فكسر — ثمرة طعمها مر كربه .

هيهات ، قد نعى إلى ، أجلس فكل ، قال الرجل : ما سبقني إليك أحد ، فقال  
قال الله ( ٣٩ : ٣٠ ) إنك ميت وإنهم ميتون .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
بعض الحكماء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له محمد :

اصبر لكل مصيبه ، وتجلد واعلم بأن المرء غير مُخلد  
وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاذا ذكر مصابك بالنبي محمد

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

يُعزّي المعزّي ، ثم يمضي لشأنه ويبقى المعزّي في أحزّ من الجمر  
ويُرْمى المعزّي بعد ذاك بسلوة ويشوي المعزّي عنه في وحشة القبر  
وأنشدني المتتصر بن بلال :

من سبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر  
يا عجب من هلع جازع يُصبح بين الدم والوزر  
مصيبة الإنسان في دينه أعظم من جائحة الدهر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تجري المقادير إن عسرا وإن يسرا حاذرت واقمها أو لم تسكن حذرا  
والعسر عن قدر يجري إلى يسر والصبر أفضل شيء وافق الظفرا

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بنسري يقول : كان لنا جار ببغداد ،  
كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لي : دخلت  
يوما على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : مالك يا أبا عبد الله؟  
قال : خير ، قلت : وما الخير؟ قال : امتحنت بتلك الحنة ، حتى ضربت ، ثم  
عالجوني وبرأت ، إلا أنه بقي في صلبى موضع يؤجمنى هو أشد على من ذلك

الضرب ، قال قلت : اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى ، فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ، قلت : ليس لى بذى معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا ، قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه قُضْلُ معرفة ، قلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت فتياتهم ، وكان معى دريهمات فرقها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بى ، ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال قلت له : أسألك عن شيء ؟ فقال : هات ، قلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياتا يسيرة ، إلا أنه لم يمّت ، وعالجوه وبرأ ، إلا أن موضعاً فى صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، قلت : مالك ؟ قال : الذى عاجله كان حائكا ، قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك فى صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلمها ، قلت : فما الحيلة ؟ قال يُبَطُّ<sup>(١)</sup> صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت إلى قواده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حاله ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج ويده مخدتان ، وعلى كفه فوطة ، فوضع إحداهما لى والأخرى له ، ثم قصد عليها ، وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطة عن صلبه ، وقلت : أرنى موضع الوجع ، فقال : ضَعْ إصبعك عليه ، فأبى أخبرك به ، فوضعت إصبعى ، وقلت : هاهنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحمد الله على العافية ، قلت : ههنا ؟ قال : هاهنا أحمد الله على العافية ، قلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فعلمت أنه

(١) البط : الشق بآلة الجراحة التى هى البضع .

موضع الوجع ، قال : فوضعت الموضع عليه ، فلما أحس بحرارة الموضع وضع يده على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى يطلطته ، فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشدت المصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم ، قال : ثم هدأ وسكن : ثم قال : كأنى كنت معلقاً فأصدت ، قلت : يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا بحنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرهت أن آتى يوم القيامة وبنى وبين أحد من قرابته خصومة . هو بنى في حبل .

### ذكر الحث على العفو عن الجاني

حدثنا الفضل بن الحباب الجحفي بالبصرة حدثنا القمي حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال « أتى رجل فقال : يا رسول الله ، إن لى قرابة أصليهم ويقطعون ، ويسبئون إلى ، وأحسن إليهم ، ويجهلون على ، وأحلم عنهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان كما تقول فكأنما تضيفهم الملأ <sup>(١)</sup> . ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المتأقلم توطئ النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ؛ إذ لا سبب لتسكين

---

(١) الملأ - يفتح الميم - الرماد الحار تحت الجمر ، يدفن فيه الخبز لينضج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجعل الملة لهم سفوقاً يستفونوه ، يعنى عطاءك وصلتك وإحسانك وحلمك عليهم ، ذلك برد عليك ، وخير لك ، ونار في بطونهم .

الإساءة أحسن من الإحسان ، ولا سبب لهما الإساءة وتهيبجها أشد من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكر يزي :

سألزمُ نفسي الصفح عن كل مذنب      وإن كثرت منه إلى الجرائم  
فما الناس إلا واحد من ثلاثة :      شريف ، ومشروف ، ومثل مقارم  
فأما الذي فوق فأعرف فضله      وأتبع فيه الحق ، والحق لازم  
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن      إجابته عرضي ، وإن لام لأنم  
وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا      تفضلتُ ؛ إن الحلم للفضل حاكم

أبنا محمد بن عثمان المعقب<sup>(١)</sup> حدثنا محمد بن عامر الأنطاكي حدثنا ابن توبة  
حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يحبه الله :  
من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قعين أن يستحي من الله ، ومن  
كان ذا رفعة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذي عرف عظمة الله ، فيخاف  
مقته ، ومن كان عفوه قريباً من إساءته ، فذلك تقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واسترهان الوُدَّ  
الأصيل ، وتوقع الذكر الجليل ؛ فليتحمل من ورود ثقل الردى ، ويتجرع مرارة  
مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التي ذكرناها في الصلة عند القطع ، والإعطاء عند  
المنع ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الظلم ؛ لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين  
والدنيا .

ولقد أبنا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن  
ميمون عن داود بن الزرقان : قال قال أيوب « لا ينبلُ الرجل حتى يكون فيه  
خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم » .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا مذهب أتابه به الخلق ، فغطاه غفوه في ستوره  
راجياً للثواب في كل زُرد من خفي الأمور ، أو مشهوره  
فهو في عاجل الحياة كريم ومن الفائزين يوم نشوره  
خصلة جزلة بها خطه الله لزين الدنيا ويوم كروره

أنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا مفيان  
عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة :  
الغفر في القدرة ، والتصدق في الجدة ، والرفق في العبادة ، وما رفق أحد بأحد في  
الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة »

أنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا القلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب  
الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله ، فإذا  
تعزرت بالله فاعف ، فانك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود  
الإساءة عليه من العالم بأسرهم ، رجاء غفر الله جل وعلا عن جنائياته التي ارتكبها  
في سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب  
العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يودّه فإنه يحتمل  
عنه الدهر كله زلاته

ولقد أخبرني محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار قال : سمعت مردويه  
الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زلة ،  
فيل له : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال : لأن الأخ الذي آخيته في الله ليس يزل  
سبعين زلة .



وأنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا لم تجاوز عن أخ لك عثرةً      فليست غداً من عثرتي متجاوزاً  
وكيف يرجيك البعيد لنفعه      إذا كان عن مولاك برك عاجزاً

أبناؤنا محمد بن صالح الطبري حدثنا الرمادي حدثنا الخفني يحيى بن سليمان  
حدثنا ابن أبي عمير حدثني أبي قال : « أقبل الشعبي يوماً ، فإذا هو برجلين من قومه  
من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما ، فإذا هما يتمان فيه ويشتمان ،  
ويتقصانه <sup>(١)</sup> حتى أكثرا ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبي ، فقال <sup>(٢)</sup> :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر      لقزة من أعراضنا ما استحلت  
فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا نفعُ فيك بعد اليوم . »

وأنشدني بعض أهل العلم :

ولربما ابتسم الوقور من الأذى      وضميره من حره يتأوه  
ولربما خزن الحليم لسانه      حذر الجواب وإنه كفوه

أبناؤنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم ، أبناؤنا عبد الله بن الحسين المصيصي ،  
أبناؤنا يعقوب بن أبي عباد ، قال : قال الفضيل بن عيساض : مَنْ طلب أخاً بلا  
عيب بقي بلا أخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن استخذ من عظم عن المجازاة ،  
وأجل الناس مرتبة من صدّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء  
إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة في الأخلاق ، فلربما استعملها  
البهائم في الأوقات ، ولو لم يكن في الصنم وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة  
النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول في  
أخلاق البهائم ، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو  
السيء ، وإن لم يكن نادياً .

(١) في نسخة « ويستقصانه » (٢) أثبت لكثير عزة .

كما أنشدني السكري:

أَسَاتُ ، وَأَنْكَرْتُ أَيْ أَسَاتُ فَأَفْضَلُ ، وَلَا تَكْ عَيْنَ الْمَسِي  
لَكَ الْفَضْلُ بِالْعَفْوِ عَمَّا عَفَوْتَ وَإِلَّا فَأَنْتَ الْقَرِينُ السَّوِي  
وَعَفْوُكَ مَقْتَدِرًا نِعْمَةً وَعَفْوُ الْمُنَدِّدِ غَيْرُ الْهَنِي  
سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ الْعَقْبِي ، قَالَ : سَمِعْتُ هَلَالَ بْنَ الْعَلَاءِ الْبَاهِلِي يَقُولُ :  
جَمَلْتُ عَلَى نَفْسِي مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً أَنْ لَا أَكْفِيءُ أَحَدًا بِسَوْءٍ ،  
وَذَهَبْتُ إِلَى هَذِهِ الْأَيَّاتِ :

لَمَّا عَفَوْتُ ، وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أُرِحْتُ قَلْبِي مِنْ غَمِّ الْعَدَاوَاتِ  
إِنِّي أَحْيَيْ عَدُوِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ لِأُدْفِعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالْمُحَبَّاتِ  
وَأُظْهِرَ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أِبْقَضَهُ كَأَنَّمَا قَدْ حُسِّي قَلْبِي بِحَبَّاتِ  
أَنْبَاءِ ابْنِ قَتِيْبَةٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي السَّرِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الصَّنَعَانِي يَقُولُ :  
حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ قَالَ : قَالَ لَقْمَانَ لِابْنِهِ « كَذِبٌ مِنْ قَالَ : إِنْ الشَّرُّ يَطْفِئُ  
الشَّرَّ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُوقِدْ نَارًا إِلَى جَنْبِ نَارٍ ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ تَطْفِئُ إِحْدَاهُمَا  
الْأُخْرَى ؟ وَإِلَّا فَإِنَّ الْخَيْرَ يَطْفِئُ الشَّرَّ ، كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ »

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلَادِي ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ الْبَسَامِي ، حَدَّثَنَا  
مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الدَّارِي ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ النَّضْبِي قَالَ : قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ :  
إِنْ لَمْ يَحْقُوقُوا ، فَقَلَّ مَنْ يَصْفُو .

وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

فَوْحٌ مِنَ الشُّبْلِيِّ أَوْسَادُهُ وَعَقْدٌ مِنَ الْخَائِرِ الْمَشْتَبِه  
وَسَمْعُكَ صُنٌّ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ التَّنَطُّقِ بِهِ  
فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَاتِلِهِ ، فَأَنْتَبِهْ

فكم أزعج الحرصُ من طالب فوافي المنية في مطلبه  
 أنبأنا عمر بن حفص البرازي بخديسابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب  
 الذارع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا جماعة بن الزبير ، قال : قال نعيم لابنه  
 « أي شيء أقل ؟ وأي شيء أكثر ؟ وأي شيء أحلى ؟ وأي شيء  
 أبعد ؟ وأي شيء آنس ؟ وأي شيء أوحش ؟ وأي شيء أقرب ؟ وأي شيء أبعد ؟  
 قال : أما أقل شيء ، فالتيقين ، وأما أي شيء أكثر فالتشكك ، وأما أي شيء أحلى  
 فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أي شيء أبعد فغفوا الله عن عباده ،  
 وغفوا الناس بعضهم عن بعض ، وأي شيء آنس حبيبك إذا أغلق عليك  
 وعليه باب واحد ، وأي شيء أوحش جسد إذا مات ، فليس شيء أوحش منه ،  
 وأي شيء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأي شيء أبعد فاللدنيا من الآخرة »  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويغضي عن المجازاة  
 عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .  
 وهو عندي - والله أعلم - غضب لا يخرج به إلى المعاصي ، ولا إلى الانتقام من  
 الجاني ، كأنه في نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما  
 أقيح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أساء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المكروه إلى  
 أحد فبفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازي ، حدثنا  
 عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله الحزمي ، قالوا : حدثنا عبد الأعلى  
 ابن مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول  
 لبنيه : « يا بني أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من  
 أهانكم ، وإن كان رجلاً قرشياً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر : إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضير ، فأما من ارتفع عن حد الجاهل ، واتضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحد مخافة الازدياد منه ، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمر مما مضى ؛ لأن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمر من الصبر .

ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمعُ القول الذى كاد كلها تذكّريه النفس قلبى تصدّع  
فأبدى لمن أبداه منى بشاشة كائن مسرور بما منه أسمع  
وما ذاك عن عجز به ، غير أنتى أرى أن ترك الشر للشر أقطع

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيغة ، حدثنا أحمد بن مقدم العجلي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى عمرو فى هذه الآية ( ٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف ) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس »

### ذكر صفة الكريم واللين

أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسأ ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة ابن سليمان عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال « قيل : يا رسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام ، إذا فقهوا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم التقى .  
 والتقوى : هي العزم على إتيان للأمورات ، والالتزام عن جميع المنجورات <sup>(١)</sup> ،  
 فمن صبح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكريم ، ومن  
 تعرض عن استعمالها ، أو أحدهما ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .  
 ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي عن  
 أبيه عن المدائني ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصال لا يجتمع إلا في كريم :  
 حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة اللالة »  
 وأشدنى ابن زنجي البغدادي :

رأيت الحق يعرفه الكريم      نصاحبه وينكره اللئيم  
 إذا كان التقى حسناً كريماً      فكل فعالة حسن كريم  
 إذا ألقيته سمجاً ثيباً      فكل فعالة سهج لئيم  
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم لا يكون حقوداً ، ولا حسوداً ، ولا  
 شتماً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ،  
 ولا ملولاً ، ولا يقطع الله ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضع الحفظ ، ولا يخفى  
 الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعلم عن قدرة ، ويصل عن  
 قطيعة .

أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن علي بن

(١) هذا تفسير باللازم ، وإلا حقيقة التقوى في اللغة : الأخذ بكل أسباب مما  
 يدفع عن الإنسان كل ما يسكره ويغدر في الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤذى  
 ويضر في الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم واليقظة التامة ، والبصيرة  
 النيرة ، فكمن آت لكل الأمور ومنزجر عن كل المحرمات ولسكنه على جهل  
 وتقليد أعمى لا ينفعه شيء مما يأتي ولا يدفع عنه أنزجاره شيئاً مما يخاف ويحذر ، والله  
 الموفق لكل خير والهادي إلى سواء السبيل .

محمد المرحبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج - مولى المهدي -  
عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حياة وموتاً ، وإن مما يحيي الكرم  
مواصلة الكرماء ، وإن مما يحيي اللؤم معاشره اللثام »  
وأنشدني الكريزي :

مابال قوم لثام ليس عندهم عهد ، وليس لهم دين إذا اتّبنوا  
إن يسمعون رية طاروا بها فرحاً ميتاً ، وما سمعوا من صالح دفنوا  
مُمتاً إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذِنوا<sup>(١)</sup>  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم يبلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا  
الطف ، والكريم يحمل الكرام ، ولا يهين اللثام ، ولا يؤذي العاقل ، ولا  
يمازح الأحق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلاً لهم ماملك ، إذا  
اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق  
العداوة ، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشيء من الأشياء .  
كما أنشدني الخلابي ، أنشدنا أحمد بن أبي علي القاضي ، قال : أنشدنا محمد  
بن مقيس الأزدي :

فإن الذي بيني وبين عشيرتي وبين بني عمي لختلف جدا  
إذا قدحوا لي نار حرب برّئهم قدحت لهم في كل مكرمة زندا  
وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا تجدي بنيت لهم مجدا  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد  
وأعطيهم مالي إذا كنت واجدا وإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا<sup>(٢)</sup>

(١) يقال : أذن الرجل للقول ، أي ألقى سمعه وأصغى بانتباه وبقظة زائدة ،  
والآيات لقضب بن أم صاحب .

(٢) هذه الآيات من شعر الحماسة منسوبة إلى المقنع الكندي من قصيدة له ، وفي  
بعض ألفاظها اختلاف . و « الرفد » العطاء .

أنبأنا ابن حوصا ، حدثنا النحاسي حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبي عليّة قال :  
رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يقسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهما  
دايته ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبي بكر بن خالد اليزيدي عن قُطَيْبَة  
ابن العلاء بن النهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول : سمعت الأعشى يقول :  
قال الشعبي « إن كرام الناس أسرعهم مودة ، وأبطؤهم عداوة ، مثل الكُوب من  
الفِئَةِ يبطل . الانكسار ، ويسرع الانجبار ، وإن لثام الناس أبطؤهم مودة ،  
وأسرعهم عداوة ، مثل الكُوب من التَّخَار : يسرع الانكسار ، ويبطل الانجبار »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم مَنْ أعطاه شكره ، ومن منعه عذره ،  
ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتدأه ،  
وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحدٌ رأى الموت أكرم له منه ،  
والشيم بضد ما وصفنا من الخصال كلها .

ولقد أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي ،  
حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم  
ابن آدم كريم النفس ، يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم ، قال : فربما  
اتخذ لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم  
فيتصارعون ، قال : وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل  
عجينا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجمع أهل النجارب للدهر ، وأهل الفضل في  
الدين ، والراغبون في الجليل : على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا ، وأجل  
ما يدّخر لها في العقبى هو لزوم الكرم ، ومباشرة الكرام ؛ لأن الكرم يحسن  
الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركبها الله في بني آدم ، فمن الناس من يكون

أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وري كان المملوك أكرم من مولاه ، ورب مولى أكرم من مملوكه .  
وقد أحسن الذي يقول :

رب مملوك إذا كشفته      كان من مولاه أولى بالكرم  
فهو مدحوح على أحواله      وترى مولاه يُهَجَى ويُقَدَّم  
وتراه كيف يعلو دأبها ؟      وترى مولاه من تحت القدم  
وفتى تلقى أباه دونه      وأباً تلقاه أعلى وأتم  
من بنيه ، ثم لا يغفل إن      طُلب المعروف منه بالصمم  
وكذاك الناس - فاعلم - ربنا      قدّر الأخلاق فيهم وقسم  
وأشدنى الأبرش :

رأيت اللين لا يرضى بضم      لأن الضيم يخطئه الكريم  
وإن اللين أكرم كي شيء      فليس يحبه خلق نعيم  
فإن تزك الأذى واللين قلبا      فإن اللين يرحل لا يقيم  
ويبقى للأذى في القلب صعب      من البغضاء يلبث لا يبرم<sup>(١)</sup>  
حدثنا القطان بالرقه ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى ، قال : سمعت أبي يقول :  
ما من أحد إلا وله توبة ، إلا سيء الخلق ؛ فإنه لا يتوب من ذنب إلا دخل في  
شر منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم محمود الأثر في الدنيا ، مرضى العمل  
في العقبى ، يحبه القريب والقاصى ، ويألفه المتسخط والراضى ، يفارقه الأعداء  
واللئام ، ويصحبه المقلاء والكرام .

وما رأيت شيئاً أكثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان  
ذلك بانقلب أو بالموجود .

(١) لا يبرم : لا يفارق .



وقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لعمرك ، إن المال قد يجعل الفتى      نسيباً ، وإن الفقر يأنزله قد يُرْزى  
ولا رَقَعَ النفسَ الدنيئة كالفنى      ولا وضع النفسَ الكريمة كالقفر  
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حميد بن  
عبد الرحمن عن زكريا بن أبي زائدة عن علي بن الأقر عن أبي جحيفة قال :  
« جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسألتوا العلماء »

### ذكر الزجر عن قبول قول النوشاة

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسباط ، حدثنا مهدي بن ميمون  
حدثنا واصل الأحديب عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلاً يتلمذ  
الحديث ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل  
الجنة تلمذ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبية الإفكار في  
السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسمي فيما يفرق جمعهم  
ويشتت شملهم ، والعاقلة لا يخوض في الإفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل رعاية الواشي  
بحيلة من الحيل ، لعله بما يرتكب الواشي من الإثم في العقبي بفعله ذلك .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه  
عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني ،  
إياك والنميمة ، فإنها أحدٌ من السيف »

وأنشدني الكريزي :

من تَمَّ في الناس لم تؤمن عقار به      على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه  
كأسيل بالليل ، لا يدري به أحد      من أين جاء ، ولا من أين يأتيه ؟  
فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه ؟      والويل للود منه ، كيف ينفيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلا تحت العرش ، فقبضه بمكانه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، قال : لكنني أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الرعي ، حدثنا محمد بن إدريس المذلل عن العتيبي قال « سمعت أعرابية توصي ابنا لها ، فقالت : عليك بحفظ السر ، وإياك والنميمة ؛ فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها .

ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إلى مقارقتها من أن يحترس من مجالسته ، وأن لا يوثق بمودته ، وأن يزهد في مواساته ومعاشرته .

ولذلك يقول أخو ربيعة :

تَحَنَّنْتَ فِينَا بِالنِّمَمِ ، وَإِنَّمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ الْهَامُ  
وَمَا زِلْتَ مَنْسُوبًا إِلَى كُلِّ آفَةٍ      وَمَا زَالَ مَنْسُوبًا إِلَيْكَ الْمَلَامُ  
لَأَنْكَ لَمْ تَصْدَمْ نَشْرٍ فَعَلْتَهُ      وَمَا تَأْتِ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ نَادِمُ

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الثعالبي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي ، حدثنا علي بن محمد المدائني قال « وشي واش بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء ، فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغني أنك هجوتني ، فقال له : كلاً ، أصلحك الله ! ما فعلت ، وما أنت لذلك أهل ، قال : فإن هذا أخبرني — وأخرج الرجل — فاطرق ابن همام هنيئاً ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وَأَنْتَ اسْمُؤُ : إِمَّا اتَّصَمْتِكَ خَالِيَا      فَخُنْتُ ، وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا غَمِ

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم  
قال : فأعجب زياد بجوابه ، وأدناه ، وأقصى الساعى ، ولم يقبل منه .  
وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يمشون فى الناس يبعون العيوب لمن لا عيب فيه ، لكي يستشرف العطبُ  
إن يعلموا الخير يحفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ، وإن لم يعلموا كذبوا  
أخبرنى محمد بن أبى على ، حدثنا ابن أبى شيبه أبو جعفر ، حدثنا الحسن بن  
صالح قال : سمعت حُجَّينَ بنِ المثنى يقول « سمى رجل بالليث بن سعد إلى وإلى  
مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغنى  
عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله — أصلح الله الأمير ! — عما أبلغك :  
أهو شئ . ائتمناه عليه فخاننا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من خائن ، أو شئ . كذب  
علينا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من كاذب ؟ فقال الوالى : صدقت يا أبا الحارث .  
أخبرنا ابن حوصا ، حدثنا عبد الله بن هانىء بن عبد الرحمن عن ابن أبى علقمة  
عن أبيه عن عمه إبراهيم بن أبى عبيدة قال : « كنت جالسا مع أم الدرداء ، فأتاها  
آت ، فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منك عند عبد الملك بن مروان ،  
فقلت : إن تؤبى<sup>(١)</sup> بما ليس فينا فطالما زُكِّينا بما ليس فينا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل الوشاة ،  
وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل ، مع ترك  
الإفكار فيما يزرى بالعقل ؛ لأن من وثى بالشئ إلى إنسان بعينه يكون قصده  
إلى الخبر أكثر من قصده إلى الخير به ، لمشافهته إياه بالشئ الذى يسقُّ عليه  
علمه وسماعه »

واقعد أحسن الذى يقول :

من يُخَيِّرَكَ بِشْتَمٍ عَنْ أَخٍ      فهو الشاتم ، لا من شَتَمَكَ  
 ذاك شيء لم يشافيك به      إنما اللوم على من أَعْلَمَكَ  
 كيف لم ينصرك ؟ إن كان أخا      ذا وفاء عند من قد ظلمك  
 إنما رام بإبلاغ الذي      نعم فيه - فاعلمن - أن يُرغمك  
 فاعنه ، إنه من لومه      إن شهده بهوان أكرمك  
 نكن الحر إذا أكرمته      لم يُصَفِّرْكَ ، ولكن فحَمَك

أُتِيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّوَيْدِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ  
 ابْنَ مَيْمُونٍ يَقُولُ : شَيْعُ الْمَأْمُونِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ذَا الْوِزَارَتَيْنِ ، فَلَمَّا لَمَعَا غَايَةُ  
 التَّشْيِيعِ ، قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا حَسَنُ ، أَلَاكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَحْفَظُ  
 عَلَى مَنْ قَلْبِكَ مَا لَا أُسْتَطِيعُ إِدْرَاكَهُ إِلَّا بِكَ ، وَيَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَوْلُ كَثِيرٍ عِزَّةً :  
 وَكُونِ عَلَى الْوَاشِينَ لَذَّةً شَعْبَةً      كَمَا أَنَا مُلَوَّنِي أَلَذُّ شُعُوبُ  
 أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَازِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُزَيْمَةَ الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا حَذِيفَةُ  
 حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ « الَّذِي يَعْمَلُهُ النَّهَامُ فِي سَاعَةِ  
 لَا يَعْمَلُهُ السَّاحِرُ فِي شَهْرِ »

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ الْعُقَيْبِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْهَلَالِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ  
 الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ شَيْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ قَالَ « بَاعَ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ  
 غُلَامًا لَهُ ، وَقَالَ : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ النَّيْمَةِ ، فَاشْتَرَاهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَجَاءَ إِلَى مَوْلَانِهِ ،  
 فَقَالَ : إِنَّ زَوْجَتَكَ لَيْسَ يُحِبُّكَ ، وَهُوَ يَنْتَسِرُ عَيْدَكَ وَيَتَزَوَّجُ ، أَفَتُرِيدُنِ أَنْ يَعْتَاطَ  
 عَلَيْكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : خَذِي مَوْسَى فَاحْلُقِي بِهِ شَعْرَاتٍ مِنْ بَاطِنِ لَحْيَتِهِ  
 وَبَحِّرِي بِهِ ، وَجَاءَ إِلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتَكَ تَبْغِي ، وَتَصَادِقُ ، وَهِيَ  
 قَاتِلَتُكَ ، أَفَتُرِيدُنِ أَنْ يَبِينَنَّ لَكَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ تَنَاقُومُ لَهَا ، قَالَ : فَتَنَاقُومُ لَهَا ،  
 فَجَاءَتْ بِمَوْسَى تَحْلُقُ الشَّعْرَ ، فَأَخَذَهَا فَتَقْتُلُهَا ، فَأَخَذَهَا أَوْلِيَاؤُهَا فَتَقْتُلُوهَا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النخلة : لأنها تهتك الأستار  
وتنشى الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد العداوة ، وتبدد الجماعة  
وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وشى إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته  
على الهفوة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع  
توطئ النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى المعاتبة  
عند الإساءة .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

كاف الخليل على المودة مثلها      وإذا أساء فكافه بمصابه  
وإذا عتبت على امرئ أحبته      فتوق ظاهر عيبه وسبابه  
وأن جناحك ما استلان لوده      وأجب أخاك إذا دعا بحوايه  
وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاتب إخوانى ، وأبقى عليهم      ولست لم بعد العتاب بقاطع  
وأغفر ذنب المرء إن زل زلة      إذا ما أتاها كارهها غير طائع  
وأجزع من لوم الخليم وعذله      وما أنا من جهل الجهول بجازع  
أخبرنى محمد بن على الغلابدى ، أخبرنى محمد بن يزيد النحوى عن العتبى  
عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية فى شئ ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير  
المؤمنين : اسمع أبيتاً أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأنشده<sup>(١)</sup> :

لعمرك ما أدرى ، وإنى لأوجل      على أيتنا تعدو المنية أول  
وإنى على أشياء منك ترينى      كثيراً لذو صفح على ذاك مجمل  
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته      على طرف الهجران لو كان يعقل  
فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عليه معن بن أوس  
المرزى بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشده :

(١) الأبيات لمن بن أوس ، وسيدكر المؤلف ذلك .

\* لعمرك ما أدري وإني لأوجل \*

فقال : علي بن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما زعمت ؟ قال : أنا ألفت المعنى ، وهو ألف القوافي ، وهو بعدُ ظئري ، ومهما قال من شيء فأنا قلته ، فضحك معاوية ، وكان مَعْن بن أوس مُسْتَرْضِعاً في مَرْيَنة .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهاني يقول : كتب علي بن حجر السعدي إلى بعض إخوانه :

أحش إلى عتابك ، غير أني أجلك عن عتاب في كتاب  
ونحن إذا التقينا قبل موت شفيت غليل صدري من عتابي  
وإن سبقت بنا أيدي النساء فكم من عتاب تحت التراب  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

صحائف عندي للعتاب طويتها ستشر يوماً ، والعتاب يطول  
كتاب لعمري لا بنان يحطه وسوف يؤديه إليك رسول  
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا وإن نجتمع يوماً فسوف أقول  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يقصر عن معاتبة أخيه على زلته ؛ لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن بحافظ للخلة ، ومن أعتب لم يذنب ، كما أن من اغفر لم يعاقب ، وظاهر العتاب خير من مكتوم الخقد ، ورُبَّ عَتَبٍ أُنْفَعُ من صَفْح ؛ ولذلك أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

إذا ما امرؤ ساءلك منه خليقة فسكاته ، فالوَهْنُ في ذاك تركبُ  
لعلك لو عاتبه ، ثم كُتِبَ لَسَرُّكَ ، حتى لم تكن تتعصبُ  
وأنشدني الكريزي :

فإن تكن العتي فأهلاً ومرحباً وحق لها العتي لدينا وقتل

وإن تكن الأخرى ، فإن وراءنا مغاوير لو سئرت بها العيس كَلَّت  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح  
الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود العتاب إلى ماعوتب عليه ؛ لأن من عاتب على  
كل ذنب أخاه ، لتحقيق أن يَمَلَهُ ويقلاه ، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب ،  
كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثار في المعاتبة يقطع الود ، ويورث الصد  
ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البغدادي لابن المعتز :

معاتبة الإفسين تحسنُ مرّةً فإن أكَثَرُوا إِدْمَانَهَا أَفْسَدَ الْحُبَّ  
إذا شئتَ أن تُثَقِّلَ فزِرَ متابعيها وإن شئتَ أن تزدادَ حُبَّهَا ، فزِرْ غِيْبَهَا  
وأنشدنى محمد بن أبي على الصيداوى <sup>(١)</sup> :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً خليلك لم تلقِ الله لا تاتيه  
فحش واحداً ، أو صِلْ أخاك فإنه مُقَارِفُ ذَنْبٍ مرّةً وبحسانيه  
إذا أنت لم تشربِ مراراً على القَدَى ظَلِمْتَ ، وأى الناس تصفو مشاربهُ ؟  
أخبرنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال :  
قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه « لا تكثر العتاب ، فإن العتاب يورث  
الضعينة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب  
« مراعاة الإخوان » ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا علي بن الحسن بن عبد الجبار - بنصيبين - حدثنا علي بن حرب الطائى  
حدثنا وكيع عن الثوري عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

(١) تنسب الآيات لبشار بن برد .

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن .  
فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مضى ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويجعله كمن لم يذنب ؛ لأن من تَنَصَّلَ إليه فلم يقبل أخاف أن لا يَرِدَ الخوض على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن فَرَطَ منه تقصيره في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه .  
ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً من التقصير عذر أخ مُقَرَّ  
فصنّه عن جفائك ، وأعف عنه فإن الصنح سيّمة كل حر  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيع من أسلمه جرمه إقراره بالجرم والذنب  
وتوبة المذنب من ذنبه إعتاب من أصبح ذا عتب

أبناً عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غضب سليمان ابن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجلّ عن العقوبة ، فإن تعف فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ، قال : فعفّا عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يجب أن يجده له عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإلى استعجاب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ، لعل أن المصادير يمتريها الكذب ، وقلّ ما رأيت أحداً



اعتذر إلا شاباً اعتذاره بالكذب ، ومن اعترف بالزلة استحق الصفح عنها ،  
لأن ذل الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها ، والمعتذر إذا كان محضاً  
خضع في قوله ، وذلك في قوله : كما أنشدني الثعصر بن بلال :

أيارب قد أحسنت عوداً وبدأةً إلى ، فلم ينهض باحسانك الشكر  
فمن كان ذا عذر إليك وحجة فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر  
وأنشدني الكريزي :

وإني وإن أظهرت لي منك جفوةً وأزمتني ذنباً وإن كنت مجرماً<sup>(١)</sup>  
لراضٍ لنفسي ما رضيت لها به أراك بها منى أبر وأرحما  
أبناءنا محمد بن عثمان المعقب ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله  
ابن خبيق قال : كان يقال : احتمل من ذلّ عليك ، وأقبل ممن اعتذر إليك .  
أبناءنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزازي - بالبصرة - حدثنا إسماعيل بن  
إبراهيم أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا مبارك بن فضالة عن حميد الطويل  
عن أبي قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً ، فإن لم  
تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يعلن عنوبة من لم يعلن  
ذنبه ، ولا يحلو للمعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقاً في  
اعتذاره ، أو كاذباً ؛ فإن كان صادقاً فقد استحق العفو ، لأن شرّ الناس من لم  
يقبل المعثرات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من  
المعتذر إثم الكذب ورأى بيته وخضوع الاعتذار وذلك أن لا يعاقبه على الذنب السالف

(١) إن الأخيرة ناقية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرماً ، على حد قوله تعالى  
( ٣٥ : ٤١ ) إن أسكنهما من أحد من بعده ) وقوله ( ٧٢ : ٢٥ ) إن أدري أقرب  
ما توعدون ) .

بل يشكر له الإحسان المحدث ، الذي جاء به في اعتذاره ، وليس يعيب المعتذر  
إن دَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه .

وأنشدني الأبرش :

هَبْنِي أَسَاتُ ، كما زعمت ، فأين عاطفة الأخوة ؟

أو إن أسأت ، كما أسأت ، فأين فضلك والمروءة ؟

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

هَبْنِي مَسِيئًا كَالَّذِي قُلْتَ ظَالِمًا فَمَعُوذُ جَبِيلٍ كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْمَعُومِنِكَ - لِسُوءِ مَا أَتَيْتُ بِهِ - أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

هَبْنِي أَسَاتُ ، وَكَانَ جُرْمِي مِثْلَ جُرْمِ أَبِي لَهَبٍ

فَأَنَا أَتُوبُ كَمَا أَتَى ، وَكَمْ أَسَاتُ قَلَمُ تَنْبٍ ؟

وأنشدني محمد بن أبي علي ، أنشدنا الربيع عن الأصمعي :

أَتَيْتَكَ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَيْرَ النَّاسِ مَنْ أَخْطَأَ تَائِبًا<sup>(١)</sup>

أَلَيْسَ اللَّهُ يُسْتَعْفَى فَيَعْفُو وَقَدْ مَلَكَ الْعَقُوبَةُ وَالتَّوْبَا

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

عَصَيْتُ وَتَبْتُ ، كَمَا قَدْ عَصَى وَتَابَ إِلَى رَبِّهِ آدَمُ

فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تُثْرِبًا لَكُمْ يَغْفِرُ الْغَافِرُ الرَّاحِمُ

أنيابنا محمد بن المهاجر المذلل ، حدثنا محمد بن عبد الله الجرزي عن حميد بن

سنان الخالدي - وكان نديمًا لأبي دَلَفٍ - قال : دخلت على أبي دلف يوما ،

وبين يديه كتاب وهو يضحك ، فقال : هذا كتاب عبد الله بن طاهر ، وفيه

أبيات أحبُّ أن أنشدك إياها ، وذلك أني كنت استبطنته في بعض المؤامرات ،

فكُتِبَتْ إليه :

(١) أخطأ : أصله أخطأ ، فقلب الهمزة ألفا لانتفاع ما قبلها .

أرى وُدَّكم كأنورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهد  
وودي بكم كالآس حسناً وبهجة له نَصْرَةٌ تبقى إذا فنى الورد  
فكتب إلى هذه الأبيات :

شَبَّهت ودي الورد ، فهو مث كلِّ وهل زَهَرُ إلا وسيدها الورد ؟  
وشبَّهت منك الود بالآس في البقا ولم تخلف التشبيه فيك ولم تَمُدُّ  
فودَّك كالآس المرير مذاقهُ وليس له في الريح قبل ولا بعدُ  
أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطابي بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستاني عن  
الأصمعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبي الأسود الدؤلي صديق ،  
فراى منه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرأة لم أكن أبه<sup>(١)</sup> أناني ، فقال : اتخذني خليلاً  
فخالته ، ثم صافيته فلم ينقص الود منه فتبلاً  
فراجعتهُ ، ثم عاتبته عتاباً رفيقاً ، وقولا جميلاً  
فألفيته غير مُتَعَبٍ ولا ذا كَرٍّ الله إلا قليلاً  
أنت حفيظاً بتوديعه وأوسع ذلك هجراً ضويلاً  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاعتذار يذهب المذوم ، ويحلى الأحران ،  
ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإفلال منه تستغرق فيه الجنائيات العظيمة  
والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي ، فلم يكن  
في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تحمد إلا نفي التعجب عن النفس في الحال لكان  
الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زَلَّة.

(١) هكذا في الأصل ، والمحفوظ «أريت امرأة كنت لم أبه » إلخ ، مع بعض  
اختلاف في الباقي .

ولقد أنشدني الكريزي :

فانظر إلى بطرف غير ذي مرض      فطال ماصحاً لي من طرفك النظرُ  
أدرك بفضلك عظمًا كنت تحبّه      واجمع برقتك ماقد كاد ينتشر<sup>(١)</sup>  
أنيابنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ،  
حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ، على معن بن  
زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : يا عبد الرحمن ، بأي وجه  
أتيتني ؟ ولأي خير أمّلتني ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع مني حتى أنشدك  
بيتين قالهما نصيب في عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

لو كان فوق الأرض حيٌّ فعالمه      كفعلك ، أو لفعل منك مقارب  
لقلت له هذا ، ولكن تعذرتُ      سواك على المستعنين المذاهبُ  
فقال : أقم ، فإني لا أواخذك فيما مضى ، ولا أعنفك فيما بقي .

أنيابنا الخلابي حدثنا محمد بن موسى السمرري عن حماد بن إسحاق ، قال ابن  
السيك لمحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكتابه ، ورآه كالعرض عنه : مالي  
أراك كالعرض عني ؟ قال : بلغني عنك شيء كرهته ، قال : إذا لا أبالي ، قال : ولم ؟  
قال : لأنه إن كان ذنباً غفرته ، وإن كان باطلاً لم تقبله ، قال : فماد إلى الموانسة .  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب  
« سماع العشرة » ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أنيابنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد  
العبدى ، حدثنا الميثم بن أيوب العطار السلمي ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن  
محمد بن مطرف أبي غسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبي هريرة قال :

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الخوائج بكتمان السر ؛ فإن لكل نعمة حاسداً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عمرو هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت <sup>(١)</sup> عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذوى الحجب لزوم ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المكنون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لا بد من أن يضرب ضرباته ، فيوقع ضدَّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيخرجها وجود ضد ما انطوى عليه قديماً من وفاته إلى حجة الخروج بالسكية إلى جفاته ، بإبداء مكتوماته ، والكشف عن مخيآته .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثني محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثني موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفرُّ من القدر ، وهو موافقه ، ومن الرجل يرى القذاة في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ، ومن الرجل يخرج الضغن من موضع ويدع الضغن في نفسه ، وما ندمت على أمر قط فأُمت نفسي على تندى عليه ، وما وضعت سرى عند أحد فلمته على أن يفشي به ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟ وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تبيع بسرِّك ضيقاً به	وتبغى لسرِّك من بكم
وكتما لك السرَّ من تخاف	ومن لا تخافه أخزم
إذا ذاع سرِّك من مخبر	فأنت ، وإن لمسه ، ألوم

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره  
فالتقاء في صدري ، فصدري أضيق

ومن لامنى فى أن أضيع سره وضيعه قبلى ، فذر السر أخرق<sup>(١)</sup>  
أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد  
ابن إسحاق عن المدائنى قال : كان يقال : أصبر الناس الذى لا يفشى سره إلى صديقه  
مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشي ، وأنشدنى البغدادي :

صن السر بالسكتان يرضيك غيبه فقد يظهر المرء المضيع فيندم  
فلا تلجئن سرّاً إلى غير حرزه فيظهر حرز السوء ما كنت تكتم  
وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطي :

إذا المرء لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسراً الأئح غير كتوم<sup>(٢)</sup>  
فبعداً له من ذى أخ ومودة وليس على وئد له بمقيم  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : من حصّن بالسكتان سره تمّ له تديره ، وكان  
له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التمكن والظفر ،  
والحازم يحفل سره في وعاء ، ويكتمه عن كل مستودع ؛ فإن اضطره الأمر  
وغلبه أودعه العاقل الناصح له ؛ لأن السر أمانة ، وإفشاؤه خيانة ، والقلب له  
وعاؤه ، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .

وأنشدنى الكريزى :

اجعل لسرك من فؤادك منزلاً لا يستطيع له اللسان دخولا  
إن اللسان إذا استطاع إلى الذى كتم الفؤاد من الشئون وصولاً  
ألقت سرك فى الصديق وغيره من ذى العداوة فاشياً مبذولاً  
وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

ما كتمه سرى ، وأكتم سره ولا غرّنى أئى عليه كريم  
حليم فيفشى ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم  
أخبرنى محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنى على بن عيسى

(١) أخرق : أحرق . (٢) الأئح ، ههنا بتشديد الحاء ، وهى لغية .

عن محمد بن زياد عن ابن الأعرابي قال : كان يقال : العاقل من حَذَرَ صديقه ،  
وأنشدني بعض إخواننا :

لعمرك كتمان القتي سِرٌّ مانوى      أصف وأدنى للرشاد وأكرم  
وأجمل في بث الحديث مقالة      وأحسن في الأخلاق دوماً وأحزم  
وأنشدني الكريري :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها      فأنت إذا حملته الناس أضيع  
ويضحك في وجهي إذا مالقيته      وينهشني بالغيب يوماً ويلسع  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز ، وما كتبه  
المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لذوى الألباب عبراً ماجربوا ،  
ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن متهتاكاً ، ولا يشياعاً ، لأن السر إنما سبي  
سراً لأنه لا يفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه .  
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر العدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعم  
قال : أنشدني محمد بن سليمان بن سلام الجمحي لرجل من عبد شمس :

إذا ماضاق صدرك عن حديث      فأفشاء الرجال ، فمن تلوم ؟  
إذا عاتبت من أفشى حديثي      وسررى عنده فأننا الظالم  
وإني يوم أسام حمل سري      وقد ضمنت صدرى سوء  
فلت مُحَدَّثاً سري خليلي      ولا نفسى إذا حضرت هموم  
وأطوى السرّ دون الناس ؛ إني      لما استودعت من سرّ كَتُوم  
وأنشدني علي بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن بندار  
لشيطان الطاق :

أمتِ السر بكتام ولا      يُسمعن منك إذا استودعت سرّ

فإذا ضقت به ذرعا ، فلا تضمن سرك إلا عند حر  
 أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادي ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن  
 داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدهم بسره ، حتى يحدث به ،  
 ثم يقول : اكتمه على .

وأنشدني إبراهيم بن علي الظفري <sup>(١)</sup> أنشدني الحسين بن عبيد الله :  
 لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكثوم  
 السر عندي في بيت له غلق ضلت مفاتيحه والباب مخنوم  
 أنبأنا الخلالدي ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضي ، قال : أنشدنا  
 عبد الرحمن بن محمد :

وإني لأنسى السر كما أصونه فيا من رأى شيئا يُصان بأن ينسى  
 مخافة أن يجرى بيني ذكره فيخله قلبي إلى منطق خلصا  
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأي ، والرأي  
 بتحصيل الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ، ومن أنبا الناس بأسراره  
 هان عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكتم السراستحق الندم ، ومن استحق الندم صار  
 ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .

فتحصيل السر للعاقل أولى به من التلف بالندم بعد خروجه منه .  
 ولقد أحسن الذي يقول :

خشيتُ لسانِي أن يكون خثونا فأودعته قلبي ، فكان أمينا  
 فقلت ، ليخفي دون شخصي وناظري : أيا حرَكاني كنَّ في سكونا  
 أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأماطي ، حدثنا محمد بن سليمان اللصيصي ، حدثنا  
 ابن عيينة عن ابن شبرمة عن الحسن في قوله تعالى ( ٣ : ١٥٩ ) وشاورهم في الأمر

(١) وجد في هامش الأصل « نسخة الطريقي » .



قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يستنَّ به مَنْ بعده .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير متحصن من السقط ، متخير للرأى .

والواجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجب : أن يعلم أن المشاورة تنفى الأسرور ، فلا يستشير إلا السليم الناصح الورود القاضل في دينه : وإرشاد الشَّيْخِ المستشار قضاء حق النعمة في الرأى ، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع مثل من وصفنا نفعته .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال الحسن ماحزب<sup>(١)</sup> قوماً قط أمر فاجتمعوا فتشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .  
وأنشدني الكريزي :

دَبَّرَ إِذَا مَارَمْتَ أَمْرًا بِفِكْرَةٍ      لتعلم مائتاني وما تتجنبُ  
وشاور نقيَّ الرأى عند التباسه      لكي يَصِيحَ الأمر الذي هو أصوب<sup>(٢)</sup>  
وأنشدني المنتصر بن بلال :

لا تسبقنَّ الناس بالرأى واتشد      فإنك إن تعجل إلى القول تزلل  
ولكن تصفح رأى من كان حاضراً      وقل بعدهم رسلاً ، وبالحق فاعمل  
أنبأنا محمد بن عثمان العقي ، حدثني يحيى بن يزيد بن محمد الأبلبي ، حدثني إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلبي عن عبد الله بن الديلمي عن وهب بن منبه أنه قال : في التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ، والفقر الموت الأحر . وكما تدين تدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا أنسَ أنسُ من استشارة عاقل ودود ، ولا وحشة أوحش من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاح رحمة ،

(١) حزيم : اشتد عليهم وشق .

(٢) يضح : مضارع وضح ، إذا اشتد ظهوره .

ومن استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليلزم الحق ، وقصد السبيل  
وليجعل المستشار كنفه بترك الخيانة ، وبذل النصيحة ، وليكن كما أشدنى على  
ابن محمد البسامي :

ومن الرجال إذا زكت أعلامهم مَنْ يستشار إذا استشير فيطرق  
حتى يجول بكل واد قلبه فيرى ويعرف مايقول وينطق  
إن الحليم إذا تفكر لم يكذب يخفى عليه من الأمور الأوفق  
أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عثمان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن إلياس  
ابن دغفل عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماشاور قوم قط  
إلا هُدى إلى رشدهم » .

أخبرني محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافي ، حدثنا شيبان ، حدثنا  
أبو الأشهب قال : قال الحسن : لا يندم من شاور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قومٌ هو فيهم  
أن يكون آخر من يشير : لأنه أمكن من الفكر ، وأبعد من الزلل ، وأقرب من  
الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينفذ الحزم بأن لا يستشير عاجزاً ، كما أن  
الحازم لا يستعين كسلاً ، وفي الاستشارة عين الهداية ، ومن استشار لم يعد مرشداً ،  
ومن ترك المشاورة لم يعد غيئاً ، ولا يندم من شاور مرشداً ، ولقد أشدنى الواسطي :

الهمُّ ما لم تمضه لسبيله سقمُ القلوب وآفة الأبدان  
ومُعَوَّل الرجل الموفق رأيه عند اعتراض طوارق الأحزان  
وإذا الحوادث سددت أسبابه كان التبصر أنجس الأعوان  
وإذا أضلَّ سبيله تديره طلب الهدى بتشاور الإخوان  
أنبأنا محمد بن عثمان العقي ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصبغ عن ابن  
وهب عن إبراهيم بن نشيط عن ابن أبي حسين قال : كان يقال : ما هلك امرؤ  
عن مشورة ، ولا سعد بتوعد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من شيم العاقل عند النائية تنوُّبه : أن يشارع عاقلاً ناصحاً ذا رأى ثم يطيعه ، وليعترف للحق عند المشورة ، ولا يتعاضد فى الباطل ، بل يقبل الحق ممن جاء به ، ولا يحقر رأى الجليل إذا أتاه به الرجل الخفير ؛ لأنَّ الوثوقَ الخطيرة لا يشينها قلة خطر غائصها الذى استخرجها ، ثم ليستخر الله ، وليبص فيما أشار عليه : ولقد أنشدنى البغدادي :

أطع الخليم إذا الخليم عصاك    إن الخليم إذا عصاك هذا كما  
وإذا استشارك من تودُّ ، فقل له :    أطع الخليم إذا الخليم نهاك  
ولئن أبيتَ لتأتينَ خلافة    أرباباً يحوطك ، أو يكون هلاكاً  
واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى    سبل الرشاد إذا أطعت هواك  
أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجران ، حدثنا محمد بن حميد البراز  
حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى ، فلا  
تستشيروهم : صاحب الخف الضيق ، وحافى البول ، وصاحب المرأة السوء  
السليطة (١) .

### ذكر الخلق على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أنا الحسين بن محمد بن أبي معشر - بجران - حدثنا عبد الرحمن بن عمرو  
البجلي ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي  
عن تميم الداري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، قيل :  
لمن يارسل الله ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ،  
وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معاً ؛ إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم  
كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة  
وإيتاء الزكاة .

(١) السليطة : أى البذينة اللسان التى تكثر من قول السوء .

وأخبرني محمد بن أبي علي الخلادي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه « لا تعمل بالخديعة فإنها خلق اللئام ، والمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزُلْ معه حيث زال . » وأنشدني الكريزي :

قل للنصيح الذي أهدى نصيحتَه سرًّا إلينا ، وسامته الشكاليفُ  
النصح ليس له حدٌّ فتعرفه والنصح مستوحش منه ومألوف  
حتى إذ صرَّحتَ عنَّا عواقبه كانت لنا عِظَةً منه وتغنيف  
لو كان للنصح حدٌّ يستبان به ما نالنا حسرة منه وتلهيف  
لكن له سُبُلٌ شتى مخالفة بعضٌ لبعض ، فجهول ومعروف  
والناس غاور ، وذورشد ، ومختلط والنصح ممضًى ، ومردود ، وموقوف  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما  
أن خير الأعمال أحدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصا ، وضرب الناصح خير من  
تحبة الشاني .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبدولة للعامة مكتوما من العام والخاص ما قدر  
عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأنا محمد بن عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم  
التميمي ، حدثني أبي قال « لما قدم على الكوفة لقيه للمغيرة بن شعبة ، فقال له :  
إني أشير عليك برأى فاقبله ، قال : هات ، قال : أقرَّ معاوية على الشام ، يسمح  
لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستمذّبوه ، ووليهم عشرين سنة لم يعتبوا  
عليه ، ولم يعتبوه في عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألتني قرية ما وليته إياها ،  
قال : فقال للمغيرة : أراه سَمَلِي أرضين وقرّيات »

أنا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،

حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن الحنظل عن الحسن قال « المؤمن شعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يحب سدده وقومته ونصحه في السر والعلانية » وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أَمِنْتُ عَلَى السَّرِّ امْرَأً غَيْرَ حَازِمٍ      وَلَسَكُنْهُ فِي النَّصِيحِ غَيْرُ مَرِيْبٍ  
فَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ ، حَتَّى كَانُوا      بَعْلِيَاءَ نَارٍ أَوْقَدَتْ بِشَقُوبِ  
فَمَا كُلُّ ذِي لَبٍّ بِمُؤْتِيكَ نَصِيحَتِهِ      وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نَصِيحَتِهِ بِبَلِيْبٍ  
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ      فَحَقَّقْ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيْبٍ

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال بعض الحكماء « اثنان ظالمان : رجل أهديت له النصيحة فالتحذها ذنباً ، ورجل وسّع له في مكان ضيق فجلس متربّعاً » قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على كل ذي نصيح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصيحائه ما ينقل عليه لم يحمّد غيباً رأيه ، ومشاورته الأصمّ أحد من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لا يشكر كان كالبادر في السباح ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه ، وأنشدني الأبرش :

إِذَا نَصَحْتُ لَدُنِّي عَجِبَ لِقُرْشِهِ      فَمَنْ يَطْعُكَ ، فَلَا تَنْصَحْ لَهُ أَبَدًا  
فَإِنْ ذَا الْعَجِبِ لَا يَعْطِيكَ طَاعَتَهُ      وَلَا يُجِيبُ إِلَى إِرْشَادِهِ أَحْسَدًا  
وَمَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ غَاوِيَ غَوَى حَقَبًا      إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ قُرْبَى ، أَوْ يَكُنْ وَلَدًا  
قُلْ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : النَّصِيحَةُ تَجِبُ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً عَلَى مَا ذَكَرْنَا قَبْلَ ؛ وَلَكِنْ إِبْدَاؤُهَا لَا يَجِبُ إِلَّا سِرًّا ؛ لِأَنَّ مِنْ وَعْظِ أَخِيهِ عِلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ ، وَمِنْ وَعْظِهِ سِرًّا فَقَدْ رَاقَهُ ، فَأَبْلَاغُ الْجَهْدِ لِلْمُسْلِمِ فِيهَا يَزِينُ أَخِيهِ أُخْرَى مِنَ الْقَصْدِ فِيهَا يَشْبَهُهُ .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العنبي حدثنا الرمادي حدثنا علي بن المديني حدثنا  
سفيان قال : قلت لِسَمَرَ « تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن يحبي  
إنسان فيؤبئني بها فلا ، وأما أن يحبي - ناصح ف نعم » .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي حدثنا محمد بن  
علي الشقيق حدثنا أبي عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه  
ما يكره أمره في ستر ، ونهاه في ستر ، فيؤجر في ستره ، ويؤجر في نهيه ، فأما  
اليوم فإذا رأى أحد من أهد ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره »

أخبرنا محمد بن سعيد التمار حدثنا محمد بن منصور حدثني علي بن المديني عن  
سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل - وعنده قوم - فسأله بشيء ،  
ثم انصرف ، فقال : أتدرون ما قال لي ؟ قال : رأيتك التفت أمس وأنت تصلي  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم  
الألفة ، وتؤدي حق الأخوة .

وعلاوة الناصح إذا أراد زينة النصوح له أن ينصحه سراً ، وعلاوة من  
أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فكم من عدو مُعلن لك نصحه	علانية ، والنش تحت الأضالع
وكم من صديق سرّيد قد عصيته	فكنت له في الرشد غير مطاوع
وما الأسر إلا بالعواقب ؛ إنها	سيبدو عليها كل سر وذائع

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وصاحب غير مأمون غوائله	يبدى لي النصيحة منه وهو مشتمل
على خلاف الذي يُبدى ويظهره	وقد أحطت بعلى أنه دغل
عنوت عنه انتظارا أن يشوب له	عقله إليه من الزلات ينقل

دهرا فلما بدا لي أنَّ شيمته غش وليس له عن ذلك مُنتَقَلُ  
تركته ترك قال لا رجوع له إلى مودته ما حنَّت الإبل<sup>(١)</sup>  
أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطي حدثنا محمد بن يزيد الملقب بِتَحْمَشٍ حدثنا  
يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كتب الربيع بن خثيم وصية :  
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خثيم ، وأشهد عليه ،  
وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين مثيباً ، إنى رضيت بالله رباً ، وبالإسلام  
ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وأن يعبد الله<sup>(٢)</sup> من أطاعنى فى العابدين  
وبحمده فى الحامدين ، وينصح الجماعة المسلمين »

#### وصية الخطاب بن المعلى الخزومى ابنه

أخبرنى محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى  
حدثنى عبد الرحمن بن أبى عطية الحمصى عن الخطاب بن المعلى الخزومى القرشى  
أنه وعظ ابنه فقال « يا بنى ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع  
سنته ومعاله ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ،  
وإنى قد سمت لك رسماً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته وعمات  
به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصملوك ، ولم تزل مرتجى مشرفاً محتاج  
إليك ، ورُغب إلى ما فى يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ  
لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبَّك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك  
والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك  
بالرزانة والتوقر ، من غير كبر بوصف منك ، ولا خيلاء تمحى عنك ، والى  
صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ،

(١) الإبل لا تترك الحنين ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .

(٢) فى الأصل « وأن يعبد الله ومن أطاعنى » والواو مقحمة .

وكن في جميع أمورك في أوسطها ؛ فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ،  
وأفش السلام ، وامش متمكناً قَصْداً ، ولا تخطُ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ،  
ولا تَلَوِ عُنُقَكَ ، ولا ردائك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا  
تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوائث متحدثاً ، ولا تكثر  
المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقصر ، وإذا  
جلست فترج ، وتحفظ من نشيبك أصابعك وتقيعها ، والعَيْثُ بلحيتك وخاتمك ،  
وذؤابة سيفك ، وتحليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب  
عنك ، وكثرة الثأوب والتمطى ، وأشبه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون  
به فيك .

وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن  
حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغَضَّ عن الفكاهات ،  
من المضحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريته ،  
ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت  
عجباً بشئ منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عقلك ،  
ولا تُصَنِّعْ نُصْنَعُ المرأة ، ولا تَبْدَلْ تَبْدُلَ العبد ، ولا تهْلُبْ <sup>(١)</sup> لحيتك ولا  
تُبْطِنُها ، وتوق كثرة الحف ، وتنف الثيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في  
الدهن ، وليكن كحلك غيباً ، ولا تلج في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا  
تُعلم أهلَكَ وولدَكَ - فضلاً عن غيرهم - عدد مالك ، فليهم إن رأوه قليلاً هُنتَ  
عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، وإن لم في  
غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا خاضعت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب

(١) هلب الشعر : تنف ما غلظ منه ، وبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الدفن  
والحنك من الشعر



عن عجلتك ، وتسكر في حُجَّتِكَ ، وأر الحاكم شيئاً من حلك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين وإن سفع عليك فاحلم ، وإذا هذا غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك، وألق الفضول عندك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقت بالصبي ، وكله بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من إطفافه إليك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، والقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، وإذا وعدت فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تجهز بمنطقك كمنارح الأسم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشفعة التي تشكرها القلوب ، وتنف لها الجلود<sup>(١)</sup> ، وإياك ومضغف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك ، وإذا نوضت فأجد عزرك كعيبك : وليكن وضعك لخرض<sup>(٢)</sup> من الأشتان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخع في الطست ، وليكن طرحت لك من فيك مترسلاً ، ولا تمشج فتضج على أقرب جلسائك ، ولا تمض نصف اللقمة ، ثم تعبد ما بقي منها منصيفاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تذكر الاستقاء على مائدة الملك ، ولا تعبت بالمشاش<sup>(٣)</sup> ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو غسل ، فإن السعاية قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المشبور ، ولا تبدر تبذير السفبه الغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس محتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى

(١) تنف لها الجلود : تقصر .

(٢) الخرض - بزة قفل أو عتق - الأشتان فصل به الأيدي إثر الطعام .

(٣) المشاش - بزة غراب - العظم الذي لامخ فيه .

الطبع ، والرغبة كذا قيل تدق الرقبة ، وربّ أكلة تمنع أكالات ، والتسفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى في بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الخليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على المهوان خير من محبة اللئيم على الإحسان ، وتقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء المضال ، ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزي بال عقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .  
واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقرينه ، وإيالك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ، وقرّبهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستخفار المستجير لزوم ، والمجلة شوم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع أهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبك الجهم من الرجال ، ولا تحقر ضئيلاً كالحلال<sup>(١)</sup> فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم هليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنع البشر جليستك ، والقبول ممن لا فاك .

وإيالك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإيالك

---

(١) الحلال - بكسر الحاء ، بزة الكتاب - العود الذي يتخلل به الأسنان ،

يريد الرجل النحيف البالغ النحافة .

والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً ، متمزناً ، مشهوراً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متيناً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .  
واحذر ما يلزمك اللأفة في آخرتك ، ولا تمجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالتؤدة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكنت فمريضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الفرج ، ومنارعتك اللثم تطعمه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أبسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة ، مخافة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المني ضلالة ، وليس للعائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب شيخ غناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والقاحش أمير ، والوقاح<sup>(١)</sup> وزير ، والحليم عطية الأحق ، والحق داء لاشفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجْر ، والشيخ شقاء ، والشجاعة بقاء ، والمهذية من الأخلاق التشرية ، وهي تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف حار ديناً ، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير خير من معاناة بشر ، والعرق نزاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان حرق بالإنسان ، والفراغ عار ، والتقدم مخاطرة ، وأجمل منفعة إيسار في دعة ،

(١) الوقاح - بفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهي الإفراط في سوء الأدب

وكثرة العطل ، من البخل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء ،  
يذهب بالشقاء ، ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت  
بشكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تثبت أثمار الحوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن كل ذات  
بدا ، محبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية بعلها ، إن أكرمها رآته  
لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف  
حquil ، قد كشفت الفحة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إغوارها ، ولا  
تستحي من جارها ، كلبية هراوة ، مهاشنة عقارة<sup>(١)</sup> ، فوجه زوجها مكلوم ،  
وعرضه مشنوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا دنيا ، ولا تحفظه لصحة ولا لكثرة  
بنين ، حجابها مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كثيباً ، ويمسى  
غانباً ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ،  
ورأسه شعث ، إن ضحك قواهن ، وإن تكلم فتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ،  
تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسّبه مثل العقرب الجرامة .

ومنهن شفشليق شمشع سلفع<sup>(٢)</sup> ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ،  
تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن  
قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لحازيه ، محترقة لما في يديه ، تضرب له الأمثال ،

(١) هر السكب هربراً : نبح ، وعقارة : نقر صاحبها كما يعقر السكب .

(٢) الشفشليق ، المعجوز المترخية ، والشمشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة

البذينة السيئة الخلق ، والسم المنقع : الرطب .

وتنصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغثَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحقاء<sup>(١)</sup> : ذات اللؤلؤ في غير موضعها ، الماضغة للسانها ، الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الرابع ، تنتشر الشمس ولما يُسمع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناءها وضر<sup>(٢)</sup> ، وعجينها حامض ، وماؤها قاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبتها ، المحبوبة في جيرانها ، المحمودة في سرها وإعلامها ، الكريمة التبعيل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتا ، النظيفة بيتا ، خادمها مسمن ، وابنتها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مومقة مألوفة ، وبالغاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله يا بني بمن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجنب السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

### ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلي حدثنا وهب بن بقية الواسطي حدثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله

(١) الورهاء : الحقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أي كثيرة المطر .  
(٢) الوضر - بفتح الواو والضاد - بقية الدسم والدهن في الإماء ، والوضر - بكسر الضاد - الوصف منه .

صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ،  
وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد  
ولا التدابر بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله  
فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، بنفى النفس  
والدغل ، مع استسلام الأنفس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء  
في الأحكام كلها ، ولا يجب المجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما ،  
بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق ، وترك المجران .

ولقد حدثني محمد بن المهاجر حدثني موسى بن محمد الأخباري عن الثميري  
حدثني محمد بن يحيى الكتاني قال : أنشدني أبو غزية لمعاوية بن عبد الله  
ابن جعفر :

لا يُرْهِدُكَ في أخ لك أن تراه زل زلة  
والله يطرحه الذين يلونه في شر الله<sup>(١)</sup>  
ويخونه من مامن أهل البطانة والدخلة<sup>(٢)</sup>  
والموت أعظم حادث مما يمر على الجيلة

أنشدني محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدني حميد بن عياش :

ولأنك في حب الأخلاء منوطا فإن أنت أبغضت البغيض فأجبل  
فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبك أو تهوي البغيض فأعقل

(١) « الآلة » بفتح الهمزة - أصله الحربة والسلاح ، وأراد في شر موضع

(٢) « الدخلة » الدخيلة وباطن الأمر ، وأصلها بسكون الخاء فأتبع حركتها

حركة الدال .

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي ثعلب :

وما صدودُ ذواتِ الدَّلِّ يَرْمَضُنِي      لَكِنَّا المَوْتَ عَتَدِي صَدُّ إِخْوَانِي  
إِنِّي لِأَصْبِرُ مِنْ عَوْدٍ بِهِ جُلْبُ      عِنْدَ المَلَكَاتِ إِلَّا عِنْدَ هِجْرَانِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا رَأَيْتَ أَزْوَارًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ      صَافَتْ عَلَى بِرْحَبِ الأَرْضِ أَوْطَانِي

وأنشدني الأبرش :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدَتْ إِخَاءَهُمْ      وَتَوَسَّمْنَ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدَ  
فَإِذَا ظَفَرَتْ بِذِي اللِّبَايَةِ وَالتَّقَى      فِيهِ اليَدِينَ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ  
فَتَى بَرَلٍ ، وَلَا مُحَالَةَ ، زَلَّةً      فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضْلِ حَلَمِكَ فَارْدَدِ  
وَإِذَا الْخَلْقُ نَقَضَ الْخُلُقِي فِي مَجْلَسٍ      وَرَأَيْتَ أَهْلَ الطَّيْشِ قَامُوا فَاقْعَدِ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يدخل في جملة العوام والهمج بإحداث الود لإخوانه ، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذي يؤدي إلى الهجران الذي نهى المصطفى صلى الله عليه وسلم عنه بينهم ، بل يقصد قصده الإغضاء عن ورود الزلات ، ويتحرى ترك المناقشة على الهفوات ، ولا سيما إذا قيل في أحدم الشيء الذي يحتمل أن يكون حقا وباطلا معا ، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من رشح أسهم المذال فيه .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبى يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول :

قال محمد بن حميد :

وَمَنْ ذَا مَنْ عَيَّوبِ النَّاسِ نَاجٍ      بِحَقِّي قِيلَ فِيهِ ، أَوْ قَرَأَ<sup>(٢)</sup>  
فَيُحِبُّ بِي إِذَا خَالَتْ خُلَا      وَلَا زَمَ خُلُقِي أَنْ لَا أَكُنْ  
وَكُلُّ مَوَدَّةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا      إِذَا لَمْ تَحْتَمِلْ حَقَّ الْمُصَافِي

(١) العود - بالفتح - الجمل السن ، والجلب : القروح

(٢) أقرفه بكنا وقرفه : اتهمه .

فأما في الكلام فكم وفي ولكن في الشدائد لا يوافي  
إذا أحييت لم أنقض إخواني ولم أن ابن الإخاء على اعتساف  
ولكن أمتح الكرماء ودا ولا أدعو اللثام إلى العطف  
متى تقطع صديقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهدك غير واف  
إذا ما المرء أدبر لم تطفه وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عمار  
الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك  
من يلتبسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة  
أشياء : إما وجود الزلة من أخيه — ولا محالة يزول — فلا يفضى عنها ولا يطلب لها  
ضدها ، وإبلاغ وإش يقدر فيه ، ومشى عاذل بتلب له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه  
سببا ، ولا لأخيه عذرا ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن الملائة تورث القطع  
ولا يكون للول صديق .

ولقد أخبرني محمد بن أبي علي الغلابي حدثنا محمد بن إبراهيم اليسرى  
حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الأصماني أنشدني بعض أهل الأدب :  
إن الملوثة ودّه مثل السراب يذم وردّه  
أو كالسحاب الزائد البراق لم يصدقك وعدّه  
أو كالحمام هزرتّه عند الضراب ، فكلكل حده<sup>(١)</sup>  
لا تقبلن إخوانه فوعيده كذب ووعدّه  
بيننا يودك رأى عيبتك إذ بدالك منه صدّه  
وتغيرت أخلاقه وأزور ، حتى مال خده

(١) كل حده : ضعف



أنبأنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم  
ابن بشار عن سفيان قال : كان لابن شُرْمَةَ أخ ، فجاءه ، فكتب إليه :  
كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة  
أيام ؛ فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهى النبي صلى الله عليه وسلم ، وغيرهما الذى  
يبدأ بالسلام ، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة ، ومن هجر أخاه سنة  
كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار ، إن لم يتفضل الله  
عليه بغفرته ورحمة ، وغاية ما أبيع من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدنى عبيد الله بن محمد الأعاطى قال : أنشدنى محمد بن الحسن :  
ياسيدى عندك لى مظلمة فاستفت فيها ابن أبى خيثمة  
فإنه برويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمة  
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالرحمة  
إن صدود الخلل عن خله فوق ثلاث ربنا حرمة (١)  
وأنشدنى محمد بن شاه الأبيوردي بالموصل :

ماودنى أحد إلا بذلت له صفو الودعة منى آخر الأبد  
ولا جفاني وإن كنت الحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد  
ولا أتممت على سر قبحت به ولا مددت إلى غير الجليل يدي  
ولا أخون خليلي في خليلته حتى أغيب في الأكفان واللحد  
أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سماعه ،

(١) وفي غير الأصل بعد الأبيات

وأنت منذ شهر لنا هاجر فم نخاف الله فينا فه ؟

قال : جئت يوما إلى أبي على المصرى أسلم عليه ، قال : فبشّ بي واحتملنى في حجره ، ثم قال :

حسبي بوصلك في حياتي لذة ورضيتُ في ذلك المعاد ثوابا  
لو كنت رزقي ما أردتُ زيادة ولقلتُ : أحسن خالقي وأطابا

### ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أبنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حلِيم إلا ذو عَثْرَة ، ولا حَلِيم إلا ذو تجربة » .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر في الضرب الذي ذكرت في كتاب فصول السنن بأن العرب تُضيف الاسم إلى الشيء للقرب من التمام ، وتنفي الاسم عن الشيء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حلِيمًا حتى يكون ذا عَثْرَة نفى النبي صلى الله عليه وسلم اسم الحلِيم عن من لم يكن بذى عَثْرَة ، لنقصه عن الكمال .

فالحلِيم : عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .  
والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت ، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من غفوه إلى مقدرة .

والحلم أجل ما يكون من المقتدر على الانتقام .  
ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا يحيى

ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال : « الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

ألم تر أنَّ الحلمَ رَيْنٌ مسودّ لصاحبه والجهلَ لفره شائن  
فسكر دافئاً للشر بالخير تسرح من الهمة ، إن الخير للشر دافن

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم سُدْ ، لا بالتسرع والشم  
والحلم خيرٌ - فاعلمن - مغبة من الجهل ، إلا أن تشرسن من الظلم<sup>(١)</sup>

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فأرض بما حمّ من قضاء يصبك من ذلك الخير  
وعش حيداً ، رخي بال ما زانك الحلم والوقار

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من نفاسة اسم « الحلم » وارتفاع قدره ، أن الله جل وعلا تسمى به ، ثم لم يُسمَّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه ، حيث قال : ( ٩ : ١١٤ ) إن إبراهيم لأواة حلیم ) وقال : ( ٣٧ : ١٠١ ) فبشرناه بسلام حلیم )<sup>(٢)</sup> .

(١) يعني أن الظالم المعتدي لا يناسب الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالشراسة التي تردعه .

(٢) هذه الآية من سورة الصافات ، والسياق فيها واضح جداً بأنه إسماعيل ، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة التديع وصبره وأبيه ورضاهما التام عن ربهما وأمره ونجاحهما في هذا البلاء العظيم قال تعالى ( ٣٧ : ١٠٩ - ١١٣ ) سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين )

ولو لم يكن في الحلم خصلة محمد إلا ترك الكتاب المعاصي ، والدخول في  
المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى  
استماله سبيلا .

والحلم : سَجِيَّة ، أو تجربة ، أو هما .

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي .  
حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان .  
يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

صافي الصديق يؤدّه وإذا دنا شبراً فزده  
والحلم إذا نطق النفسه ، فمن يُردّ جهلاً يحجمه  
أنا أنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة .  
عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ،  
وإنما الحلم بالتعلم ، ومن يتوخّ الخير يُعطه ، ومن يتوق الشر يُوقه » .  
وأنشدني الكريزي :

إذا أنا كافيت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثله إذ أحاوره ؟  
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش على ، فإني بالتعلم قاهره  
أنا أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان  
ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلاً كتب إلى أخ له :  
اعلم أن الحلم لبس العلم فلا تغرّن منه .

= والمعجب العاجب أن يخفى هذا على ابن حبان وغيره حتى يقولوا : إن الديبج  
إسحاق ، مقلدين في ذلك من غير بيان حجة ، ثم غافلين عن النصوص القرآنية الصريحة ،  
وبالأخص في هذه السورة بهذا السياق البين .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صعب ذلك عليه فليتحاكم ، لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم الثبوت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحلّم عن لم يؤذِهِ ؛ فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر المازني عن وهب بن منبه أنه قال : يا بني لا تجادل العلماء فتهون عليهم فيرفضوك ، ولا تمارين السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، فإنه يلحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسبن أنك إذا ماريت الفقيه إلا زدته غيظاً دائياً ، ولا تحمين من قليل تسمعه فيوقعك في كثير تكرهه ، ولا تفضح نفسك لنشئ غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فلينفعن إياك حلمك ، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرك ، وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعتف عن ظلمك ، وانفع من لم يضرعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى حياء ، ولم يغفر لأخرق مذنب  
فلم يصطنع إلا قليلاً صديقه ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب  
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن قيت مشاعراً لا تجربن مع اللثيم إذا جرى  
من يشتري عرض اللثيم بعرضه يحوى الندامة حين يقبض ما اشتري

أبنا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم  
ابن رستم قال: سمعت ابن المبارك يقول: دعانا عبد الله بن عون إلى طعامه، فكنا  
نأكل، فجاءت الخادم ومعهما صحيفة فعثرت في ثوبها، فسقطت الصفحة من يدها  
فقال لها ابن عون: مَرَسَ آزادي<sup>(١)</sup>

حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا الفلاحي، حدثنا ابن عائشة قال: قال محمد بن  
السدي لآبنة عروة، لما ولي اليمن: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى  
الأرض تحتك، ثم عَظَّمْ خالقهما.

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على العاقل، إذا غضب واحتدَّ أن  
يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرمانه، ثم يحلم،  
ولا يخرج غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي.

والناس على ضروب ثلاثة: رجل أعزُّ منك، ورجل أنت أعزُّ منه، ورجل  
ساواك في العز؛ فالتجاهل على من أنت أعزُّ منه لزوم، وعلى من هو أعزُّ منك  
جَنَفٌ، وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكليين، ونقار كنفار الديكين،  
ولا يفرقان إلا عن الخدش والتقرُّ والهَجَر، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك  
التحالم إلا من سفهين، ولقد أحسن الذي يقول:

ما تَمَّ حلمٌ ولا علمٌ بلا أدبٍ      ولا تجاهلٌ في قوم حليانٍ  
وما التجاهلُ إلا ثوبٌ ذى دنسٍ      وليس يلبسهُ إلا سفهانٍ  
وأشدنى ابن زنجي البغدادي:

وما شيء أسرُّ إلى لثيمٍ      إذا شَمَّ الكرام من الجواب  
مشاركة اللثيم بلا جواب      أشدُّ عليه من مرِّ العذاب

(١) معناه بالفارسية: لا تخافي، أنت حرة.

وأنشدني الكريزي :

تجرد ما استطعت من السفه بحسن الحلم ، إن العز فيه  
فقد يعصى السفه مؤديه ويُثَرِمُ باللجاجة منصفه <sup>(١)</sup>  
تلين له فيغايظ جانباه كعبر السوء يرمح عافيه <sup>(٢)</sup>  
أنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسن بن محمد الأزدي الكوفي ، حدثنا  
عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد ، ورجل  
يشكو رجلا عنده ، قال لي كذا ، وفعل لي كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك  
فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ماضٍ شيء إلى شيء هو أحسن من حلم إلى علم ،  
وما عُدِمَ شيء في شيء هو أوحش من عدم الحلم في العالم ، ولو كان للحلم أبوان  
لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يُدفع العاقل إلى الوقت بعد  
الوقت إلى من لا يرضيه عنه الحلم ولا يقنعه عنه الصنع ؛ حينئذ يحتاج إلى سفه  
ينتصر له ؛ لأن ترك الحلم في بعض الأوقات من الحلم .

ولقد حدثني محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن  
ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ، أن رجلا استطال على  
سليمان بن موسى ، فسكت له سليمان وانتصر له أخوه ، قال : فقال مكحول : ذلٌّ  
من لا سفه له .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن  
ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لـشيطان الطاق <sup>(٣)</sup> : ما تقول في المنعة ؟

(١) أبرمه باللجاجة : أي غاظه بكثرة الماحلة والتأدي في السفه والجهل . ولج في  
الأمر : أوغل فيه وزاد . (٢) العبر : الحمار ، ورمح : يعني رفس .  
(٣) شيطان الطاق : شاعر رافض مشهور .

قال : حلال ، قال : فيسرك أن أملك تزوجت متعة ؟ فسكت عنه ساعة ، ثم قال :  
يا أبا حنيفة : ماتقول في التبيذ ؟ قال : حلال ، قال : وشربه وبيعه وشراؤه ؟  
قال : نعم ، قال : فيسرك أن أملك تباذ ؟ قال : فسكت عنه أبو حنيفة .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعدا      وخبرت : أتى شئت ، فالحلم أفضل  
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفنا      ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا أمن الجهل جهلك مرة      ففرضك للجهل غم من الغم  
فم عليه الجهل والحلم والقه      بمرتبة بين العداوة والسلم  
فيرجوك تارات ، ويخشاك تارة      وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم

حدثنا محمد بن عثمان العقي ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا  
أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : لا حلم لمن لا جاهل له .  
وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قال  
المامون : يحسنُ بالملك الحلم عن كل أحد ، إلا عن ثلاثة : قادح في ملك ، أو  
مذيع لسر ، أو متعرض لحرمة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحلم على ضربين :

أحدهما : ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها عباده  
فيصبر العاقل تحت ورودها ، ويحلم عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل .  
والآخر : ما يرد على النفس بضد ما تشتهي من المخلوقين ، فمن تعود الحلم فليس  
بححتاج إلى التصبر ، لاستواء العدم والوجود عنده .

كما حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم  
الدورقي ، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال : سمعت ابن أبي عتبة يقول :



قيل للأحنف بن قيس التميمي : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم التميمي ، أنه آت وهو محتب ، فقال : ابن أخيك قتل ابنك ! قال : عصي ربه ، وقت عضده ، وقطع رحمه ، جهزوه ، وما حلّ حيوته ، فنه تعلمت الحلم .

حدثنا محمد بن شاذل الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبدة تصيبها المصائب ، فنكر من صبرها ، حتى أصابها مصيبة موجعة ، قصرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : ما من مصيبة تصيبني فأذكر معها النار إلا صارت في عيني مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلاد الجهمي ، حدثنا خالد بن خدّاش ، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مضر قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بُنَى صغير ، فأتاه إخوانه يعزونه وهو في ناحية المسجد ، فقال لهم : تركني حزن يوم القيامة لا آسى على شيء فأتني ، ولا أفرح لما أتاني .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشرمح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنة ، كيف هو ؟ قال : قد سكن علّزُه <sup>(١)</sup> ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

### ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيرة ، حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملكة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى

(٢) العلز - محرّكة - قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمختضر .

حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَنْ مُنِعَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ مُنِعَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك المجلة والمخلة فيها : إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يُحِبُّ إلا بمقارنة الرفق ومفارقة المجلة.

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

الرفق مما سيقى اليَمَنَ صاحبه      والخرق منه يكون العنف والزلل  
والحزم أن يتأني المرء فرصته      والكف عنها إذا ما أمكنت فقل  
والبرُّ لله خير الأمر عاقبة      والله للبرِّ عونٌ ماله مثل  
خيرُ البرية قولاً خيروهم عملاً      لا يصلح القول حتى يصلح العمل

وأنشدني منصور بن محمد الكريزى :

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه      والخرق أشأم شيء يقدم الرجل  
وذو الثبوت من حمد إلى ظفر      من ركب الرفق لا يستحب الزلل  
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابى ، حدثنا محمد بن خلف البسامى عن أحمد

ابن موسى الأزرق أنه أنشده :

وزن الكلام إذا نطقت ، فإنما      يبدى القول أو العيوب المنطق  
لا أفتنك ناويا في غربة      إن الغريب بكل سهم يُرشق  
لو سار ألف مدحج في حاجة      لم يقضها إلا الذى يترفق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق في الأوقات ، والاعتدال في الحالات ؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيما يجب

من المطلب عجيز ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ، ولا دليل أمهر من رفق ،  
كما لا ظهير أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفي الاحتراز ترجى  
السلامة ، وفي ترك الرفق يكون الخرق ، وفي لزوم الخرق تخاف المهلكة .  
ولقد أنشدني الأبرش :

عليك بوجه القصد ، فاسلك سبيله      ففي الجور إهلاك ، وفي القصد ملك  
إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها      تُحمّلها ما لا تطيق قهرها  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الراجح لا يكاد يسبق ، كما أن العجل لا يكاد  
يتأخر ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم ،  
والعجل يقول قبل أن يعلم ، ويحجب قبل أن يفهم ، ويحمد قبل أن يُجرب ،  
ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قبل أن يفكر ، ويمضي قبل أن يعزم ، والعجل تصحبه  
الندامة ، وتعتزله السلامة ، وكانت العرب تسمى العجلة أم الندامات .  
ولقد أنشدني بعض أهل العلم :

العجز ضرٌّ ، وما بالخزم من ضرر      وأحزم الخزم سوء الظن بالناس  
لا تنرك الخزم في أمر تحاذره      فإن أمنت فما بالخزم من بأس  
أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا القلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال :  
كان يقال : لا يوجد المجول محموداً ، ولا المضروب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ،  
ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان .  
وأنشدني محمد بن عبد الله البندادي :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابيه      نصّبت ، حتى لا ترى فيه مُرتقى  
وإن الذي يسطّده التمعن إن عتا      على التمعن كان التمعن أعتى وأضيقا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العجلة تكون من الحدة ، وصاحب العجلة  
إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، والعجل لا يسير

إلا منا كبا للقصـد ، منحرفا عن الجادّة ، يلتصـص ما هو أنكد وأوعر وأخفى مسـكرا ، يحكم حكم الوـرّهاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا مهدي بن سابق قال : قال خالد بن برمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللّـجاجة ، والمُـجب ، والتوانى ، فثمرة العجلة الندامة ، وثمرّة اللّـجاجة الحيرة ، وثمرّة العجب البغضة ، وثمرّة التوانى الدل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل بعد التأمّن فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجل محموداً أبداً ، والماعقل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السعى ، فيتجنبهما معاً ، ويجعل لنفسه مسلكاً بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثني إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت الشمرى يقول : فكح العجز التوانى ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب النجاح ترك التوانى ، ودوام الحرمان الكسل ؛ لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التوانى والعجز أنتجت الملكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ ، والرشد من رشـد عن العجلة ، والخائب من خاب عن الأناة ، والمجل مخطيء أبداً ، كما أن المثبت مصيب أبداً .

وحدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا محمد بن الحسن المصرى حدثني نعم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه في الثانى « أما بعد ، فإن التفهم في الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرقى

يضره الخرق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني - أو قال : المعالي - ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حله جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

بُنِيَ ، إِذَا مَاسَاكَ الضَّرْفَاتُ نِدْ فَالْزَقُّ أُولَى بِالْأَرِيْبِ وَأَحْرَزْ  
فَلَا تَحْمِلْ عِنْدَ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا فَقَدْ يُوْرُثُ الذِّلَّ الطَّوِيلُ التَّعَزُّزْ

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكرم بن صيفي : ما يسرنى أني نزلت بدار معجزة فأسمنت وألبنت<sup>(١)</sup> . قيل له : لم ؟ قال : لأنني أخاف أن ألتخذ المعجز عادة .

أنشدني المنتصر بن بلال :

وَعَلَيْكَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ صَمُوءَةٌ وَالرَّفْقُ لِلْمُسْتَصْعِمَاتِ مَدَانِ  
وَبِحَسَنِ عَقْلِ الْمَرْءِ يَثْبُتُ حَالُهُ وَعَلَى الْمَقَارِسِ تَشْرُ الْعِيدَانِ  
حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ حَدَّثَنَا مَهْدِي بْنُ سَابِقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : شَهِدَ أَعْرَابِيٌّ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ بِشَهَادَةٍ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : كَذَبْتَ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنْ الْكَاذِبَ لَلْمُتَزَمِّلِ فِي ثِيَابِكَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَعْبَلُ .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصاري أنبأنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر

(١) أسمنت : صرت ذا سمن ، وألبنت : صرت ذا لبن .

البيان بالسحر : إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته والفصيح  
الذَّربُ اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس  
تكون إليه تائقة ، والأعين إليه راققة .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزي النحوي حدثنا عبد الله بن صالح  
حدثنا حبان بن علي قال : سمعت ابن شبرمة يقول : ما رأيت لباساً على رجل أحسن  
من فصاحة ، ولا على امرأة من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيعرب ، فكأن  
عليه الخبز الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم يلحن فكأن عليه أسماً<sup>(١)</sup> ، إن  
أحببت أن يصغر في عينك الكبير ، ويكبر في عينك الصغير : فتعلم النحو .  
وأنشدني الكريزي :

أكرم بذى أدب ، أكرم بذى حسب	فإنما العزم في الأحساب والأدب
والناس صنفان : ذو عقل ، وذو أدب	كمدن القضة البيضاء والذهب
وسائر الناس من بين الوري همج	كانوا ، وإلى ، أو كانوا من العرب

وأنشدني الباسي :

ليس المسود من بالمال سودده	بل المسود من قد ساد بالأدب
لأن من ساد بالأموال سودده	مادام في جمع ذا الأموال والنشب
إن قل يوماً له مال يصير إلى	هون من الأمر في ذلك وفي تعب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل وأحسن  
إزار يترز به العاقل ، والأدب صاحب في الغربة ، ومؤنس في القلة ، وزين في  
المحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حديثه  
انتفع به في كبره : لأن من غرس قسيلاً<sup>(٢)</sup> يوشك أن يأكل رطبها ، وما يستوى  
عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجبى ؛ رجلا : أحدهما يلحن ،  
والآخر لا يلحن .

(١) الأسمال : الثياب البالية . (٢) القسيل : صغار النخل .

وثقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود حدثنا  
عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قتيبة قال : كنت عند  
ابن هبيرة فخرى الحديث ، حتى ذكروا العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان  
حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن  
أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال فقلت : أصلح الله الأمير ! هذا  
أفضل في الدنيا تفضل فصاحته وعريته ، أرايت الآخرة ما باله فضل فيها ؟ قال :  
إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذي يلحن يحمله لحسه على أن يدخل في  
كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال قلت : صدق الأمير وبراً !  
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فخرًا بالنسب      إنما الناس لأم ولأب  
هل تراهم خلقوا من فضة      أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟  
أو ترى فضلهم في خلقهم      هل سوى لحم وعظم وعصب ؟  
إنما الفضل بحلم راجح      وبأخلاق كرام وأدب  
ذاك من فخر في الناس به      فاق من فخر منهم وغلب  
وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام  
مسجد مكة :

ما حلة نسجت بالدُّر والذهب      إلا وأحسن منها المرء بالأدب  
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أحمد بن محمد المسروقي حدثنا محمد بن  
الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن  
أبيه قال : قال لي رجل من حكماء القرس : أقرب القرابة المودة الدائمة ، وأفضل  
ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع ،  
والحرص عندي خير من البيان بالكذب ، كما أن الحصور خير من العاهر .

فيجب على العاقل أن يذكي قلبه بالأدب ، كما يذكي النار بالخطب ؛ لأن من لم يذكي قلبه رانَ حتى يَسْوَدَّ ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذ المهاراة عُدَّةً ، ولا المهاراة ملجأً ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستمع به على ما يقربه إلى بارئته .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدبُ المرء كلهم ودمٍ ماحواه رجل إلاَّ صلحُ  
لو وزتم رجلاً ذا أدبٍ بالوف من ذوى الجهل رجح  
أنيانا أحمد بن بشر الكرجي حدثنا عمود بن الخطاب حدثنا رُسَيْمَةُ  
عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما ندمت على شيء  
ندمتني أني لم أنظر في العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول : سمعت ابن أخي  
الأصمعي يقول : سمعت عمي يقول : تعلموا النحو ، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة  
واحدة ، كانت مشددة فحنفوها ، قال الله « يا عيسى إني ولدتك » فقرأوا يا عيسى  
إني ولدتك تخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح  
حدثنا أبو زيد النحوي قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول في رجل  
ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟  
فقال : الحسن فما لأبيه ولأخيه ؟ فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من  
أجل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل  
الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحماس ؛ لأن حسن الأدب  
خلف من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا البلاغة



إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحمد الفصاحة للاقتدار عند البداعة  
والغزارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل الروزي يقول : سمعت أبا داود السنجي  
يقول : سمعت الأصمعي يقول : ليست البلاغة بحفة اللسان ، ولا كثرة التهدين ،  
ولكن بإصابة المعنى والتقصيد إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالتقوى  
المجذع ، ولا البدوى للمرب .

وأشدني الكريزي :

ولم أر فضلاً ثمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلاً صح إلا على أدب  
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي قال : قال  
المدايني : ذكر عند علي بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إني لأكره  
أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه  
فاضلاً على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزبرجدا الأخضر  
والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخرف  
والحجر والتراب والمدبر ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل  
العلم ؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وخوضهم في أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنجي أو  
حدثني سهل بن هاني عنه ، قال : سمعت الأصمعي يقول : إن أخوف ما أخاف  
على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
« مَنْ كَذَبَ عَلَى تَعَمُّدٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم  
يكن لحائاً ، ولم يلحق في حديثه ، فها رويت عنه ولحق فيه كذبت عليه .

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

لبس الفتي كلُّ الفتي إلا الفتي في أدبه  
وبعض أخلاق الفتي أولى به من نسبه  
حَتَفُ امرئ لسانه في جدّه أو لعبه  
بين اللهَيِّ مقتله رُكِبَ في مركبهِ

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران يتسّتر يقول : سمعت عثمان بن خرّزادٍ يقول : سمعت علي بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الدابة عليها الخلالة ، ليس فيها شيء .

### ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسرّ جسن  
حدثنا جدي حدثنا ابن المبارك أنبأنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن  
أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « يا عمرو إِمَّا المال الصالح للرجل الصالح » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 بإباحة جمع المال من حيث يجب ، ويحل للقائم فيه بحقوقه ، لأن في تقريره  
الصالح بالمال والرجل معاً بياناً واضحاً ، لأنه إنما أباح في جمع المال الذي  
لا يكون محرّماً على جامعِهِ ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد  
ذكرت هذه المسألة بتمامها بالعلل والحكايات في كتاب « الفضل بين الفنى والفقر »  
بما أرجو الفنية فيها لمن أراد الوقوف على معرقتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها  
في هذا الكتاب .

أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

إذا كان ما جمعت نيس بنسافع      فأنت وأقصى الناس فيه سواء  
على أن هذا خارج من أئامه      وأنت الذي تجرى به وتساء  
أنياناً محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا  
أبو عباد حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث  
عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : عليكم  
بالمال واصطناعه فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، ولا لكم ومدالة  
الناس ؛ فبينما آخر كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من أحسن ما ينفع المرء [ به ] في عمره وبعد  
المات تقوى الله والعمل الصالح .

فأوجب على العاقل أن يعمل في سبابه فيما يقيم به أودّه ، كالشيء الذي  
لا يفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشيء الذي لا يجده غداً ، وليكن تعاذه  
لما لا يصلح به معاشه ، ويصون به نفسه ، وفي دينه ما يقدم به لآخرته ، ويرضى  
به خالفه ، والعاقة خير من الغنى بالحرام ، والغنى الذي لا مروءة له أهون من  
الركب ، وإن هو طوّق وخُذِل .

حدثني محمد بن عثمان العقي حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثني أبي  
حدثني عيسى بن يونس عن محمد بن سُوقة عن محمد بن المنكدر قال : نعم العون  
على تقوى الله الغنى .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أرى كل ذي مال يسود بحاله      وإن كان لا أصل هناك ولا فصل  
وآخر منسوباً إلى الرأي خملًا      وأنوك مجهولاً ، له الجاء والنبل  
فلا ذا بفضل الرأي أدرك بُلغة      ولم أر هذا ضرء النوك والجمل  
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ليحيى بن أكرم :

إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ بَهَاوُهُ      وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسِوَاهُ  
وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي ، وَإِنْ كَانَ حَازِمًا      أَقْدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاوُهُ  
وَلَمْ يَمُضْ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَاسِعٍ      مِنَ النَّاسِ إِلَّا ضَاقَ عَنْهُ فِضَاوُهُ  
وَأَصْبَحَ مُرْدُودًا عَلَيْهِ مَقَالُهُ      وَكَانَ بِهِ قَدْ يَقْتَدِي خُطْبَاوُهُ  
وَإِنْ يَبْقَى لَمْ يَضُرَّ عَدُوًّا بَقَاوُهُ      وَإِنْ يَنْقُصَ لَمْ يَفْقِدْ خَيْرَ فَنَاوُهُ

حدثني محمد بن المهاجر حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي  
شيخ حدثني الزبير بن قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مسلمة وهو يغرس  
وَدِيًّا<sup>(١)</sup> . فقال : ما تصنع يا ابن مسلمة ؟ قال : ما ترى ، أستغني عن الناس ، كما  
قال صاحبكم أحيعة بن الجلاح :

اسْتَغْنِ ، أَوْمَتْ ، فَلَا يَفْزُكَ ذَوْشَبٍ      مِنْ ابْنِ عَمٍّ ، وَلَا عَمٍّ ، وَلَا خَالٍ  
إِنِّي أَظَلُّ عَلَى الزُّورَاءِ أَغْمَرَهَا      إِنْ الْحَبِيبَ إِلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ  
أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى  
عَبْدِ اللَّهِ الْمُبَارَكِ ، وَهُوَ يَبْكِي ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ : بَضَاعَةٌ لِي  
ذَهَبْتُ ، قَالَ : قُلْتُ : أَوْ تَبْكِي عَلَى الْمَالِ ؟ قَالَ : إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ دِينِي .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان في غناه عفيفاً ،  
وفي مسكنته قنعاً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بُدًّا من ترك الحياء ، والفقر  
يُذهِبُ الْعَقْلَ وَالْمُرُوءَةَ ، وَيُذهِبُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، وَكَأَدِ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا ،  
وَمَنْ عُرِفَ بِالْفَقْرِ صَارَ مُعَدِّنًا لِلتَّهْمَةِ ، وَجَمْعًا لِلْبَلَايَا ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَرْزُقَ الْمَرْءَ قَلْبًا  
نَقِيًّا قَنَعًا ، يَرَى الثَّوَابَ الْمُدَّخَرَ مِنَ الضَّجَرِ الشَّدِيدِ ، فَيُفِئِذَ لَا يَبَالِي بِالْعَالَمِ بِأَسْرِهِمْ

(١) الودي - بفتح الواو وكسر الهمزة - صغار النخل ، واحدته ودية -

والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المسكينة ، كما أن الغنى داعية إلى المهابة ، ولقد أحسن الذي يقول :

يَغْطِي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله      وَصُدِّقَ فيما قال ، وهو كذوبُ  
وَيُزْرَى بعقل المرءِ قِلَّةُ ماله      يُحْمَقُهُ الْأَقْوَامُ وهو لييبُ  
أُنْبَأْنَا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي حدثنا النضر بن قادم حدثنا حماد بن زيد  
عن أيوب قال : قال لي أبو قلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ؛ فانك لا تزال كريما  
على إخوانك ما لم تحتاج إليهم .

وَأُنشَدَنِي العقبى أنشدني محمد بن خلف التيمي بالكوفة :  
كَأَنَّ مُقِلًّا حِينَ يَغْدُو لِحَاجَةٍ      إِلَى كُلِّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَذْنِبُ  
وَكَانَ بَنُو عَمِي يَقُولُونَ : مَرْحَبًا      فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْدِمًا مَاتَ مَرْحَبُ  
وَأُنشَدَنِي الكريزي :

لَعْمَرِكَ ، إِنْ السَّالَ قَدْ يَحْمِلُ الْفَتَى      نَسِيْبًا ، وَإِنْ الْفَقْرَ بِالْمَرْءِ قَدْ يُزْرَى  
وَلَا رَفَعَ النَّفْسَ الدَّنِيئَةَ كَالْفَتَى      وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ  
حدثنا محمد بن يحيى العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن  
زيد حدثنا أيوب قال : قال لي أبو قلابة : الزم السوق ؛ فإن الغنى من العافية .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس خلة هي للفتى مدح إلا وعى للفقير عيب ؛  
فإن كان الفقير حلما قيل : بليد ، وإن كان عاقلا قيل : مكار ، وإن كان بليغا  
قيل : مهذار ، وإن كان ذكيا قيل : حديد ، وإن كان صموتا قيل : عَمِيٌّ ، وإن  
كان متسائلا قيل : جبان ، وإن كان غارما قيل : جرىء ، وإن كان جوادا  
قيل : مسرف ، وإن كان مقدرا قيل : ممسك .

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحيل وأنفق فيما لا يحسب ، ووجوده

وعنده ليسا بتجلد ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم<sup>(١)</sup>  
ولقد أنشدني الأبرش :

يشقى رجالٌ ، ويشقى آخرون بهم      ويسعدُ الله أقواما بأقوام  
وليس رزق الفتى من حسن حيلته      لكن جُود بأرزاق وأقسام  
كالصيد يُحرّمه الراعي المجيد ، وقد      يرى يُدرّنه من ليس بالراعي

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا  
أحمد بن نصر العدني حدثنا النذني قال : قال أبو قيس بن معدى كرب ، وكان  
له أحد عشر ذكرا : يا بني ، اطلبوا هذا المال أجل الطلب ، واصرفوه في أحسن  
مذهب ، صلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقوام ، واجعلوه حنة لأعراضكم  
تحسن في الناس قائلكم ، فإن جمعه كالآدم ، وبذله كاللوة حتى إنه  
ليسود غير السيد ، ويقوى غير الأيد ، وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبيها ،  
وفي أعينهم مهيبا . ومن جمع مالا فلم يصن عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس  
عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحا نسبوه إما إلى عرض  
دنية ، وإما إلى كوس<sup>(٢)</sup> لنيم حتى يهجنّوه .

(١) فإذا كان كذلك فما بال أبي قلابة يقول « الزم سوقك فإن النقي من  
العافية » ؟ نعم هوهبة من الخلاق العليم ، ولكن الخلاق العليم هو سبحانه  
الخير الحكيم ، الذي جعل لكل شيء سببا ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بأسباب  
ماسخر له في السموات والأرض ، متوكلا على الله ، شارعا إليه أن يديم عليه التوفيق  
لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتدبير لها ، وشكرها لمسيبها ، والله يقول ( من  
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون )

(٢) في اللسان : لاصه بعينه لوصا ، ولاوصه : طالعه من خلل أو ستر . وقبله :  
الملاوصة النظر بمنة وسيرة ، كأنه يروم أمرا — إلى أن قال — والإنسان بلاوص =

حدثنا مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجل صوتا في غمام : اذهبي إلى أرض فلان ، فاسقيه قال : فقال الرجل : لآتين فلانا هذا فلأنظرون ما يعمل في أرضه ، فأتاه وقد مُطر فيها وهو قائم يفتح الأوعى ، فسلم عليه ، وقال : يا عبد الله ، أخبرني ما تعمل في أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثني إلى أرض له يراوان أعمل فيها مثل ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن شر المال ما لا يُخرج منه حقوقه ، وإن شرا منه ما أخذ من غير حقه ، ومنع من حقه ، وأغلق في غير حله ، واستنار المال قوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالحا كان أو طالعا .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نعم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فإن كنت في خير ، فلا تقدر به      وأصك قل : اللهم سَلِّمْ وتعم  
فمن لم يقص عِرْضا إذا ما استفاده      ويشكر لأهل الخير يسأب ويذمم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا العلاءي أنشدنا مهدي بن سابق :

وَرُبَّ مُمْلِكٍ مَالَا كَثِيرَا      وَلَكِنْ حَظَّهُ مِنْهُ قَلِيل

== الشجرة إذا أراد قلعها بالهائم ، فتراه يلاوص في نظره بمنة وسرة كيف يضربها ، وكيف يأتيها ليقتلعها .

يعيش بفضل هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول  
له منه الذي يحيا عليه بعيشته ، وسائر فضول  
حدثنا أحمد بن الحسين الحرازي - بالموصل - حدثنا أحمد بن سنان القطان  
حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب  
قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات في كتاب  
« السخاء والبذل » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

### ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي وعبد الله بن محمود بن سليمان  
السعدي قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العتكي حدثنا مسلم بن خالد الزنجي  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه  
وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر  
بأن المروءة هي العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .  
فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال الحمودة ،  
وترك الخلال المذمومة .

وقد نبهت نابتة اسكلوا على آياتهم ، واتكلوا على أجدادهم ، في الذكر  
والمروءات ، وبعثوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدني منصور بن محمد في ذم من هذا نعتة :

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ ورث المروءة عن أبي ، فأضاعها



أمرته نفس بالمناة والخصا ونمته عن طلب العلى فأطاعها  
عإذا أصاب من الأمور عقيمة بينى الكريم بها المروءة بإعها  
وأنشدنى محمد بن إسحاق :

خاسة أخلاق الرجال كشيئهم وقل غناء عنهم النسب المحض  
يصولون بالآباء فى كل مشهد وقد غيّت آباءهم عنهم الأرض  
طويل تبديهم بمجد أيهم ومالم فى المجد طول ولا عرض  
وأنشدنى الحسين بن أحمد البغدادي :

ليس الكريم بمن يُدسّ عرضه ويرى مروءته تكون بمن مضى  
حتى يشيد بقاءه بينانه ويزين صالح ما أتوه بما أتى  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : مارأيت أحدا أخسر صفقة ، ولا أظهر حسرة ،  
لا أخيب قصدا ، ولا أقلّ رشدا ، ولا أحقّ شعرا ، ولا أدنس دثرا ، من  
لقتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد  
شباههم ، متوهمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيهات ! أتى  
سود المرء على الحقيقة إلا بنفسه ؟ وأتى ينبل فى الدارين إلا بكده ؟

ولقد أنشدنى البسامى :

وكم قائل : إني ابن بيت ، هو ابنه وقد هدم البيت الذى مات عامرة  
غأودى عموداه ، ورثت حباله وأصلح أولاه ، وأفسد آخره

وأنشدنى الأبرش :

فإن قلت : لى آباء صدق ومنصب كريم وإخوان مضت وجلود  
صدقت ، ولكن أنت هدمت ما بنوا بكفك عمدا ، والبناء جديد

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إن لم تكن بفعل نفسك سامياً لم يكن عنك سموٌ من تسمو به  
ليس القديم على الحديث تراجع إن لم تجده آخذاً بنصيبه  
ولربما اقترب البعيد بوجه وغداً القريب مباعداً لقربه  
أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود السنجي حدثنا  
عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لا دين إلا بمروءة .  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلف الناس في كيفية المروءة :  
فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوان أبيه ، وإصلاحه ماله ،  
وقعوده على باب داره .

ومن قائل قال : المروءة إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .  
ومن قائل قال : المروءة تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والعشاء  
في الألفية .

ومن قائل قال : المروءة إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو  
فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .

ومن قائل قال : مروءة الرجل صدق لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ،  
وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفّه الأذى عن أباعده وجيرانه .

ومن قائل قال : إن المروءة التباعد من الخلق الذي فقط :

ومن قائل قال : المروءة أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان قريباً  
كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والابقاء  
على نفسه في مطعمه ومشربه .

ومن قائل قال : المروءة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء  
ما يعاب منه .

ومن قائل قال : المروءة سخاوة النفس ، وحسن الخلق .

ومن قائل قال : المروءة العفة والخرفّة ، أى يَعتُ عما حرم الله ، ويحتف فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة كثرة المال والولد .

ومن قائل قال : المروءة إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة حسن الخيلة فى المطالبة ، ورقة الظرف فى الكتابة .

ومن قائل قال : المروءة اللطافة فى الأمور ، وجودة الفطنة .

ومن قائل قال : المروءة مجانبة الريبة ؛ فإنه لا ينبل صريب ، وإصلاح المال ؛ فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بحوائج أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال : المروءة النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة الفصاحة والسماحة .

ومن قائل قال : المروءة طلب السلامة ، واستعطاف الناس .

ومن قائل قال : المروءة مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : المروءة التذلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالتفرق .

ومن قائل قال : المروءة ملاحاة الحركة ، ورقة الطبع .

ومن قائل قال : المروءة هى المفاكمة ، والمياسمة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس

قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان ؛ فالفعل مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح

فى غير مسأخط الله

وأما سرودة الحضر فلا إيمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ،  
وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة ومعاني  
ما قالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندي خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعل ،  
واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتیان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعمالهما هو  
العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن سرودة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .  
واقعد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

احتل لنفسك أيها المحتالُ      فمن المروءة أن برى لك مالُ  
كم ناطق وسط الرجال ، وإنا      عنهم هنالك تكلمُ الأموالُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر  
عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رزق ذلك وضنَّ  
ببنداقه في إقامة مروءته فهو الذي خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تقيأه المنية  
فتسلبه عما ملك كريهاً ، وتودعه قبراً وحيداً . ثم يرث المال بعد من يأكله  
ولا يحمده ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟  
واقعد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

يا جامع المال في الدنيا لوارثه      هل أنت بالمال قبل الموت منتفع ؟  
قدم لنفسك قبل الموت في مهل      فإن حظك بعد الموت منقطع

أنيأنا المفضل بن محمد الجندي - بمكة - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري حدثنا  
أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل في

الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجام .  
 حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هشيم  
 عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام .  
 حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا  
 حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن  
 يرجع الرجل على صديقه .

وأنشدني البسامي :

اعلم بأنك ، لا أباك ، في الذي أصبحت تجمعهُ لعيرك خازنُ  
 إنَّ المنية لا تؤامر مَنْ أتت في نفسه يوما ، ولا تستأذن  
 أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان  
 يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوي المروءات  
 تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب .  
 حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن  
 سليمان بن أبي شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال قال معاوية بن  
 أبي سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب  
 المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد  
 المروءات تزدي السكامل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام  
 وأوباش الناس <sup>(١)</sup> .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني بصور ، قال : سمعت طلحة بن إسحاق  
 ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن  
 حكيم الأودي يقول : سمعت شريكا يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام

(١) عربية هذه السكفة « أو شاب الناس » أي أخلاطهم .

سَعَرًا بلا كرنيب<sup>(١)</sup> ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ، وحاجة الشريف إلى الدنى ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الإصطخري حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظره في بيت الحائلك ، وحمله القلوس في كفه »

### باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أنبأنا أحمد بن يحيى بن زهير بن ستر ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، والبخیل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، ولَسَخِيٌّ جَاهِلٌ ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَخِيلٍ عَابِدٍ »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حطام هذه الدنيا القانية ، وعلم زوالها عنه ، وانتقالها إلى غيره ، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة : أن يبلغ بمجوده في أداء الحقوق في ماله ، والقيام بالواجب في أسبابه ،

---

(١) في القاموس : الكرنيب - بالفتح ، ويكسر - المجيع ، والكرنية : إطعامه للضيف ، وأكل التمر باللبن وهذه المعاني لا تناسب ما هنا ، والظاهر أنه أراد إناء يغرف به ، وفي مدينة حلب من سوريات يستعمل هذا اللفظ لإناء على شكل مخصوص معد لغرف الجامدات من بر ونحوه .

مبتغياً بذلك الثواب في العقبى ، والذكر الجليل في الدنيا ، إذ السخاء بحبة ومحمدة  
كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير في انسال إلا مع الخود ، كما لا خير في  
المنطق إلا مع الخبر .

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الجود مكرمة ، والبخل مبغضة لا يستوى البخل عند الله والجود  
والفقر فيه شغوص ، والغنى دعة والناس في المال مرزوق ومحدود<sup>(١)</sup>  
حدثني محمد بن أبي علي أنخلادي حدثنا محمد بن الحسن الدهلي ، حدثنا محمد  
ابن يوسف السدوسي ، حدثنا أحمد بن خالد القمّي ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد  
ابن علي أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنته المهدي : « اعلم أن رضا الناس غاية  
لا تدرك ؛ فتحبب إليهم بالإحسان جهديك ، وتودّد إليهم بالإنفاق ، واقتصاد  
بافضالك موضع الحاجة منهم » .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

أعاذتني اليوم ، ويحك ما مَهْلًا وكُفًا الأذى عني ، ولا تكثرا العذلا  
دعاني تجدّ كفي بما ملكت يدي سأصبح يوما أترك الجود والبخل  
إذا وضعوا فوق الضريح جناذلا عليّ وخلفت الطيبة والرحلا  
فلا أنا مختار إذا ما نزلته ولا أنا لاقى ما نويت به أهلا  
أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبي الزناد عن  
هشام بن عروة قال : كان أبي يقول « ما ليّ قومٌ قطُّ أقاموا على ما عذب »  
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلابي حدثنا بكر بن عامر العتري ، حدثنا هشام  
ابن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « من آتاه الله منكم  
مالا فليصل به القراءة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليتق في العسائي والأسير

(١) المحدود : - بالهاء المهجلة - المنوع من البخت وغيره .

وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على الثابتة : فإن بهذه  
الخلاص ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن  
مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن  
يشعرى عن المنة ؛ لأن من لم يمتن بمعروفه وفقره . والامتنان يهدم الصنائع ، وإذا  
تعمت الصنعة عن إزار له طرفان : أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء .  
كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أنشدني ابن زنجي :

يارب عاذلة في الجود ، قلت لها : قللى ، على الله فيما أنفق الخلقا  
هل من بخل رأيت المال أخذه ؟ أم هل رأيت جوادا ميتا عجفا ؟<sup>(١)</sup>  
لما رأيتى أوتى المال طائبة ولا أبلى تلادا كان أم طرفا ؟<sup>(٢)</sup>  
عدت سماحى تديرا ، ولست أرى ما يكسب الحمد تديرا ولا سرفا

أنبأنا الحسين بن مفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك  
يوما بين إخوانه وأصحاب الحديث ألف درهم ، ثم أنشأ يقول :

لاخير في المال لكتنازه إلا جواد الكف وهابه  
يفعل أحيانا بزواره ما تفعل الخمر بشرايه

حدثني محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السباك ، قال :

يا عجب لمن يشتري المالك بالتمن ، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن خصال المرء الجود من غير  
امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

(١) العجب : المزال (٢) الطريق : نال المستحدث ، وطرف ككرم .



وأصل الجود ترك الضنَّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل عليه في الأكل والشرب واللباس ، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القرابة تبع المودة ، كذلك المحمدة تبع للاتفاق .

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثوري قال : كان يقال : ثلاث هنَّ أحسن شيء فحسن وجدت فيه : نودة في غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونصب لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى بالموصل ، حدثنا محمد بن الصباح الدولابي ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطي خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ؛ فقد استكمل الإيمان .

وأنشدني الكريزي ليحيى بن أكرم :

ويُظهرُ عيبَ المرء في الناس بُخله      ويسفوه عنهم جميعا سخاؤه  
تقطُّ بأثواب السخاء ؛ فإنني      أرى كل عيب والسخاء غطاؤه  
وأنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني لبعض القرشيين :

سأبذلُ مالي كلما جاء طالبٌ      وأجعلُه وقفا على القرض والقرض  
فإما كريما صُنْتُ بالجود عِرْضه      وإما لئبا صُنْتُ عن لؤمه عرضي  
وأنشدني كامل بن مكرم أبو العلاء ، أنشدني هلال بن العلاء بن عمر الباهلي :  
ملأتُ يدي من الدنيا مرارا      فما طمع العواذل في اقتصادي  
وما وجبتُ على زكاة مالي      وهل تجب الزكاة على الجواد ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا ، مَنْ تعلق بفصل من أغصانها جرّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بفصل من أغصانها جرّه إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء .  
والبخل يقال له في أول درجته : البخل ، فإذا عتأ وطغى في الإساءة يقال له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لثيم ، فإذا صار محتج للبخلاء ويعذروهم في فعلهم يقال له : الملائم .

وما أنزّر رجل يآزار أهنتك لعرضه ، ولا أثلم لدينه من البخل .  
ونقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لكلّ هم من الموم سمّة      والبخل واللازم لافلاح سمّة<sup>(١)</sup>  
قد يجمع المال غير آكله      ويأكل المال غير من جمعه  
أقبل من الدهر ما أهلك به      من قرّ عيننا بعينه نفعه  
سمعت الخطابي بالبصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سأل كسرى : أى شيء أضر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضر منه ، إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .  
أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا ابن أبي القعقاع قال قال أبو الهذيل : كنت عند يحيى بن خالد البرمكي ، فدخل عليه رجل هندي ، ومعه مترجم له ، فقال المترجم : إن هذا رجل شاعر ، قد حاول مدحتك ، فقال يحيى : لينشد ، فقال الهندي :

أرّه أصرّه كسكرا كي كره مندرّه

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المسكارم في آفاقنا ذكرت      فإنما بك فيها يضرب المثل

قال : فأمر له بألف دينار .

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر ، وفيها « والنصح والسي لا فلاح معه »

وأنشدني عبد الرحمن بن محمد الفلاني<sup>(١)</sup> :

إذا المرء لم يدأس من اللوم عِرْضَهُ      فكلُّ رِداء يرتديه جميلُ  
إذا قلتَ : لا ، في كلِّ شيءٍ سألته      فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

وأنشدني عمرو بن محمد الأنصاري أنشدني الفلابي أنشدني مهدي بن سابق :

يا مانع المال ، كم تَصْنُ به      تطمع بالله في الخلود معه ؟  
هل حمل المال ميت معه ؟      أما تراه نسيره جمعه ؟

أبناؤنا عمران بن موسى السخيتاني حدثنا سليمان بن معبد المروزي حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن أبي علي الغافقي سمع عامر بن عبد الله اليحصبي قال : كان ابن منبه يقول : أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله ، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس في الدنيا من أبخل بحقوق الله ، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

رب مال سينعمُ الناس فيه      وهو عن ربه قليل الغناء<sup>(٢)</sup>  
كان يشقى به ، وينصب فيه      ثم أضحى لمعشر غرباء  
ماله عندهم جزاء إذا ما      نعموا فيه غير سوء الثناء  
رب مال يكونُ ذمّاً وغماً      وغنى يعد في الفقراء

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصغير المدائني حدثنا الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : كان أبو حاتم - يعني الطائي - سخيّاً ، وكان يضع الأشياء مواضعها ، وكان حاتم مبذراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكا إليهم حاتم ، قال : والله ما أدرى ما أصنع ، لا يأخذ شيئاً إلا بدّره ، فاجتمع رأيهم على أن

(١) أوله هذين البيتين وعجز ثانيهما في كلمة مشهورة للسعوي بن عادياء

(٢) الغناء بالفتح والند : النفع

لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يمكنه من شيء سنة ، مع ما هو فيه من الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أي بني ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أباي لقد بلغ الجوع مني شيئاً لا يسألني أحد شيئاً إلا أعطيته إياه .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

نجدُ بالمال على وارث ولا ترى أهلاً له نفسكا  
قدّم حسن الظن بالله من جاد ، وسوء الظن من أمسكا

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الثعلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يمثل بهذا الشعر ويعجبه :

وما تزود مما كان يجمعه إلا حنوطاً غداة البين مع خرق  
وغير تفحة أعواد تُشدُّ له وقلاً ذلك من زادٍ لمنطلق

أنبأنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب القنبري حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتوى عنباً في غير زمانه ، قال : فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشترى سبع حبات بدرهم ، فجاء سائل فامر له به ، ولم يذقه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود وأثرر بإزار ترك الأذى إلا رأساً أشكاه وأضداده ، وخضع له النخاس والعام ، فمن أراد الرفعة العالية في العقبى ، والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فليزِم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى النخاس والعام ، ومن أراد أن يهتك عرضه ، ويثلم دينه ، ويمسكه إخوانه ، ويستثقله جيرانه ، فليزِم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا : فنه  
ما أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

كأنما نُقِرَتْ كَفَّاهُ من حجر فليس بين يديه والنَّدَى عملُ  
يرى التيمم في بحر وفي بلد مخافة أن يرى في كفِّه بللُ  
وأنشدني عمرو بن محمد أنشدني العلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

لو أن دارك أنبت لك ، واحتشَّتْ إبراً يضيق بها فناء المنزل  
وأناك يوسفُ يستعيرُك إبرة ليخيط قدَّ قيصه لم تفعل  
وأنشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وكفَّاكَ لم يخلقا للنَّدَى ولم يك يخلها بدُّقه  
فكفَّ عن الخير مقبوضة كما حط من مائة سبعة<sup>(١)</sup>  
وأخرى ثلاثة آلافها وتسع مثيها لها شِرْعَه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت محمد بن صالح الوردكاني  
يقول : قيل للنضر بن شميل : أي بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذي  
يقول :

قلو لم تكن في كفِّه غيرُ روحه لجاذ بها ، فليثق الله سائله  
قال : وأي بيت قالته العرب أجمل ؟ فقال :

لو جُمِلَ الخردلُ في كفِّه ماسقطت من كفِّه خردلُه  
قال : وأي بيت قالته العرب أجهى ؟ قال :

العَجْرَفِيُّونَ لا يوفون ما وعدوا والعَجْرَفِيَّاتُ ينجزن المواعيدا  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالساحة ،

أن لا يعرف بالبخل ، كما لا يجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجليل ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بأس الشعار في الدنيا والآخرة ، وشر ما يُدَّخر من الأعمال في العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة حدثنا أبو عتبة المحصى أحمد بن القرج حدثنا ضمرة حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أف للبخل ، والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العباس بن بكار الهذلي قال : قال الحسن : من أيقن بالتخلف جاد بالعطية .

### ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبري حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهاني - بالري - حدثنا يحيى بن ضريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجيبوا الداعي ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين»

قال أبو حاتم رضي الله عنه : زجر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردّها ، ثم يثيب عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإني لأستحب للناس بمثل الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة ، وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أنبأنا الليث قال : سمعت عبد الملك بن رفاعة القهسي يقول : الهدية هو السحر الظاهر .

حدثني إبراهيم بن أبي أمية بطرسوس حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان قال : لما قدم أبو حنيفة قال للناس مساور أوراق :

كنا من الذين قبل اليوم في سعة      حتى بلينا بأصحاب المقاييس  
قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم      ثعالب صبحت بين النواويس

قال : فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فبعث إليه بمال ، فقال مساور حين قبض المال :

إذا ما الناس يوما قايسوا      بأبدية من الفتيا طريفة  
أتيناهم بمقياس صحيح      مصيب من طراز أبي حنيفة  
إذا سمع الفقيه بها وعاما      وأثبتها بحبر في صحيفة

وأنشدني الكريزي :

إن الهدية حلوة      كالسحر تختلبُ القلوبا  
تدني البعيد من الهوى      حتى يصيره قريبا  
وتعيد مضطرب العداوة      بعد بغضته حبيبا  
تنفي السخيمة من ذوى السفسفحة      وتمتحنى الذنوبا

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني - بالكرج - وإبراهيم بن محمد الدستوازي  
بستر قالوا : حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة البكندی حدثنا بكار بن أسود العامري  
حدثنا إسماعيل بن أبان قال : بلغ الحسن بن عمار أن الأعمش يقع فيه ، فبعث  
إليه بكسوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش فقبل له : كيف تدمه ثم تمدحه ؟  
قال : إن خيشمة حدثني عن عبد الله قال « إن القلوب جبلت على حب من أحسن  
إليها ، وبغض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قال لنا هذان الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا أهابه ، قال : والبشر محبوبون على محبة الإحسان ، وكرهية الأذى ، واتخاذ المحسن إليهم حبيباً ، واتخاذ المسيء إليهم عدوا .

فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بحث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إياه ، ويفارق تركه مخافة بغضهم .

ولقد أنشدنى الأبرش :

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا  
وترزع في الضمير هوى وودا وتكسوك المهابة والجلالا  
مصايد للقلوب بنير آتسب<sup>(١)</sup> وتمنحك المحبة والجمالا

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراتي حدثنا موسى بن أيوب حدثنا خدش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين قال : كانوا يتهاذون الدراهم في الجوالقات<sup>(٢)</sup> والأطباق .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاذ القضاء ، ولا يتمنى ضد ما رزق ، وإن كان عنده الشيء النافه لا يجب أن يتنعم من بذله لاستحقاقه واستقلاله ؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والنع ، ومن حقر شيئاً منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلّة في الحالة سيان ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من الفعال .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب عن الأصمعي قال : دخلنا على كهمس العابد ، فجاء بخمسة وعشرين بصرة حمراء ، فقال : هذا الجهد من أخيك ، والله المستعان .

(١) كذا بالأصل واللقب واللقب والتعب

(٢) الجوالقات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جوالق



وأنشدني ابن زنجي :

إن المني عجبٌ لله صاحبها      لعلَّ حَتَفَ امرئٍ فيما تنفاه  
فإن ترى عبراً فيهنَّ معتبرٌ      يجري بها قدرٌ ، فألله أجراء  
لا تحقرنَّ من الإحسان محفرةً      أحسن ، فعاقبة الإحسان حسناء

حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان - بطبرية قصبة الأردن - حدثنا أبو عتبة  
حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضي حدثنا المعافى بن عمران قال : سمعت ميمون  
يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شيء فليوانح أهل القبور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العقيلي  
حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدني ابن المبارك :

ماذا في طعم الفنى من لا قنوع له      ولن ترى قانما ما عاش مفقرا  
والعرف من يأنه يحمده عواقبه      ماضع عُرْف ، ولو أوليته حجرا  
سمعت يوسف بن يونس التمرغاني يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى  
الأمير أبي الأشعث بطبق ورد يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهذه الأبيات :  
بعثنا ببرٍ تافه ، دون قدركم      وماتبعث الألفاف للقلِّ والسكر  
ولكنَّ ظرفاً أن تزيد مودة      فهل تكرمنا بالقبول وبالعذر ؟  
فلو كان يرى حسب ما أنت أهله      أذاك إذا روى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الهمداني يقول : سمعت وزيره بن محمد الفسائي يقول :  
قدم بعض الكتاب المسكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم من قعدت به  
الحال ، فوجه إليه بدقة وأشنان ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة - جعلت فداك ! -  
ببلوغ النية فيه ، وملكتني الجدة بسط القدرة لأنعت السابقين إلى برك ،  
ولبرزت أمام المجتهدين في فضلك ، ولكن البضاعة قصدت بالهمة ، وقصرت عن  
مساماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذكر ،

فوجهت إليك بالبتدا به لبيته وبركته ، وبالختتم به لطيبه ونفعه ، مفتصراً عن  
ألم التقصير فيه ، فأما ما سوى ذلك فالمعبر عني فيه قول الله ( ٩ : ٩١ ) نيس على  
الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ( حرج ) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمي ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلي ، حدثنا  
محمد بن علي بن الفضل المديني ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيري ، حدثنا محمد  
ابن إسحاق المسيبي عن القاسم بن المعتز عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت  
من شهد الحكم بن حنطب بمنج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان لقي من الموت  
شدة ، فقلت ، أو قال رجل : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، ولقد كان .  
فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن  
ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رفيق ، قال : ثم كأن فتيلة أطفئت  
فات ، فبلغ ابن هرمة الشاعر موته ، فأنشأ يقول :

سلا عن الجحد والمعروف أين هما ؟      فقلت : إنهما ماتا مع الحكم  
ماتا مع الرجل الموفى بدمته      يوم الحفاظ إذا لم يوف بالذم  
ماذا بمنج لو تُنْبَش مقابرهما      من التهثم بالمعروف والكرم  
حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق  
ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للمغيرة بن شعبة : ما بقي من لذتك ؟ قال : الإفضال  
على الإخوان ، قيل : فمن أحسنُ الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشه غيره ، قيل :  
فمن أسوأُ الناس عيشاً ؟ قال : من لا يعيش بعيشه أحد .

### ذكر استحباب التفريح عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا  
محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « من نفّس عن أخيه كربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر ، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأن من نفّس كربةً من كرب الدنيا عن مسلم نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن تحرّى قضاء حاجته ولم يقصّ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضائها ، وأيسر ما يكون في قضاء الخوائج استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الخوائج ، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شرّ البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا أمن .

وأنشدني السكرى :

خير أيام الفتي يوم نفع واصطناع العرف أبقى مصطنع  
ما ينال الخير بالشر ، ولا يحصد الزارع إلا ماؤزع  
ليس كل الدهر يوماً واحداً ربما انحط الفتي ، ثم ارتفع  
حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا بشر  
ابن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب  
إلى من اعتكاف شهرين » .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

سابق إلى الخير وبادر به فإن من حلفك ما تعلم  
وقدم الخير ، فكل امرئ على الذي قدمه يقدم  
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن موسى البصري ، حدثنا

الأصمى ، حدثنا أبو مصر شبيب بن شذبة الخطيب قال : لما حضرت ابن سميد ابن العاص الوفاة قال لبيه « يا بني ، أيكم يقبل وصيتي ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا قال : إن فيها قضاء ديني ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت فبم أخذتها ؟ قال : يا بني في كريم سددت خذته <sup>(١)</sup> ، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها » قال أبو حاتم رضى الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاء أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول النية ، فيبقى عن الخيرات كلها ، ويتأسف على ما فاتته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من سحب النعمة في دار الزوال لم يحل من قسدها ، وأن من تمام الصنائع وأهناها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى قال : دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان للنال بئذ وجه فلا قرئت من ذاك النال  
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان :

يبقى النساء وتمتدُّ الأموال ولكل دهر دولة ورجال

مانال تحمده الرجال وشكرهم إلا الصبور عليهم الفضال

حدثني محمد بن عبدل بن المهدي الشعرائى ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسى حدثنا ابن عائشة قال : قال أبي « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له : هب لى شيئا ، قال : يا غلام أعطه مامعك ، فأعطاه عشرين ألفا ، فأخذها ليحمنها فقلت عليه ، فقمدي بيكى ، فقال : ما بيكيك ؟ لعلك استقلتها فأزيدك ، قال : لا ، والله ما استقلتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك ، فقال له يحيى : هذا الذى قلت لنا أكثر مما أعطيناك »

(١) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب الإلحاف عند السؤال في الخوائج ؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع ، والطالب للملاح كالضرب بالقداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحد ، وإن منع لزمه الرضاء بالقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم ، لا في المحافل والمساجد والملا ؛ لأن محمد بن محمود النسائي ، حدثنا ، قال : حدثنا علي بن خنجر ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن حنيف المؤذن قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم فتفحشهم ، واسكن سلوهم في منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الذي قاله عمر بن الخطاب رحمه الله عليه ورضوانه إذا كان المستول كريماً ؛ فإنه إن سئل الحاجة في نادى قومه ولم يكن عنده قضاؤها تشور وخجل ، وأما إذا كان المستول ثنيا ودفع المرء إلى مسأله في الحاجة نفع له ، فإنه إن سأل في مجلسه ومسجده كان ذلك أقصى حاجته ؛ لأن اللئيم لا يقضى الحاجة ديانة ولا مروءة ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلباً للذكر والحمد في الناس . على أنى أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القِدِّ<sup>(١)</sup> ومَصَّ الحصى ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لثياً حاجة ؛ لأن إعطاء اللئيم شين ، ومنعه ختف .

ونقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا أعطى القليل فتى شريف      فإن قليل ما يعطيك زين  
وإن تكن العطية من دنى      فإن كثير ما يعطيك شين

أبناؤنا أحمد بن محمد بن الفضل المسجستاني بدمشق ، حدثنا علي بن خنجر قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي يقول : خرجت حاجاً فقلت  
(١) القد : السير من الجلد تخصف به النعال .

المحمل ، فنزلت أساور القطرآت ، فقال : أتانا أعرابي ، فقال لي : يافتي لمن الجبال بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة . قال : يا لله أن يعطي الله باهليا كل ما أرى ، قال : فأعجبني ازدرأوه بهم ، ومعى صرة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ، فقال : جزاك الله خيرا ! وافقت منى حاجة ، قلت : يا أعرابي ، أيسرك أن تكون الجبال بما عليها لك وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أيفسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني من باهلة ، قلت : يا أعرابي ، الجبال بما عليها لي وأنا من باهلة . قال : فرمى بالصرة إلى ، قلت : سبحان الله ! ذكرت أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرنى أن انتهى الله وإياهلى عندي يد ، لحدثت بها المأمون ، فجعل يتمعجب ويقول : ويحك يا سعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بنسبنا حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا الأصمعي حدثنا هشيم بن القاسم قال : سألت سلم بن قتيبة حاجة ، فقضاها ، ثم سأته أخرى ، فاتهرني وقال : حاجتين في حاجة ، أو قال : على الريق ؟ ثم دعا بالطعام ، فلما تغدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديت وطابت نفسي فليس في الحق غلام مثلي

\* إلا غلام قد تغدى قبلي \*

أبانا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء بن مصعب قال : قال أبو عمرو المنذري : أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة ، وكان له صديق من أهل الشام ، فكلمته أن يكلمه في حاجتي ، فجعل يقول : اليوم ، غدا ، فظل على ، فقرأت له ، وقد كان يعرفني ، فدعاني فقال : أبا عمرو ، إنك لها هنا ؟ قلت : نعم أطالك بمحاجة منذ كذا وكذا وسيلتي فيها فلان ، فضحك ، وقال : قد كنت أراك قد أحكت الآداب ، لانتعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له

عنده طُعمَةٌ : فإنه لا يؤترك على طعمته ، ولا تستمن بكذاب ؛ فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستمن بأحق ؛ فإن الأحق يجهد لك نفسه ، ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فانصرفت فقلت : يكفيني هذا ، قال : لا ، ولكن تقضي لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته بالعدو ، ولا بالأحق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول طعمة ، ولا يجب أن يجعل حاجتين في حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاضٍ ، ولا يظهر شدة الحرص في اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء .

ونقد أنشدني منصور بن محمد الكريري :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة      فاصبر ، ولا تكُ للمطل ملولاً  
لا تُظهِرَنَّ شَرَّه الحريص ، ولا تكن      عند الأمور إذا نهضت ثقيلًا

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي العرزمي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة      لحضوره يكفيك والتسليم  
فإذا رآك مسلماً عرفَ الذي      حملته فكأنه ملزوم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يتسخط ما أعطى ، وإن كان تافهاً ؛ لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيدة ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة كل إنسان ؛ فرب مهروب منه أخع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون السائل متشفعاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على عنقه آخر ، ومن مثل فليذل ؛ لأن مال المرء نصفان ، له ما قدم ، ولوارثه ما خلف ، وأقرب الأشياء في الدنيا زوال المال والولاية ، والتعاهد للصنيعة

بالتحفظ عليها أحسن من ابتدائها ، ومن غرس غراساً فلا يَضَنُّ بالنفقة على تربته ، فذهب النفقة الأولى ضياعاً .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثني محمد بن أبي يعقوب الرعي حدثنا عبد الكريم بن محمد الموصلي حدثنا أبي قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس الطائي يقول : وقعت على باب مالك بن حنّوق الرحبي أشهراً فلم أصل إليه ، ولم يعلم بمكاني ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أأأذن لي إليه أم أنصرف ؟ قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فأيسال رقعة ، قال : لا ، ولا يمكن هذا ، ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فاكتب الرقعة وارم بها في موضع أرايه الحاجب ، فكتبت :

لعمري ، لئن حَجَبْتَنِي العبيد عنك ، فلم تحجب القافية

سأرمي بها من وراء الجدا ر شعاء تأتيك بالداهية

تصم السميع ، وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافية

فكتبت بها ورميت بها من المكان الذي أرايه الحاجب فوقعت بين يديه ، فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال : على بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لي : أنت صاحب الرقعة ؟ قلت : نعم ، فاستنشدني ، فأنشدته ، فلما بلغت — ومن بعدها تسأل العافية — قال : لا ، بل نسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ، فأنشأت أقول :

ماذا أقول إذا انصرفت ، وقيل لي : ماذا أصبت من الجواد المفضل ؟

إن قلت : أغدائي كذبت ، وإن أقول : ضنَّ الجواد بماله ، لم يحصل

فاختار لنفسك ما أقول ، فإنني لا بد أخبرهم ، وإن لم أسأل

فقال : إذا والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقت بياي ؟ قلت : أربعة أشهر ،

قال : يعطى بعدد أيامه ألوا ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .



سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول :  
كان ببغداد رجل يقال له ابن الهفت ، فمر يوماً على سائل واقف على الجسر ،  
وهو يقول : اللهم ارزق المسلمين حتى يعطوني ، فقال له : نسأل ربك الخوالة ؟

### ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء  
الهمداني حدثنا مصعب بن القدام حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن  
جابر قال « ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا ، ولا ضرب بيده  
شيئاً قط »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إني لأستعجب للمرء طلب المعالي من  
الأخلاق ، مع ترك رد السؤال : لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ،  
والندامة موكلة بترك مسجلة الفرصة ، وإن الحرَّ حقَّ الحر من أعتقته الأخلاق  
الجيالة ، كما أن أسوأ العبيد من استعبده الأخلاق الدنية ، ومن أفضل الزاد في  
العباد اعتقاد الحماد الباقية ، ومن لزم معالي الأخلاق أنتج له سلوكها فراخا  
نظير بالسرور .

ولقد حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضي حدثنا  
المسيب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال مُذْ  
كانت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

بادر هواك إذا همت بصالح      خوف العوائق أن تجيء فتغيب

وإذا همت بسيء فتعدَّه      ونجّنب الأمر الذي يُتجنب

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما ضاع مال ورث صاحبه مجداً ، ولولا

المفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق للمرء اسم الكرم بالكف عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثرت في الخير رغبته ، وكان اصطناع المعروف همته ، قصده الراجون ، وتأمله المتأملون ، ومن كان عيشه وحده ولم يعش بعيشه غيره فهو - وإن طال عمره - قليل العمر ، والبائس من طال عمره في غير الخير ، ومن لم يتأس بغيره في الخير كان عاجزاً ، كما أن من استحسن من نفسه ما يستقبحه من غيره كان كالغاش لمن نجب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همة إلا بطنه وفرجه عُدَّ من البهائم ، والهمة تبلغ الرتبة العالية ؛ لأن الناس يهتمهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : كان لي خال من كلب ، فكان يقول لي : يا عبيد الله ، هم ؛ فإن الهمة نصف المروءة .  
وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

قد بلونا الناس في أخلاقهم فرأيناهم لدى المال تبع  
وحبيب الناس من أطعمهم إنما الناس جميعاً بالطمع  
حدثنا عمر بن حفص البزار - بمجند بسابور - حدثنا إسحاق بن الضيف  
حدثنا الحسن بن واقع الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : سمعت كديراً أبا سليمان  
الضبي يقول « كان تقصر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب من  
حيث جاء السائل أعطى »

حدثنا محمد بن أحمد الرقام - بقستر - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا  
أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله  
عنهم : سمع رجلاً إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فأنصرف  
فبعث بها إليه .

وأشدني الكريزي :

لا تحقرنَّ صنيعَ الخيرِ تفعله      ولا صغيرَ فعلٍ الشرِّ من صغره  
فلو رأيتَ الذي استصغرتَ من حسنٍ      عند الثوابِ أطلتَ العجبَ من كبره  
سمعتَ أحمدَ بنَ محمدَ بنَ عبدِ اللهَ البجليَّ يقولُ : سمعتَ صالحَ بنَ آدمَ يقولُ :  
أشدُّ إنسانٍ عندَ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ هذينِ البيتينِ :

إن الصنِعةَ لا تكونُ صنِعةً      حتَّى يُصابَ بها طريقُ المصنِعِ  
فإذا صنعتَ صنِعةً فاعمدَ بها      لله ، أو لذوي القرباةِ ، أو دَعِ  
فقالَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ : إن هذينِ البيتينِ يبخلانِ الناسَ ؛ ينبغي لمن عملَ  
بهذا أن يدعو لمن طلبَ حاجةً بالبينة ، بل تُبثُّ الصنائعُ ويرمى بها مواضعُ القطرِ  
حيثَ حَلَّتْ ، وفي مثله يقولُ العتابي :

له في ذوى المعروفِ نِعْمى ، كأنه      مواقعُ ماءِ القطرِ في البلدِ القمَرِ  
إذا ما أتاه السائلونَ حاجةً      علته مصابيحُ الطلاقة والبشرِ  
حدثنا أحمدُ بنُ محمدَ بنِ سعيدِ القيسى حدثنا أحمدُ بنُ مسروقٍ حدثني ابنُ  
أبي سعيدٍ عن شيخٍ له قال : رأيتُ ابنَ المباركَ يَعْضُ يدَ خادمٍ له ، فقلتُ له :  
تعضُ يدَ خادمك ؟ قال : كم أمره أن لا يعددَ الدراهمَ على السؤالِ ، أقولُ له :  
أحسُّ لهم حَسَواً .

حدثنا عمرو بنُ محمدٍ حدثنا الفلابي حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ عن  
عن أبيه قال : قال إبراهيمُ بنُ أبي البلادِ : حدثني أخى قال : رأيتُ الحجاجَ بمِى  
في عمله على العراقِ ، وقامَ إليه رجالٌ من أهلِ الحجازِ يسألونه ، فقال : توهمتم  
بنا أننا بغيرِ بلادنا ومالككم مترك ، مَنْ هاهنا من أهلِ العراقِ ؟ فقامَ إليه تجارُ  
أهلِ العراقِ ، فقال : هل من سلف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألفَ ألفِ درهمٍ ،  
فقسمها ، فلما قدمَ العراقَ ردها ، وأكثرتُ ظني أنها ومثلها معها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأقرض فالأقرض ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بأخوانه وجيرانه ، ثم الأقرب فالأقرب ، ويتحرى المعروف والإحسان فى أهل الدين والعلم منهم ، ويحسب ضد ما قلنا ؛ لأن مثل من لم يفعل ما أومأنا إليه كما أنشدنى الحسين ابن أحمد البغدادى :

تصول على الأدنى ، وتجنب العدا      وما هكذا تُبنى المكارم يا محي  
فكنت كفعل السوء ينزو بأمه      ويترك باقى الخيل سائمة ترى  
وأنشدنى البسامى :

وكنت كمهريق الذى فى سقائه      لرقراق ماء فوق رابية صلد  
كمرضة أولاد أخرى ، وضيمت      بنى بطنها ، هذا الضلال من القصد  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبتدىء بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأن الابتداء بالصنيعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمسالك عن التعرض خير من البذل ، والصنائع إنما تحسن بآتمامها ، والتحافظ عليها بعدها ؛ لأن إصلاح الخوادم تزكو الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، والداس فى الصنائع على ضربين : شاكراً ، وكافراً ، ولقد أنشدنى بعض إخواننا :

وما الناس فى حسن الصنيعة عندهم      وفى كفرهم إلا كبعض المزارع  
فمزرعة طابت وأضعف ريعها      ومزرعة أكدت<sup>(١)</sup> على كل دارع  
وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله      يكن ضائماً فى غير حمد ولا أجر  
وحسب امرئ من كفر نعمى جحودها      إذا وقعت عند امرئ غير دى شكر

(١) أى منعت وخيبت ظن الزارع ، وأصله من الكدية ، وهى انقطعة العليظة الصلبة من الأرض لا يعمل العاس فيها .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله إلا كعض الودائع  
فستودع ضائع النسي كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : امتح من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك  
استحقاقاً منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ،  
ولا يشكر عند البر ، ويتعجب من يشكر ، ويذم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل  
يثل من هذا فنه استعمل معه ما أنشدني الكريزي :

إن ذا اللوم إذا أكرمه حَسِبَ الإكرام حقاً لزمك  
فأهله بهوان ، إنه إن نُفِته بهوان أكرمك  
وأنشدني الأبرش :

إذا أوليت معروفاً لثماً يمدك قد قتلت له فتية لا  
فكن من ذاك معتذراً إليه وقل : إني أتيتك مستقيلاً  
فإن تغفر ، فبجرتي عظيم وإن عاقبت لم تظلم فتية لا  
ولست بعائد أبداً لهذا وقد حلفتني حملاً ثقيلاً  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : أهنا الصنائع وأحسنها في الحقائق ، وأوقعها  
بالقلوب ، وأكثرها استدامة للنعم ، واستدفاعاً للتعم ، ما كانت خالية عن المنن في  
البداءة والنهاية ، متعربة عن الامتنان ، وهو الغاية في الصنعة ، والنهاية في  
الإحسان .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أحسن من كل حسن في كل وقت وزمن  
صنيعه . مربة خالية من المنن

حدثنا محمد بن غدار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن زادويه حدثنا



الذى دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان ، فسعى له قوما يعرفهم ، فقال : خلوا عن الرجل ، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم : فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتعال كل سنة في هذا الوقت ، ولك عنديا مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألهم فكتبوا بمعرفة ، فكان يحىء أيام حياته فيأخذ خمسة آلاف وينصرف

### ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إنى لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف ؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان التذى ، ومن أعظم مراتب ذوى الحى ، ومن أحسن خصال أولى النعمى ، ومن عرف باطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب ، وقصده الرضى والغائب ، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رقى نسه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ، وبشرفه يرفع الذكر وكال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدراوردي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أول من أضاف الضيف

حدثنا الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا الأصمى أخبرني نافع بن أبي نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت

المدينة ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُلَيْم ، وهو جد سعد ابن عبادَةَ بن دُلَيْم سيد الخَزِرج ، ثم ضرب الزمان من ضربه ، فقدمت المدينة ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادَةَ ، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام ، وإكرام الضيف

والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قري الضيف ، وإطعام الطعام ، ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الليل واليلين .

ولقد حدثني محمد بن المنذر حدثنا علي بن الحسن الفيلسطيني حدثنا أبو بكر السني حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال : بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بعلام واقف على الطريق في أذنيه قرطان ، وفي كل قرطة جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجّد ربّه بأبيات من شعر ، فسمعتة يقول :

ملك في السماء به افتخاري عزيز القدر ليس به خفاء  
قدنوت إليه ، فملت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدى من حق الذي يجب لي عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتعدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير لليل واليلين في طلب الضيف ، فأجبتة إلى ذلك ، قال : فرحّب بي وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابتة جارية من الخيمة يالبيكاه قال : قومى إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف ، قال : فقامت وصَلَّت ركعتين شكرًا لله ، قال :



فأدخلني الخيمة ، فأجلسني ، فأخذ الغلام الشفرة ، وأخذ صفاقاً له ليذبحها <sup>(١)</sup> ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه ، أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب - تعني النبي صلى الله عليه وسلم - أن « زكى العينين النظر » أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك ، وأسكتي أردت أن أؤدبك لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بثت أنا والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية في الخيمة ، قال : فكنت أسمع دوى القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ قال : فقال : تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح ، قال : فقلت : يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسم ، ثم قال : ويحك يا فتى ! أما علمت أنه موفق ومخدول .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا ما أتاك الضيفُ فابداً بحقه قبل العيال ، فإنَّ ذلك أوصوب <sup>(٢)</sup>  
وعظم حقوق الضيف واعلم بأنه عليك بما توليه من ذهاب  
أنيابنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن  
الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما  
رأيت أكل وحده .

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد  
الطائي حدثنا عمرو بن هانيء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السبسي - فخذ  
من طي - يُفدَّى أهل ثلاثة مساجد ، وبشبيهم ، يوماً بثراند ، ويوماً برطبة ،  
يعني الحبس . وماله قبص إلا قبص هو لجمته وهو للبيت .

(١) الشفرة - بالفتح - السكين . والعناق - بوزن السحاب - الأثني من ولد العز

(٢) عجز هذا البيت لا يستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل  
السكسر ؛ لأن نعمة الله إذا لم تُصَنَّ بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت ،  
ثم لا ينفع من زالت عنه التلطف عليها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى  
حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستدخر الأجر في القيامة ، واستقصر  
إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقاق القليل ، وتقديم ما حضر للأضياف ؛  
لأن من حَقَّرَ منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .  
ولقد حدثني كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي حدثنا الوليد  
ابن شعاع حدثنا عقبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي :  
ما إكرام الضيف ؟ قال : طَلَاقة الوجه ، وطيب الكلام .  
وأنشدني الكريزي في قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا الدَّيْدَبَانَ عَلَى بَفَاعٍ <sup>(١)</sup> وقالوا : لا تَمِّمُ الدَّيْدَبَانَ  
إذا أبصرت شخصاً من بعيد فصفق بالبنان على البنان  
ترام خشية الأضياف خُرْساً يَصَلُّون الصلاة بلا أذان  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبخل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما  
أن من أجود الجود بذله ، ومن ضَنَّ بما لا بد للجنة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه ؛  
كان بغيره أبخل ، وعليه أشع .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ،  
فإنه لا يذِكُّ من خدم أضيافه ، كما لا يَمِزُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراء أجرأ .  
وأنشدني كامل بن مكرم أنشدني محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للمبتغى القَرَى وإنَّ فِئْسَانِي للقَرَى لرحيبُ

أضاحك ضيق عند إنزال رحله فيخصبُ عندي ، والحلُّ جديب  
وما انخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنا وجه الكريم خصيب  
وأنشدني الأبرش :

لا تبخلنَّ بدنيا ، وهي مقبلة فليس بنقصها التبذير والسرِفُ  
وإن تولَّتْ فأحرى أن تجود بها فالحد منها إذا ما أدبرت خلفُ

أنبأنا الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العقبى عن أبي مخنف لوط بن يحيى  
حدثني هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ،  
فر بأهل بيت من القنَّين فنزل بهم ، فنحر لهم صاحب المنزل جزوراً وأتاهم به ،  
فقال : دونكم ، فلما كان من الغد نحر لهم آخر ، ثم حبستهم السماء اليوم  
الثالث ، فنحر لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوباً من ثياب  
مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فما صار إلا قليلاً  
حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدراهم ،  
فقال : يا هؤلاء ، خذوا بضاعتكم عني ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإننا لم  
نكن لناخذها ، فقال الرجل : لناخذنَّها ، أو لا ينفذ منكم رجل ، أو تذهب  
نفسى ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ الله أبوك ! ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟  
فكافأناك ، ما في هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ قرى ابن السبيل  
وقرى الضيف ثمناً ، لا والله لا أقبل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذا أبي أخذوها  
منه ، فأخذوها ، ثم قال قيس : ما فضلكي <sup>(١)</sup> رجل غير هذا .

حدثني أحمد بن عمرو الزبيقي بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسي  
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشي حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب  
قال : لأن أشبع كبداً جائعة أحب إليَّ من حجة بعد حجة .

(١) فضلى : زاد على في الفضل وأرى .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عيسى بن أبي موسى الأنصاري حدثني  
أبي حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس  
ابن سعد بن عباد « اللهم ارزقني مالا وفعالا ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال » .

### ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع  
ابن مسلم ، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت  
أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس  
لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من أسدى إليه معروف أن يشكره  
بأفضل منه أو مثله ، لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه  
وإن قل ، فمن لم يجد قنطين عليه ؛ فإن انشاء عند عدم يقوم مقام الشكر  
للمعروف ، وما استغنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أنشدني محمد بن زنجي البغدادي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد      لِعِزَّةِ مُلْكٍ ، أو علوِّ مكان  
لما أمر الله العباد بشكره      فقال : اشكروني أيها الثقلان  
وأنشدني الكريزي :

إذا المرء لم يشكر قليلا أصابه      فليس له عند الكثير شُكور  
ومن يشكر المخلوق بشكر لربه      ومن يكفر المخلوق فهو كفور

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

حافظ على الشكر كي تستجزل القيسا      مَنْ ضَيَّعَ الشكر لم يستكمل النعما  
الشكر لله كنز لا نفاذ له      من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الثعلابي حدثنا المعقب قال : مر سعيد بن العاص  
بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسقوه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادى عليها  
فيمر يزيد ، فقال لمولاه : سأل لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين ،  
قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تباع  
دارك ؟ قال : لهذا على أربعة آلاف دينار ، فزول وتحدث معهما ، وبعت غلامه  
فأثاه ببذرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ، ودفع الباقي إلى صاحب الدار وركب  
ومضى .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

ومن يُسَدِّ معروفًا إليك ، فكُنْ له  
ولا تبخلن بالشكر ، والقرض فأجزه  
وأنشدني بعض أهل العلم :

فكن شاكرًا للنعمين لفضلهم  
ومن كان ذا شكر فأهل زيادة  
وأنشدني الكريزي :

أحق الناس منك بحسن عون لمن سلفت لكم نعم عليه  
وأشكرهم أحقهم جميعا بحسن صنيعه منكم إليه  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ،  
بل عند النعم يشكر ، وعند المصائب يصبر ، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع  
أوشك أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات  
عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ، ومن أسداها إليه .

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي حدثني محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن  
إبراهيم القرشي قال : سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول : ماتت لعبيد بن معمر

بنت ، فقامت في المآتم في مسجده في سكة سبانوش ، فجاء عبيد الله بن أبي بكره معزياً ، وإذا الأشراف قد أخذوا مواضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه ، فقام قائماً ، وجعل يقول له : ههنا ، حتى أخذ بيده فاقبله في مجلسه ، ثم ذهب فقام في أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاماً كان معه أن يتعاهده إلى قيامه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، قال : من أنا ؟ قال أنت عبيد الله بن أبي بكره صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما حلتك على تركك مجلسك لي ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثالي خصوصاً من التبجيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم ، قال : فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة في نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخل ، وعلى وجه الضيعة قصر بني بآجر وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به في تلك النخيل ، فقال للرجل : كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت نخيلاً أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسرى ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعث إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحاً وبكاءً ، وقال : أنعشتني وأنعشت عيالي ، فقال عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفساً ، قال : فإني قد جعلت اسم عيالك في اسم عيالي ، أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله في سرّة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا فاعد علينا تأمر لك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ورأس مال وخدم تصالح لدارك تعيش بها إن شاء الله ، قال : فقد الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدابة وبغل وسائس وكسوة وصرفه .

وأنشدني الأبرش :

الشكرُ يفتح أبواباً منسقة      لله فيها على مَنْ رامه نَمٌّ  
فبادر الشكر ، واستفلق وثاقه      واستدفع الله ما تجرى به النقم

حدثنا أحمد بن الحسن المدائني بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول :  
أخذ رجل بركاب الشافعي ، فقال : يا ربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن يشكر العُرف الصغير فإنه      سيني ، ويَجْتَرُّ الزيد أصاغره  
ومن يشكر المعروف يحمّد إلهه      ويضعف أضعافاً على الحد شاكره

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

وإذا اصطنعتَ إلى أخيه      لك صنيعه ، فأنس الصنيعه

والشكر من كرم القتي      والكفر من لؤم الطبيعه

والصبر أكرمُ صاحب      فاحبه إن نزلت فجيمه

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي  
حدثنا أحمد بن خليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم  
ابن آدم إذا صنع إليه أحد معروفًا حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال  
أبو عيسى : فلقيني وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جاثيًا من الرملة ، قال :  
وقد اشترى بأربعة درانين تفاعًا وسقرًا جلا وخوخًا وفاكهة ، فقال : يا أبا عيسى ،  
أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجوز يهودية في كوخ لها ، فقال : أحب أن  
توصل هذا إليها ، فأتيت مررت وأنا ممس ، فبيتنتي عندها ، فأحب أن أكافئها  
على ذلك .

وأنشدني الكريزي :

يدُ المعروف غنمٌ حيث تُسدَى      تحملها شكورٌ ، أم كفورٌ  
كفى شكر الشكور لها جزاء      وعند الله ما كفر الكفور

وأنشدني بعض أهل العلم :

رهنتُ يدي للعجز عن شكرِ برِّه      وما فوق شكري للشكور مزيد  
ولو كان شيء يستطيعُ استطعته      ولكنَّ مالا يستطيعُ شديداً  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد  
المعروف على حسب وسعه وطاقته ، إن قدر فبالضعف ، وإلا فبالمثل ،  
والا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بذل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله  
خييراً ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في الثناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما  
رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها ، لما لم يركب فيه من التفقد لمراعاة  
الضرورة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه ، وترك المناقشة على فعله ، والرجل  
الآخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفافاً بالمنعم ، واستحقاقاً للنعمة ،  
وتهاونا في نفسه لها أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود  
إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خيرة به .

وأنشدني علي بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمده      فمن كتم المعروف منهم فما شكر  
إذا ما صديقي نال خيراً ، فحاشي      فما الذنب عندي للذي خان أو فجر  
ولكن إذا أكرمه بعد كفره      فإني ملوم حيث أكرم من كفر

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أعطيتُ القليل شكرتم      وإن أنا أعطيتُ الكثير فلا شكر  
وما لمت نفسي في قضاء حقوقكم      وقد كان لي فيما اعتذرت به عذر  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع  
والسمى فيها من غير قضائها إذا كان المنعم من ذوي القدر فيه ، والاهتمام بالصنائع ،



لأن الاهتمام ربما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان . إذ للمعروف  
يعمله المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهتم به ، ولا مشفق  
عليه ، وربما فعله الإنسان وهو متكاه . والاهتمام لا يكون إلا من قرط عناية  
وفضل ودٍّ ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره للمعروف .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

لأشكرنك معروفا همت به      إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروفُ

ولا ألوئك إن لم يمضه قدرٌ      فالشيء بالقدر المجلوب مصروفُ

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

بَطِرَ النعمة مَنْ ضَيَّعَهَا      وَمُضِيْعُ الشكر مُسْتَدْعِي الْغِيَرِ

فاجعل الشكر عليها حارساً      ربما ابتزَّ الفقي النعمي البطر

حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله  
الجشمي حدثنا علي بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة - لما انصرف في طريقه -  
فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذي ينجي عمر بن هبيرة ، فقال : يا غلام ،  
أعطها ما معك ، وأعطها أني قد نجوت .

### ذكر الحمت على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم الغنيري حدثنا مؤمل  
ابن إسماعيل حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلَّكُمْ رَاعٍ ، وكلُّكم مسئول عن رعيته ،  
فالأمير راعٍ على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راعٍ على أهل بيته ، وهو  
مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راعٍ  
على مال سيده ، وهو مسئول عنه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه

هو سلم ، بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجها ، وحارس العبد مولاه ، وكل راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك ؛ إذ هم رعاة لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة نفاذ أمورهم ، وعقدُ الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم محتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ، ولا يدوم ملكٌ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً نصوحاً ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالمسال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكان ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ، وزواله لا يكون إلا بفارقه .

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسيء ، لأنه إذا خفى عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل .

ولقد أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا سُسْتُ قوماً فأجعل العدل بينهم وبينك ، تأمن كلَّ ما تتخوفُ

وإن خِفْتَ من أهواء قوم اشتنا فبالجود فأجمع بينهم يتألفوا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضى حدثنا الأصمعى قال : قال ملك طخارستان لنصر بن سيار : ينبغي للامير أن يكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفضى إليه بسره ، وحصان يلجأ إليه إذا فرغ أنجاه يعنى فرساً ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همه ، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له شيئاً يشتهيه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشة والهشاشة للناس ، ولا أن يقلّ منهما ؛ فإن الإكثار منهما يؤدي إلى الخفة والسخف ، والإقلال منهما يؤدي إلى العجب والكبر ، ولا ينبغي له أن يفضّ لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبعث ؛ لأنه لا عذر له في منع الأموال والجاه معاً ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة ، فأفضل السلطان ما لم يخالفه البطر ، وأعجزهم آخذهم بالهويناء ، وأقلهم نظراً في المواقب ، وخير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسر .

ويجب عليه استبقاء الرياسة وما فيه من نعمة الله عليه بلزوم تقوى الله ، وتفقد أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضاً ؛ لأنه مامن قوى في الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فمتى ما عرف السلطان فضل قوته على الضعفاء فقرّ ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حينئذ عليه وهلاكاً له ، والضعيف المحترس أقرب إلى السلامة من القوى المغتر ؛ لأن سرعة الاسترسال لا تكاد تستقال ، ولا يجب أن يعجل في سلطانه بمقارب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يتقن بمن عاقبه من غير جرم .

وما أشبه السلطان إلا بالنار ، إن قصرت بطل نفعها ، وإن جاوزت عظم ضررها ، فخير السلطان من أشبه الفيت في أحياته في نفع من يليه ، لا من أشبه النار في أكلها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلاً خيراً من المطر إذا كان وابلاً ، وسلطان غشوم خيراً من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خصيب زمانهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مرجى بن المؤمل بن اللثني للري عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولي من الرعية مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذي لا بقاء له إلا معه » .

وأشددني ابن زنجي البغدادي للأفوه الأودي :

لا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لاسِرَّةَ لَهُمْ      وَلَا سِرَّةَ إِذَا جُهِلَهُمْ سَادُوا  
وَالْبَيْتُ لَا يُبْتَنَى إِلَّا بِأَعْمَدَةٍ      وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ  
فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادُ وَأَعْمَدَةٌ      وَسَاكِنٌ أَدْرَكُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا  
تُهْذِي الْأُمُورَ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَاحَتْ      فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَثَرِ تَنْقَادُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على السلطان قبل كل شيء أن يبدأ بتقوى الله وإصلاح سريرته بينه وبين خالقه ، ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر إخوانه ، ورفعه عليهم ؛ ليعلم أنه مسئول عنهم في دق الأمور وجليلها ، ومحاسب على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلاً غنياً ناصحاً ، وعمالاً صالحين بررة راشدين ، وأعوانا مستورين ، وخداماً معلومين ، ثم يقبل عماله ما لا غنى له عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذ المال من حله ، ويفرقه في أهله ، ثم يتفقد أمر بيت المال بأن لا يدخله حبة مما فوقها من قهر أو جور ، أو سلب أو نهب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذرة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ، ثم لا يخرجها إلا في المواضع التي أمر الله جل وعلا في سورة الأنفال <sup>(١)</sup> .

ثم يتفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاورى بيت الله وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يتفقد ثغور المسلمين ، ولا يولى على الثغور من عماله إلا من يعلم أن القتل في سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء في الدنيا لينغزى الناس ولا يعطل الثغر .

(١) في قوله تعالى ( ٨ : ٤١ ) واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — الآية ) : والآيات في هذا المعنى كثيرة

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومراقبهم والأبرجة التي بين المسلمين وبين عدوهم ،  
بأن يعمرها ويقيم فيها أعيننا من المسلمين تتجسس أخبار العدو ويخبري عليهم من  
بيت ملهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعطائهم ، ويعرف فضيلتهم ، وسابقة  
آبائهم ، وأنه إنما نال ما نال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكم بأن لا يولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم منه  
العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى والحكم بغير ما يوجب العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن لمن  
هو أصغر سناً منه أبا ، ولن هو أكبر منه ابناً ، ولأترابه <sup>(١)</sup> أخاً ، فيكون في  
تفقد أمورهم ولصالح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم في كل سنة إلى المدن ، ليشرفوا  
على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها فيعزل من استحق  
منهم العزل ، ويقر من اتبع الحق .

ثم يجعل لنفسه موضعاً لا يتبع منه لطرح القصص ، ويبرز للرعية في كل يوم  
مرة ، أو في كل ثلاثة أيام ، أو في كل أسبوع ، يرفعوا إليه حوائجهم ، وليجتنب  
الحدة وليلزم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم .

واقعد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر  
ابن عياش ، أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء  
إنما كانوا يسودون من إذا شتم حُكْمَ ، وإذا سئل حاجة فضاها ، أو قام  
معه فيها .

وأنشدني الأبرش :

وقد بُيِّنْضُ الحَيَاتِ أولادُ آدم وأخضُ ما فيها إليهم رهوسها

(١) الأتراب : جمع ترب — بالكسر — وهو المساوي لك في السن

وما ابتليت يوماً بشرٍ قبيلةً أضرتَّ عليها من سَمِيهِ يسوسُها  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يستحق أخذ اسم الرئاسة حتى يكون فيه  
ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يتعرى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ،  
وترك المشاورة .

ثم يلزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق في الأمور ، والصبر  
على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعرى عن هذه الأشياء - وهو ذو سلطان - عيى عليه قلبه ، وتشتت عليه  
أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصر قلبه مثلها ،  
ودخل الخلل في أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرعية : كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد ؛ فإن لم يكن  
ذلك القائد أحد الناس بصرأ ، وألطفهم نظراً ، كان خليفاً أن يوقعهم وإياه  
في وَهْلَةٍ تَنَدُّقُ أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة التي صلاحه في دينه  
ودنياه فيها ، وهي ما حدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن  
عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني قال : خرج الزهري يوماً من عند هشام بن  
عبد الملك فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهن رجل  
أنفاً عند هشام بن عبد الملك ، فقبل له : وما هن ؟ قال : قال له رجل : يا أمير  
المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فبين صلاحُ ملسكك ، واستقامة رعييتك .  
قال : هاتهن ، قال : لا تَعِدَنَّ عِدَّةً لا تنق من نفسك بإنجازها ، ولا يفرئك  
المرتقى ، وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدرُ وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاءً ،  
فاتقِ العواقب ، وأن للأمور بقتات ؛ فكن على حذر .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن تأتي الساعة  
بحب الأمر والنهي وحب السمع والطاعة  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يحب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيها  
عن مسألة وُكِّلَ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر  
بالرياسة فليحترز ؛ لأن الريح الشديدة لا تحطم السكلا ، وهي تحطم دوح الشجر  
ومشيّد البنيان .

وليلزم المشورة ؛ فإن في المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي ، وليصطنع إلى  
الناس كافة في الوقت الذي يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يجيئه الوقت الذي  
يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء  
لأن من ظفر بأمر جسم فأضاعه فاته ، ومن أمكنته الفرصة فأخّر العمل فيها  
لا تكاد تعود إليه .

والسأنة إنما هي قول الحق والعمل بالعدل ، لا التفاخر في الدنيا واستعمال البذل .  
ولقد حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ،  
حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو عمرة بن العلاء : كانوا لا يسوّدون إلا من  
تكاملت فيه ست خصال وتماهن في الإسلام السابعة : السخاء ، والنجدة ، والصبر  
والحلم ، والبيان ، والتواضع ، وتماهن في الإسلام الحياء .  
وأنشدني الكريزي :

إذا نلت الإمارة فاسمُ فيها إلى العلياء بالعمل الوثيق  
بمحض خليقة لا عيبَ فيها وليس المحض كاللبن المذيق<sup>(١)</sup>  
ولا تكُ عندها حلواً فتُحصى ولا مرّاً فتَنشَبَ في الخلق

(١) المحض : الخالص في جنسه لا يشوبه شيء من جنس آخر ، واللبن المذيق :  
المخلوط بالماء .

وكلُّ إمارة إلا قليلا مَغَيَّرَ الصديق عن الصديق  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته ؛  
لأن من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بَشَّةً <sup>(١)</sup> ؛ فقد خان نفسه  
ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام ، كما أن راكب المجل لا يأمن العشار ،  
ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ، ولا عقوبته إن كذبه ، ولا يجترأ  
عليه ، وإن أدناه ؛ لأن الخازم العاقل لا يشرب السم اتكالاً على ما عنده من  
الترياق والأدوية .

وإني لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله والعمل  
الصالح ، كأنه يتعلم منه ، ويؤدبه كأنه يتأدب به ، ويتقى سقطاته ، والسخط إذا  
كان عن علة كان الرضا عنه موجوداً ، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء  
ولا يجب أن يعلم كلَّ مائتاتى الملوكة من أمورها ؛ لأن في معرفتهم إياها بعض الفتنة  
وهيئات ! من ذا صحب السلطان فلم يفتن ، ومن اتبع الهوى فلم يعطب ، إن الشجرة  
الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذنب الطاووس الذى  
فيه جماله سبب حنقه ؛ لأنه يتقله حتى يمنعه من الحرب ، ومن صحب السلطان لم  
يأمن التغير على نفسه ؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا  
وقعت فى البحور ملحت ، على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة فى نور  
علمهم ، وكثرة غشياتهم إياهم غشاة على قلوبهم ، ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم  
ومن ذاب لهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم ، وإن  
عزم على شيء لم يجد بدا من مؤامرتهم ، وأسمج شيء بالملوك الخدعة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، حدثنا يحيى بن معين ،  
حدثنا المبارك بن سعيد الثورى قال : كان يقال : خمس خلال هن أقبح شيء



بمن كنّ فيه : الحدة في السلطان ، والكبر في ذى الحسب ، والبخل في الفنى ،  
والحرص في العالم ، والفتوة في الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموما ، وأدومهم غموما ،  
وأشغلهم قلوبا ، وأشهرهم عيوباً ، وأكثرهم عدواً ، وأشدّهم أحزاناً ، وأنكاهم  
أشجاناً ، وأكثرهم في القيامة حساباً ، وأشدّهم — إن لم يعف الله عنهم — عذاباً .  
ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه ، اتخاذ وزير عفيف ناصح على  
ما تقدم ذكرناه ؛ فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن  
سوّلت له نفسه سبته صده ، وإن أراد طاعة نسّطه ، فهو المحبب له إلى الناس ،  
والمستجلب له دعاءهم .

ولقد أنشدني على بن محمد البسامي :

إذا نسي الأمير قضاء حق فإنّ الذنب فيه للوزير  
لأنّ على الوزير ، إذا تولى أمور الناس ، تذكير الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يشئ السلطان وامتنح  
بصحبته أن لا يبد شتمه شتما ، ولا إغلاظه إغلاظا ، ولا التقصير في حقه ذنباً ؛  
لأن ربح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه  
فلا يثقن بها ، وليجانب معه كلام اللئى والإكثار من الدعاء في كل وقت ،  
وكثرة الانبساط ، فربّ كلمة أثارت الوحشة ، بل يجتهد في توقيره وتعظيمه عند  
الناس ، فإن غضب فليحتلّ في نكبين غضبه باللين والمدارة ، ولا يكون سبباً  
لتهيبته .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال :  
بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إني أستشيرك في أمر ، إني قد تأنيت أهل

المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعتَبَرُونَ<sup>(١)</sup> . وقد رأيت أن أبش فأحرق نخلها ، وأُغَوِّرَ عيونها . فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تكلم ؟ قال : إن أذنت لي تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قَدَّرَ فتنفر . وقد جعلك الله من النسل الذي يعنون ويصفحون . قال : فطفي . غضبه وسكن .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد ابن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للأُمُونُ الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدي المعروف بابن سُكَلَة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت الموثب علينا تدعي الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولي الثَّأر ، تُحَكِّمُ في القضاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبي وهو جدك أني رجل كان جرمه أعظم من جرمي ، فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة ، فقال المبارك بن فضالة : إن رأي أمير المؤمنين أن يستأني في أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إيه يا مبارك ، قال : حدثني الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : ألا لِيَقُمَ العَافُونَ من الخلفاء ، فلا يقوم إلا من عفا ، فقال الخليفة له : يا مبارك ، قد قبلت الحديث ، وعفوت عنه ، أخرج أيها الرجل ، فلا سبيل لأخذ عليك ، قال الأُمُون : يا عم ، هاهنا ، يا عم ، هاهنا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على مَنْ ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله جل وعلا في كل لحظة وطرفة ؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلطه ، بل يذكر

(١) يعتَبَرُونَ - بضم حرف المضارعة - يزيلون عني عليهم بترضيهم إياي .

عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم عن ظلم ، والمجازي لمن أحسن ، فليزِم  
في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين ، وليعتبر بمن كان  
قبله من أشكاله ، فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه ، كما هو لا محالة مسئول  
عن حيايه ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تبارك وتعالى يوم  
القيامة : ألم أحملك على الخير ، ورزقتك النساء ، وجعلتك ترأساً وترجع ؟ »  
فلي ، فيقول : فأين شكر ذلك ؟ »

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

يدبر أسباب الرجال مؤمراً إذا صلحت في الصدر أشفي وأمينُ  
من العقل أن تحتاط فيما ولايته ونحسم ما نخشاه ، والأمر ممكن

### ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله بن هاني بن  
عبد الرحمن بن أبي عتبة ، حدثنا أبي عن عمه إبراهيم بن أبي عتبة عن أم الدرداء  
عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح معافى في  
بدنه ، آمناً في سربه ، عندة قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا <sup>(١)</sup> يا ابن  
جُشْمٍ يكفيلك منها ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوباً تلبسه  
فذاك ، وإن كانت دابة تركبها قبيح فليلق الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الإزار  
حساب عليك » .

---

(١) كذا في الأصل ، وليس لسراقة بن مالك بن جعشم ذكر في الحديث ، ولعله  
حديثان ، وفي الترغيب والترهيب : يروي عن ثوبان قال : قلت « يا رسول الله  
ما يكفيني من الدنيا ؟ قال : ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان لك بيت  
يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فبيع » رواء الطبراني في الأوسط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفتربالدنيا وزهرتها ،  
وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث  
أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لا محالة تصير إلى فناء ، يخرب عمراتها ، ويموت سكانها ،  
وتذهب بهجتها ، وتبيد خضرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤثر ، ولا فقير مسكين  
محقر ، إلا ويجرى عليهم كأس المنايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فيبلون حتى  
يرجعون إلى ما كانوا عليه في البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها  
علام الغيوب ، فالعاقل لا يركن إلى دار هذا ضتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ،  
وقد ادخر له ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيضن  
بترك هذا القليل ، ويرضى بغوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال :  
سمعت بشر بن الحارث يقول :

لا تأس في الدنيا على فائتٍ      وعندك الإسلام والعاقبة  
إن فات أمرٌ كنت تسعى له      ففيها من فائتٍ كافية

وأشدني الكريزي ، أنشدني شعيب بن أحمد لسليمان بن يزيد العدوي :

ألم تر أن الموء بؤدى شابه	وأن النسايا للرجال تشعب
فمن ذائق كأساً من الموت مرة	وآخر أخرى مثلها يترقب
لها منهم زادٌ حيث وسائق	وكل يكأس الموت يوماً يشرب
وما وارثٌ إلا سيورث ماله	ولا سالبٌ إلا وشيكاً يسلب
ولا آفٌ إلا سيتبع إلقه	ولا نعمة إلا تبيد وتذهب
وما من مكانٍ وللمصائب حجة	يعاورها المصران إلا سيعطب
أرى الناس أصنافاً أقاموا بغربة	تقلبهم أيامها وتقلب
بدارٍ غرور حلوة يصرونها	وقد عابنوا فيها زوالاً وجربوا

بذمون دنيا لا يريحون دَرَّها قلم أر كاللنيا تدم وتحلب  
تسرم طورا ، وطورا تديقهم مضيق مكاو حرَّها يتلهب  
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد  
رجل مريضا فسمع قائلا يقول من ناحية البيت :  
نادربَّ الدار ذا المال الذي جمع الدنيا بحرص : ما فعل ؟  
فأجابه بحبيب :

كان في دار سواها داره علقته بالنى ، ثم انتقل  
لم يتمتع بالذى كان حوى من حطام المال ، إذ حلَّ الأجل  
إنما الدنيا كظل زائل طلعت شمس عليه فاضمحل  
قال أبو حاتم رضى الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :  
العيش لوان : فخلو ومرَّ والدهر نصفان : قريف<sup>(١)</sup> وضر  
والنطق جزآن : فبعر ، ودَّرَّ والناس اثنان : ففذل ، وحر  
يومك يومان : فخير ، وشر نهار يزول ، وليل يكبر  
وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تَمَرَّ  
وأنشدنى الأبرش :

إنما الدنيا نهار ضوءها ضوء معار  
بينما غصنك غصن ناعم فيه اخضرار  
إذ رماء زمانه فإذا فيه اصفرار  
وكذاك الليل يأتى ثم يحويه النهار

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

(١) الريف - بالكسر - أرض فيها زرع وخصب ، وسعة فى المأكول والشرب .  
والأبيات غير متسقة الوزن .

يَلاَنُثَمَ الدَّهْرَ إِذَا مَا نَبَا      لَا تَلَمُ الدَّهْرَ عَلَى غَدْرِهِ  
الدَّهْرُ مَا مَوْرَ لَهُ آ مَر      يَنْصَرِفُ الدَّهْرُ إِلَى أَمْرِهِ  
كَمْ كَافِرٍ بِاللَّهِ أَمْوَالُهُ      تَزْدَادُ أَضْعَافًا عَلَى كُفْرِهِ  
وَمُؤْمِنٍ لَيْسَ لَهُ دَرَاهِمُ      يَزْدَادُ إِيمَانًا عَلَى فَقْرِهِ  
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا      يَيْسُطُ رَجُلِيهِ عَلَى قَدْرِهِ  
وَأُنْشَدَنِي الْكَرْبَزِيُّ :

مَا الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ وَيَوْمٌ      وَالْعَيْشُ إِلَّا بِقِطْعَةٍ وَنَوْمٌ  
يَعِيشُ قَوْمٌ ، وَيَمُوتُ قَوْمٌ      وَاللَّهْرُ قَاضٍ مَا عَلَيْهِ لَوْمٌ  
أَبَانَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلَمٍ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ  
الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو حَازِمٍ : بِضَاعَةُ الْآخِرَةِ كَاسِدَةٌ ، فَاسْتَكْثَرَ مِنْهَا فِي أَوَانٍ  
كَسَادَهَا ؛ فَإِنَّهُ لَوْ جَاءَ أَوَانٌ نَفَاحَهَا لَمْ تَصِلْ مِنْهَا لَا إِلَى قَلِيلٍ وَلَا إِلَى كَثِيرٍ .  
قَالَ أَبُو حَازِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الدُّنْيَا بَحْرٌ طَفَّاحٌ ، وَالنَّاسُ فِي أَمْوَاجِهَا يَعْومُونَ ،  
وَفِي أَمْثَالٍ تَضْرِبُهَا الْأَيَّامُ لِلْأَنَامِ — وَمَا أَكْثَرَ أَشْبَاهَهَا مِنْهَا — لِأَنَّ كُلَّ مَا يَصِيرُ  
إِلَى فَنَاءٍ مِنْهَا يَشْبِهُهَا ، فَمَنْ أَوْتَى مِنْ الدُّنْيَا أَشْيَاءَ ثَلَاثَةَ فَقْدَ أَوْتَى الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا :  
الْأَمْنُ ، وَالْقُوَّةُ ، وَالصَّحَّةُ ، لَا يَفْتَرِ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا كُلُّ خَدَاعٍ ، وَلَا يَرْكُنُ إِلَيْهَا  
إِلَّا كُلُّ مَتَاعٍ .

فَالْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا لَمْ يَبْقَ لَعَبْرِهِ عَلَيْهِ غَيْرُ بَاقٍ ، وَأَنَّ مَا سَلَبَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يَتْرَكَ  
عَلَيْهِ ، فَالْقَصْدُ إِلَى مَا يَعُودُ بِالنَّفْعِ فِي الْآخِرَةِ لِلْعَاقِلِ مِنَ الدُّنْيَا ، أُخْرَى مِنَ السُّلُوكِ  
فِي قَصْدِ الضَّنِّ بِهَا ، وَالْجَمْعُ لَهَا مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمٍ مَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ  
الصَّالِحَةِ ، وَتَرْكُ الْإِغْتِرَارِ بِهَا وَالْإِعْتِبَارَ بِتَقْلِبِهَا بِأَهْلِهَا ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ خَطَرًا مِنَ  
الْحَيَاةِ ، وَلَا غَبْنٍ أَعْظَمَ مِنْ إِفْنَائِهَا لَعَبْرِ حَيَاةِ الْأَبَدِ ، وَمَنْ اشتهى أَنْ يَكُونَ حُرًّا  
فَلْيَجْتَنِبِ الشَّهَوَاتِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَدَيْنَهُ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ لَدِينٍ لَيْسَ بِثَاقِعٍ ، وَلَكِنْ

كل نافع هو اللذيد ، وكل الشهوات مملوءة إلا الأرباح فإنها لا تمل ، وأعظم الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

فأعظم بصير للزمان ، فإنه على حالة السكره ليس بدائم  
تدورُ لنا أفلاكه بمجائب إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم  
سرورٌ وهمٌ وانتعاشٌ ، وسقطة إلى أجلٍ دانٍ لذلك هادم  
وبالله دون الناس ، فاستغن واستغن إذا أنزلت إحدى الأمور العظام  
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

والناس في هذه الدنيا على رتب هذا يحطُّ ، وذا يعلو فيرتفع  
فأخلصي الشكر فيما قد حُيت به وآثرِ الصبر ، كلٌ سوف ينقطع  
وأنشدني المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نساءً ، ويوماً نُسرَّ  
كذاك التقارض بين الأنام غير بحير ، وشرٌّ بشرٍ

أنبأنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومتنظِّر غداً لا يدركه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إزاله الدنيا منزلتها ، ترك الركون إليها مع تقديم ما قدر منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيم هو ترك طول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه في كل لحظة ومطرفة ؛ لأن طول الآمال غطت أعناق الرجال ، كالسراب أخلف من رجاء ، وخاب من رآه .

فالعاقل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالفة ، والقرون الماضية ، كيف عَفَتْ آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فما بقي منهم إلا الذكر ، ولا

من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على بعثهم وجمعهم للجزاء والعقاب .  
 ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الفلابي قال : أنشدني مهدي بن سابق :  
 كنا على ظهرها ، والعيش ذو مهلٍ      والدهر يجمعنا ، والدارُ والوطنُ  
 فرق الدهر ذو التصريف ألفتنا      فالיום يجمعنا في بطنها الكفن  
 كذلك الدهر لا يبقى على أحد      تأتي بأقداره الأيام والزمن  
 وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

حتى متى يبقى حليف الأسي      مستشعراً للدهر أحزانا  
 فلا يرُدُّ الحزنُ شيئاً ، ولا      يُعَيِّبُ هذا الدهر إنسانا  
 قد يُقبل الدهرُ بسرَّائه      طَوَّراً ، وقد يدبرُ أحيانا  
 فاصبر على ماجرٍ من حادث      مازال غَدَّاراً وخوانا  
 وأحسن الظنَّ بمن لم يزل      عليك مفضالاً ومنانا  
 وأنشدني عمرو بن محمد قال : أنشدنا الفلابي لابن أبي عيينة المهلبى :

ماراح يوم على حى ولا ابتكرا      إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرنا  
 ولا أتت ساعة في الدهر فأنصرفت      حتى تؤثر في قوم لها غيرنا  
 إن الليالي والأيام أنفسها      عن غيب أنفسها لم نكتب الخبرنا

أنبأنا على بن سعيد المسكري ، حدثنا إبراهيم بن الجنييد ، حدثنا الحسن بن  
 سعيد الجرجاني قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كلثم يقول : كانت امرأة من  
 بني إسرائيل متعبدةً ، وكانت تفطر كل سبت ، فبينما هي ذات يوم قد وضعت  
 إقطارها بين يديها جعلت تقول : محب يحب حبيبه ينشغل بالأكل عن خدمة  
 محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو منشغل بأكله عن خدمته ، فلا  
 تَقَرُّ عينه في لقائه ، فكثت كذلك مدة لا تفطر . قال : ثم وضعت إقطارها بين  
 يديها ، وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شاب من ناحية البيت جيل



الوجه طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله يا حبيبة الله ، أو يا ولية الله ،  
قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : يا ملك الموت ،  
أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجي فيها ربي ، فإذا رأيته قد فعلت ذلك قبضت  
روحي ؟ قال : لك ذلك ، قال : فتحت إبطارها ، ثم وثبت فسجدت ، تقبض  
روحها في اجتهادها رضى الله عنها .

### ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدي ، حدثنا يحيى بن أكرم ، ومحمود  
ابن غيلان قالا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي  
هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هادم اللذات :  
الموت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يضم إلى رعاية ما ذكرنا  
من شعب العقل في كتابنا هذا لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك  
الاعتزاز بالدنيا في الأسباب كلها ، إذ الموت رَحَى دَوَّارَةٍ بَيْنَ الْخَلْقِ ، وَكَأْسٌ يُدَارُ  
بِهَا عَلَيْهِمْ ، لَا بَدَ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ أَنْ يَشْرِبَهَا وَيَذُوقَ طَعْمَهَا ، وَهُوَ هَادِمُ اللَّذَاتِ ،  
وَمُنْغِصُ الشَّهَوَاتِ ، وَمَكْدِرُ الْأَوْقَاتِ ، وَمُزِيلُ الْعَاهَاتِ .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

أيا هادم اللذات، مامنك مهربٌ      تحاذر نفسي منك ماسي صيبها  
رأيتُ المنايا قُسمت بين أنفُس      ونفسي سبأني بعدهنَّ نصيبها

وأنشدني الكريزي :

إنَّ من عاش آمناً في سرورٍ      قاعدٌ من سروره في غرور  
ما لمن يذكرُ المقابرَ والمو      ت إذا كان عاقلاً من سرور

حدثنا عمرو بن محمد الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قرىء على قصر هذه الأبيات :

هذي منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش عجيب ، ماله خطرُ  
صاحت بهم حادثات الدهر ، فانقلبوا إلى القبور ، فلا عين ، ولا أثرُ

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم بن عبد الملك ، حدثني علي بن سلعة الحلبي قال : سمعت أبي يقول : كان معاوية يقول « أنا والله من زرع قد استحصد » وتى له عبد الله بن عامر بن كريز ، والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أكبر منه ، والآخر دونه ، فقال :

إذا سار من خلف امرئ وأمامه وأفرد من إخوانه ، فهو سائرُ  
حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمداني قال : سمعت عمر بن ذر يقول : ورث فتى من الحى داراً عن آبائه وأجداده فهدمها ، ثم ابتناها وشييدها ، فأتى في منامه فقيل له :

إن كنت تطمع في الحياة فقد ترى أرباب دارك ما كنوا الأموات  
أني تحس من الأكارم ذكركم ؟ خلت الديار وبادت الأصوات  
قال : فأصبح الفتى مغتاضاً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البرازي ، حدثنا إسحاق بن الصيفي ، حدثنا جعفر بن عون قال : سمعت مسعراً يقول :

ومُسَيِّدٌ داراً ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن  
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

لو أنني أعطيت سؤلى لما سألت إلا العفر والعسايف

فكم فتى قد بات في نعمة فسلَّ منها الليلةَ الثانية ؟  
حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا زهل بن أبي شراة القيسي ،  
قال : حدثتني سُكَيْبَةَ - وكانت علامة - قالت : قال لي أبو العتاهية : دخلت  
على هارون أمير المؤمنين ، فلما تبصَّرَ بي قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية ،  
قال : الذي يقول الشعر ؟ قلت : الذي يقول الشعر . قال : عطني أبيات شعر ،  
وأوجز ، فأنشدته :

لأنَّ من الموت في طرف ولا نَفْيَ ولو تمنعت بالحجاب والحرس  
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدَّرِعٍ منا ومقرس  
ترجو الفجأة ، ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليس  
قال : فخر متشياً عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد : حدثنا العلاءي ، حدثنا أبو جعفر البغدادي قال : قرأت  
على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلاً سلب القوم وارمحل  
فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهم ، فأصبحوا وهذا الكتاب على  
الباب لا يدري من كتبه ، وأنشدني البسامي :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلكُ العواد  
ويُصاد القطا فينجو سليماً بعد هلك ، ويهلكُ الصبياد  
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له ، ومتنظر  
وقوعه من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شجرة ، فكم من مكرم في أهله ، معظم  
في قومه ، مبجل في جبرته ، لا يخاف الضيق في العيشة ، ولا الضنك في المصيبة ،  
إذ ورد عليه مدلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعاً بين الأحبة  
وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعا ، ولا يستطيعون عنه

دفعاً . فكم من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، وذات بعل قد أرملها ، وذى أب أيتمه ، وذى إخوة أفرده .

فالماتل لا يفتخر بحالة نهايتها تؤدي إلى ما قلنا ، ولا يركن إلى عيش مغيبته ما ذكرنا ولا ينسى حالة لامحالة هو موافقها ، وما لاشك يأتيه ، إذ الموت طالب حيث لا يعجزه التقيم ولا ينفلت منه الهارب . ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت الوضاح بن حسان يقول : سمعت ابن السماك يحدث قال : بينما صياد في الدهر الأول يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة في البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل الصياد ينظر إليها ويبكي ، ويقول : عزيز ، فلم تترك لعمرك ، غنى ، فلم تترك لعمرك فقير ، فلم تترك لعمرك ، جواد ، فلم تترك لجودك ، شديد ، فلم تترك لشدتك ، عالم ، فلم تترك لملك ؟ بردد هذا الكلام ويبكي .

وأنشدني الكريزي :

أموالنا لذوى الميراث نجحها      ودورنا لخواب الدهر نبنيها  
والنفس تكلف بالدنيا ، وقد علمت      أن السلامة فيها ترك ما فيها  
فلا الإقامة تنجي النفس من تلف      ولا الفرار من الأحداث ينجيها  
وكل نفس لها زورٌ يصبُّها      من التنية يوما أو يمسها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، قال : سمعت ابن واقد المديني قال : حدثنا عبد المنعم الرياحي قال : فقد مالك بن دينار يوماً ، فقالوا : أين كنت يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبله ، قالوا : ما أحسن ما رأيت ؟ قال : ما رأيت شيئاً أعجبت به إلا أني رأيت امرأة تصلي ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبتُ شيء ؟ قال : رأيت بالبحرين قصرأ مشيداً ، وإذا على بابه مكتوب : طلبتُ العيش أمد ناعميه وعشتُ من المعاش والنعم

فلم ألبث وربّ الناس طوّراً سلبتُ من الأفارب والحجب  
وانشدني الأبرش :

والنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها  
والمرءُ يَبْسُطُها ، والدهر يقبضها والنفس تنشرها ، والموت يطويها  
أنبأنا حمزة بن داود بن سليمان بالأبلة ، حدثنا الهذلي ، حدثنا جليس الكلبي  
عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقيني عمران بن حطان فقال لي : يا أعمى ،  
إنني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحفظ ؟ فاحفظ عني هذه الأبيات :  
حتى متى تبقى النفوس بكأُمتها ريب المنون ، وأنت لاهٍ ترتع ؟  
أفقد رضيت بأن تغلّ بالمني وإلى المنية كل يوم تدفع ؟  
أحلام نوم ، أو كطل زائل إنَّ اللبيب بمثلها لا يخدع  
فزودنَّ ليوم فترك دائباً واجمع لنفسك لا لتفرك تجمع  
حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، قال : سمعت أبا داود السجستاني يقول :  
خرج أبو معاذ النهدي يوماً على أصحابه فقال : إنه قد نُعيت إلى نفسي البارحة ،  
أتاني آت فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ عما قليل ، قم لنفسك واتعد  
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى وكأن ما هو كائن فكأن قد  
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي كثيراً  
ما يقول :

تمنى رجال أن أموت ، وإن أمت فذلك سبيلٌ لست فيها بأوحد  
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى : تهاً لأخرى مثلها فكأن قد  
حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل  
ابن عبد الله العجلي قال : أنشدنا رجل ونحن في المقابر :

ألا يا عسكر الأحياء ، هذا عسكر الموتى  
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرون الكبرى  
يخوفون على الزاد وما زاد سوى التقوى  
يقولون لكم : جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض ،  
فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لا محالة تنزل  
المنية بهم ، وتغنيهم عن السعي والحركات ، مع تعطل الجثث والآلات ، ثم تعيدهم  
إلى الأرض التى منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا أثمارها ، وتشرب  
دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالتقى أول  
منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد فى دنياه  
لقبره ، وقدم منها لآخرته ، فكم عقرت الأرض من عزيز وأقعدت الغير من أنيس .

حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن  
عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابياً وقف على مقبرة وهو يقول :

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون ، والقبور تزيد  
وما إن ترى داراً لمحي قد أقفرت وقبرا لميت بالفناء جديد  
فهم جيرة الأحياء ، أما محلهم فدان ، وأما الملقى فبيد

وأنشدني أحمد بن عبد الله السكرجي لعمر بن شبة فى نفسه :

يا ابن سبعين وعشرين وثمات كاملات  
غرضاً للموت مشغو لا يخذل منى وهات  
ويك ، لا تعلم ما تلتقى به بعد المات  
من صفار موبات وكبار مهلكات  
يا ابن من قدمات من آبائه والأمهات

هل ترى من خلد من ذى طماعة وعُتاة ؟  
إن من يتتاع بالدريسن خسيسات الحياة  
لغبي الرأي محسوف بطول الحسرات

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا شعيب بن واقد المري عن  
عبد المنعم الرياحي قال : سمعت صالح المري يقول : دخلت المقابر يوماً في شدة الحر  
فنظرت إلى القبور خاملة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت : يا سبحان الله ! من يجمع  
بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحبسكم وينشئكم من طول البلى ؟ قال :  
فناداني مناد من بين تلك الحفر : يا صالح ( ٣٠ : ٢٥ ) ومن آياته أن تقوم السماء  
والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم مخرجون ) قال : فسقطت  
والله مغشياً عليّ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا البسير من الكثير من الآثار ، والقليل  
من الجسيم من الأخبار ، في كتابنا هذا بما نرجو أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى  
الحجى ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غنية إن تدبرها  
واستعملها ، وإن كنا تنكبنا طرق المسانيد ، ونخرج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ،  
إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد ، جعلنا  
الله ممن دعت تباشير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق ! إنه منتهى الغاية عند رجاء  
المؤمنين ، والملائكة على أوليائه بمنازل للقرابين .

وجلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، والحمد لله  
رب العالمين .

وجد في النسخة الأصلية ماصورته :

فرغ من نسخته بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفوره أحمد بن محمد بن  
سالم بن جناب المنبجي ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة  
ثمان وعشرين وستمائة ، ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين ! .

---



# فهرس

## روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

٢٨	ذكر استحباب افشاء السلام	٣	ترجمة الإمام ابن حبان
	واظهار البشر والتبسم	١٣	مسند الكتاب
٨١	ذكر ما أبيح من المزاح للمرء	١٤	مقدمة »
	وما كره له منه	١٦	ذكر الحث على لزوم العقل
٨٥	ذكر استحباب الاعتزال من		وصفة العقل المييب
	الناس عاماً	٢٧	ذكر اصلاح السرير لزوم
٩٠	ذكر استحباب المؤاخاة للمرء		تقوى الله تعالى
	مع الخاص	٣٤	ذكر الحث على لزوم العلم
٩٨	ذكر كراهية المعادة للناس		والمداممة على طلبه
١٠٤	» الحث على محبة الأخيار	٤٣	ذكر الحث على لزوم الصمت
	والزجر عن عشرة الأشرار		وحفظ اللسان
١٠٨	ذكر كراهية التلون في الوداد	٥٣	ذكر الحث على لزوم الصدق
	بين المتواخين .		ومجانبة الكذب
١١٣	ذكر ائتلاف الناس واختلافهم	٥٨	ذكر الحث على لزوم الحياء
١٢٠	» الحث على زيارة الإخوان		وترك الفحمة
	وإكرامهم	٦٤	ذكر الحث على لزوم التواضع
١٢٤	ذكر صفة الأحق والجاهل		ومجانبة الكبر
١٣١	» الزجر عن التجسس	٦٦	ذكر استحباب التعجب إلى
	وسوء الظن		الناس من غير مقارفة المأثم
١٣٥	ذكر الحث على مجانبة الحرص	٧٣	ذكر استعمال لزوم المداراة وترك
	للعاقل		المداهنة مع الناس

٢٢٥ ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكراهية المجلة فيها	١٣٩ ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء
٢٢٩ ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم المصاحبة	١٤٥ ذكر الحث على مجانبة الغضب وكراهية المجلة
٢٣٤ ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه	١٤٨ ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس
٢٤٠ » الحث على إقامة المروءات	١٥٢ » الحث على مجانبة المسألة وكراهيتها
٢٤٦ باب الحث على لزوم السخاء ومجانبة البخل	١٥٦ ذكر الحث على لزوم القناعة
١٥٤ ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان	١٦١ الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق
٢٥٨ ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الخواج	١٦٥ ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها
٢٦٥ ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي	١٧٤ ذكر الحث على الصوعن الجاني
٢٧١ ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام	١٨٠ » صفة الكريم والثلثم
٢٧٦ ذكر الحث على المجازاة على الصنائع	١٨٥ » الزجر عن قبول قول الوشاة
٢٨١ ذكر الحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية	١٩١ » استحباب قبول الاعتذار من المعتذر
٢٩١ ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها	١٩٦ ذكر الحث على لزوم كتاب السر
٢٩٣ » الحث على لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات	٢٠٣ » الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة
(تم الفهرست)	٢٠٧ مطلب وصية الخطاب بن العلى الحزوى ابنه
	٢١٣ ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة
	٢١٨ » الحث على لزوم الحلم عند الأذى